تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850ـ 1918

(دراسة في ضوء وثائق وأرشيفات الخارجية والصحة الأمريكية والبريطانية وأرشيفات دولية أخرى)

الدكتور قاسم الجميلي

أستاذ دراسات الشرق الأوسط - الولايات المتحدة

مراجعة النسخة الانكليزية

الدكتور رالف كوري

أستاذ دراسات الشرق الأوسط الحديث

جامعة فيرفيلد - كنيتيكت - الولايات المتحدة

مراجعة النسخة العربية

الدكتور هاشم صالح التكريتي

أستاذ التأريخ الحديث / جامعة بغداد - العراق

تقديم: الدكتور هاشم صالح التكريتي

الطبعة الأولى

2017 م - 1438 هـ



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2016/4/1878)

956.3

الجميلي، قاسم خلف

تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850 – 1918/

قاسم خلف الجميلي.- عمان: دار دجلة للنشر و التوزيع، 2016.

( ) ص.

ر.إ: (2016/4/1878)

الواصفات: تاريخ العراق// الإمبراطورية العثمانية /

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية



المملكة الأردنية الهاشمية

عمان – شارع الملك حسين – مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171 – الأردن

E-mail: dardjlah@ yahoo.com

www.dardjlah.com

978-9957-71-666-0: ***ISBN***

الإهداء

إلى أستاذي العالم الجليل

الدكتور هاشم صالح التكريتي

هذا من نبض معرفتكم

المختصرات المعتمدة في هوامش الكتاب

- A. N. A (American National Archives)

- B. M. J (The British Medical Journal)

- P. H. R (Public Health Reports)

- W. A. S. R (Weekly Abstract of Sanitary Reports)

تقديم بقلم الاستاذ الدكتور هاشم التكريتي

عرفت الدكتور قاسم الجميلي مؤلف الكتاب الراهن الذي نقدمه للقارئ العربي الان منذ اكثر من ثلاثين عاما. كان ذلك حين درسته في السنة التحضيرية عندما كان طالبا في مرحلة الماجستير واشرفت على رسالته، ومنذ ذلك الوقت لفت انتباهي لما وجدته فيه من فكر نير وذكاء ملحوظ وقابلية مشهودة ورغبة عارمة بالتعلم توجها بخلق عال وحس وطني شديد فتوقعت له مستقبلا علميا مرموقا. وتأكد ظني فيه حين درسته في السنة التحضيرية لمرحلة الدكتوراه واشرفت على اطروحته ايضا. وحين عمل بعد ذلك تدريسيا في الجامعات اثبت انه مدرس كفء وباحث مرموق كان يمكن ان يصبح واحدا من اعمدة العلم والثقافة في بلدنا لولا ظروف قاهرة اضطرته الى مغادرة الوطن والاقامة في الخارج، فحرمت بذلك مؤسساتنا العلمية من كفاءة واعدة كان يمكن ان تحقق الكثير.

واصل الدكتور قاسم الجميلي نشاطه العلمي في محل اقامته الجديد، والكتاب الراهن واحدة من ثمرات هذا النشاط. لقد تصدى فيه لموضوع شائك قلما يتصدى له الباحثون، لان الخوض فيه يتطلب جهدا استثنائيا في تقصي مصادره الاولية الموزعة بشكل تقارير في ارشيفات متعددة تعود لدول مختلفة. وفي ذلك نجح المؤلف في رسم صورة واضحة لموجات الاوبئة التي اجتاحت العراق في المرحلة موضوع البحث وللاثار التي تركتها في مختلف جوانب المجتمع العراقي.

لقد اختار المؤلف ان يقسم موضوع بحثه على اربعة فصول استعرض في الاول منها الاسباب والعوامل التي ساعدت على ان يكون العراق انذاك هدفا لموجات متعددة من الاوبئة المختلفة. وتقصى في الثاني موجات الاوبئة التي اجتاحت العراق انذاك. وركز في الثالث على التدابير التي اتخذتها السلطات لمواجهة هذه الموجات الوبائية. اما الفصل الرابع فقد خصصه الباحث للنتائج التي ترتبت على تلك الموجات وما خلفته من عواقب كارثية طالت المجتمع العراقي في جوانبه السكانية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وخلص المؤلف من ذلك كله الى استنتاج مفاده ان تواتر الاوبئة هو ناجم عن تواضع ومحدودية التدابير التي اتخذتها السلطات لمواجهتها، فضلا عن انه ناجم عن الجهل والتخلف الذي كان متفشيا في العراق انذاك، والذي اسهم الى حد كبير في تأخر المجتمع العراقي وتسبب في انتشار العديد من المساوئ والمشاكل في شتى المجالات بما فيها الصحة العامة. لهذا كله فان هذا الكتاب هو قيّم وجدير بالقراءة، لانه يؤلف مصدرا مهما للباحثين والمؤرخين المتطلعين لدراسة تاريخ العراق الوبائي في المرحلة التي تصدى لها، كما يجد فيه القارئ العادي تفسيرا للعديد من الظواهر الاجتماعية التي يشاهدها في حياته اليومية.

د.هاشم التكريتي

بغداد في 10 فبراير/ شباط 2016

المقدمة

قد لايتصور المرء في يومنا هذا، حيث تتوفر العلاجات والملاكات والمؤسسات الطبية المتقدمة، كيف كانت تتسبب الموجات والتفشيات الوبائية القاتلة لامراض خطيرة مثل الطاعون والكوليرا والجدري في الآلاف واحيانا مئات الآلاف من الوفيات في بلد كان لديه عدد صغير من السكان مثل العراق خلال العهد العثماني. لقد فتكت تلك الاوبئة مرارا بارواح العراقيين بعنف وبلا رحمة. ومن اشد مظاهر قسوتها انها كانت احيانا، خلافا لهجماتها الفردية المعتادة، تشكل 'عصبة قتل ثلاثي' تستبيح العراق في آن.

ومع ان تلك الاوبئة كان لها دور فاعل ومؤثر للغاية في تشكيل تأريخ العراق الحديث، فانها لم تلق اهتماما كبيرا من لدن المؤرخين والمهتمين بقضايا الصحة العامة. لاجل ذلك، فأن هذه الدراسة، التي تستند بشكل رئيسي على وثائق وارشيفات الخارجية والصحة الامريكية والبريطانية، ترصد وتعرض تقريبا كل الاندلاعات والموجات للامراض الوبائية الاكثر فتكا، وحصريا الطاعون والكوليرا والجدري، التي شهدها العراق بدأ من النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى العام 1918، وهي السنة التي اشرت النهاية الرسمية للحكم العثماني في العراق. تتحرى الدراسة تسعة عشر تفشيا وبائيا للطاعون، (خمسة تفشيات وبائية واسعة الانتشار واربعة عشر اخريات محدودة الانتشار)، حدثت في مناطق مختلفة من العراق خلال المدة بين 1867 و1915. وتتبعت الدراسة ايضا تسعة عشر تفشيا وبائيا للكوليرا، (ستة عشر تفشيا وبائيا واسع الانتشار وثلاثة اخريات محدودة الانتشار)، وقعت في العراق في المدة بين 1851

و1917. وعلى الرغم من ندرة المعلومات من المصادر الاولية عن الجدري، فقد رصدت الدراسة اشارات واحيانا تفصيلات مثيرة عن احد عشر تفشيا واسعا ومحدود الانتشار للجدري في المدة بين 1854 و1915.

تتوزع مفردات الدراسة على اربعة فصول رئيسية. يتضمن الفصل الاول منظورا عاما للعوامل التي اسهمت في انتشار الاوبئة في العراق في العهد العثماني المتأخر. ويشتمل هذا المنظور على عناصر وابعاد اساسية تساعد القارئ على فهم واستعياب بانورامي للظاهرة الوبائية من كل الجوانب. فالعوامل ذات الصلة بالمناخ والتربة، والكوارث الطبيعية، وتردي الصحة والنظافة العامة، والفقر وتدني المستوى المعاشي، ونقص وعدم كفاءة الملاكات والمؤسسات الصحية، والاضطراب السياسي وسوء الادارة، بالاضافة الى المعتقدات الدينية والتخلف الاجتماعي والثقافي العام ، اسهمت كلها بدرجات متفاوتة في انتشار الاوبئة القاتلة وتواتر هجماتها في العراق العثماني. ويتحرى الفصل الثاني الاندلاعات الوبائية في العراق العثماني وفق سياقات زمنية متتالية، حيث يتم رصد وعرض موجز او تفصيلي لتسع واربعين تفشيا وبائيا واسعا او محدود النطاق للطاعون والكوليرا والجدري في المدة بين 1851 و1918. وقد روعي في الفصل تتبع كل اندلاع وبائي على حدة، منذ بداياته الاولى، وتطوره اللاحق، ثم تحوله الى تفشي وبائي واسع او محدود النطاق، ولغاية خموله وانحساره ومن ثم انقراضه. ويتناول الفصل الثالث حزمة من الاجراءات والجهود العثمانية والدولية للسيطرة على انتشار الاوبئة. فاجراءات من قبيل الرقابة على معابر العراق الحدودية، واقامة محاجر ونطاقات صحية، والتطعيم ضد الامراض المعدية، وتشكيل لجان صحية للتقصي عن الاوبئة، وكذلك الجهود النبيلة لاطباء ودبلوماسيين اجانب، قد صُممت اساسا لوقف زحف الاوبئة الوافدة نحو العراق وكبح جماح تقدمها

ووضعها تحت السيطرة. اما الفصل الرابع فقد خُصص لدراسة وتحليل التداعيات التي تركتها الاوبئة على كل جوانب الحياة في العراق العثماني، ولاسيما السكانية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

استمدت الدراسة معلوماتها وبياناتها واحصائياتها بشكل اساسي من حزمة واسعة ومتنوعة من المصادر الاولية الارشيفية. فقد شكلت مراسلات القناصل الامريكان العاملين في العراق في السنوات من 1900 ولغاية 1906، التي تضمنها الارشيف الوطني الامريكي (American National Archive)، معينا رفد جوانب عديدة من الدراسة بمعلومات غاية في الاهمية. لقد احتوت تلك المراسلات على اعداد كبيرة من النشرات والبيانات الصحية العثمانية التي كانت ترد الى القناصل بانتظام من مأموري ومكاتب الصحة في بغداد ومدن عراقية اخرى. وقد سعى القناصل يومذاك الى تجميع تلك النشرات والبيانات وتحقيقها واحيانا ترتيبها على شكل جداول اسبوعية او شهرية تتضمن احصائيات عن عدد الوفيات او الاصابات بالامراض الوبائية. وعلى الرغم من الصعوبة البالغة التي اكتنفت قراءة اغلب هذه المراسلات، خصوصا وانها كتبت باليد وبانواع خط واساليب ادبية متباينة، فان قيمتها التاريخية التي لا تقدر بثمن بالنسبة لموضوع الاوبئة في العراق قد هونت كثيرا من اعباء البحث فيها.

ولاتقل اهمية في هذا الشأن التقارير الصحية الامريكية التي كانت تصدر في واشنطن دي. سي، واخص بالذكر منها تلك الصادرة في المدة بين 1887 و1895 باسم (Weekly Abstract of Sanitary Reports)، والاخرى الصادرة في المدة بين 1896 وحتى عام 1917 باسم (Public Health Reports). فقد استعرضت تلك التقارير اسبوعيا الاوضاع الصحية في الولايات المتحدة والعالم

بضمن ذلك المناطق الخاضعة للامبراطورية العثمانية ومن بينها ولايات العراق الثلاث بغداد والموصل والبصرة. كذلك غطت تقارير المجلة اللندنية ذائعة الصيت (The British Medical Journal)، الصادرة في السنوات من 1866 ولغاية 1918، مساحة واسعة من الدراسة. اذ تابعت تلك التقارير وبانتظام معظم الاندلاعات الوبائية في العراق حتى نهاية العهد العثماني.

ولم يكن البحث ايضا في غنى عن الارشيف العثماني، ولاسيما سالنامات ولايات بغداد والموصل والبصرة، سواء النسخ الرسمية الاصلية المكتوبة بالخط التركي العثماني والصادرة في بغداد في السنوات 1877 و1899-1900 و1913، اوالنسخ الجديدة المكتوبة بالخط التركي اللاتيني والصادرة في انقرة في عامي 2005 و2006. لقد امدت هذه السالنامات الدراسة بارقام واحصاءات حيوية وضرورية عن عدد سكان العراق واعداد المستشفيات والكوادر الطبية والصحية فيه اثناء العهد العثماني المتأخر.

وكانت تقارير الاطباء البريطانيين العاملين في الممثليات الدبلوماسية البريطانية في بغداد واستانبول معينا علميا لاينضب لهذه الدراسة. فقد تضمنت معلومات مثيرة في تفاصيلها ودقتها المتناهية عن اوبئة العراق في العهد العثماني. لقد كُتبت هذه التقارير من قبل اشخاص مهنيين كانوا يومذاك على المام كبير ودراية واسعة باوبئة الشرق الاوسط وشبه القارة الهندية. وهنا اود ان اشير بشكل خاص الى اسهامات الجراح البريطاني وليم كولفيل الذي كان ملحقا بالمقيمية البريطانية في العراق منذ عام 1867. لقد قدم كولفيل في المدة بين 1867 و1877 تقارير مهنية ثمينة عدة عن تفشيات الطاعون والكوليرا في العراق. وبسبب القيمة العلمية العالية لتقارير كولفيل، اضحت مصدرا معتمدا يستقى منه علماء الاوبئة والاطباء والاكاديميين الغربيين والعالميين معلومات على

درجة كبيرة من الاهمية. بالاضافة الى ذلك، استمدت الدراسة معلومات غزيرة من تقارير رصينة اخرى كتبها اطباء بريطانيون عن التفشيات الوبائية التي حدثت في العراق اثناء الفترات العثمانية المتأخرة. وكان جون رادكليف احد ابرزهؤلاء. لقد كتب رادكليف تقاريرا صحية عن العراق تتضمن معلومات ذات قيمة عالية بشأن تفشيات الطاعون والكوليرا التي حدثت في هذا البلد في السنوات 1853، و1875، و1876، و1877. وقدم الطبيب البريطاني اي. دي. ديكسون هو الآخر اسهامات بناءة لحقل الاوبئة في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر. فقد ركزت تقاريره وكتاباته عن اوبئة العراق على طاعون عام 1876-1877، وكوليرا عامي 1889 و1890. كما استفادت الدراسة كثيرا من اعمال القنصل الامريكي جون ساندبرغ، الذي خدم في العراق للمدة من 1893ولغاية 1895. ففي اثناء فترة خدمته، بعث ساندبرغ برسائل وبرقيات وتقارير الى الخارجية الامريكية وكذلك الصحافة تضمنت آرائه وملاحظاته بصدد التفشيات الوبائية في العراق. وتنطوي هذه الآراء والملاحظات، التي أستخدمت في فصول هذه الدراسة، على مكانة اكاديمية واخلاقية متميزة. وكان لاسهامات عالم الاوبئة الفرنسي ثولوزن في حقل الامراض المعدية في العراق منزلة بارزة في هذه الدراسة. فبحكم خبرته الطويلة في ميدان الاوبئة والصحة العامة، كتب ثولوزن رسالة جديرة بالثناء بعنوان "وباء الطاعون في بلاد الرافدين في عام 1867". لقد افادتنا هذه الرسالة كثيرا في الاطلاع على وجهات نظر عالم فذ في مجال الاوبئة بشأن اسباب واعراض وطبيعة اول اندلاع للطاعون شهده العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. الى جانب ذلك استمدت الدراسة معلوماتها من كتب رحالة من جنسيات مختلفة وكذلك من مصادر ودوائر معارف ودوريات متنوعة باللغات العربية والفرنسية وبدرجة اقل الالمانية.

ختاما ادين بالعرفان الكبير الى جامعة نيويورك، وتحديدا معهد ريمارك في كلية الاداب الذي منحني ْزمالة فيفيان جي. برنس للعلماء العالميين ْ(Vivian G. Prins Global Scholars Fellowship) للعام الاكاديمي 2010-2011، والتي خُصصت اصلا لانجاز دراسة هذا الكتاب. وثناء غير منقطع لجهود زميلي وصديقي الدكتور رالف كوري استاذ دراسات الشرق الاوسط الحديث في جامعة فيرفيلد – كنيتيكت – الولايات المتحدة الذي تحمل عناء تدقيق مسودة الكتاب باللغة الانكليزية بصبر واناة. واقرار بالفضل مؤطر بالمحبة والوفاء لاستاذي الفاضل الدكتور هاشم صالح التكريتي الذي راجع مسودة الكتاب باللغة العربية. وكعهدي به عندما كان مشرفا على اطروحتي للدكتوراه في 1989-1990، فقد وجدته لم يزل ذلك العالم الجليل المتسلح بالقيم والمتجدد بالافكار ليثبت بذلك ان عطائه الاكاديمي لن يتوقف عند حد او عمر معين. وفي هذا المجال لن انس ايضا فضل المعونة النبيلة التي قدمتها الدكتورة فردوس عبد الحسين من الجامعة المستنصرية ببغداد. وكما اثمن عاليا الجهد والدعم الاكاديمي الرائع الذي قدمته السيدة كلير روبنسن من جامعة نيويورك. ولابد ان استذكر هنا ايضا زوجتي واولادي الذين استقطعت الكثير من وقتهم لاستثمره في انجاز متطلبات هذه الدراسة، فشكرا لصبرهم على ذلك. ولكل من مد يد العون والدعم والتشجيع وافرالتقدير والامتنان.

الدكتور قاسم الجميلي
فيرفيلد -كنيتيكت- الولايات المتحدة
فبراير/ شباط 2016

الفصل الأول

منظور عام للعوامل التي أسهمت في انتشار الأوبئة في العراق أثناء العهد العثماني المتأخر

الفصل الأول
منظور عام للعوامل التي أسهمت في انتشار الأوبئة
في العراق أثناء العهد العثماني المتأخر

التواصل التأريخي للظاهرة الوبائية

لم تشكل الاوبئة، ولاسيما الطاعون والكوليرا والجدري، التي اكتسحت العراق منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولغاية عام 1918، ظاهرة جديدة في التأريخ الحديث لهذا البلد. تأريخيا، ارتبطت جذور الظاهرة بشكل وثيق بالهجمات الوبائية المتكررة التي حدثت في العراق خلال، وحتى قبل، القرنين السابع عشر والثامن عشر. وفي الواقع، انه طالما ان شروط النظافة والصحة العامة للمجتمع العراقي في العهد العثماني لم تتحقق بشكل كبير، فان الهجمات والاندلاعات الوبائية تواصلت بلا انقطاع.

على اي حال، فانه في الوقت الذي كانت فيه الاوبئة تحدث تخريبا في العراق على نحو خطير، فان تقدمها وتداعياتها كانت تُلاحظ وتُدون بشكل دقيق من قبل المؤرخين المحليين، والرحالة الذين زاروا البلد، والقنصليات والمقيميات في بغداد والمدن الاخرى. وما من شك في ان مسحا تأريخيا لبعض الاندلاعات الوبائية من اواخر القرن السابع عشر ولغاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد يساعد في توضيح الحقائق المتعلقة بالاوبئة التي عصفت بالعراق لاحقا.

تعود بعض الاشارات المتوفرة لانتشار الطاعون في العراق خلال الربع الاخير من القرن السابع عشر الى سنة 1689. فقد تفشى الوباء في هذه السنة في

بغداد لمدة خمسة اشهر تقريبا، آخذا ارواح عدد كبير من الناس. وقُدر العدد الاجمالي للوفيات بنحو 100.000 شخص. ثم عاود الطاعون ظهوره في بغداد في السنة التالية (1690)، واستمر لاكثر من ثلاثة اشهر، قاتلا 100 شخص يوميا[1]. ووصل الطاعون البصرة في عام 1691، ضاربا المدينة بعنف، ومكتسحا حياة 200.000 شخص في غضون ثمانية عشر يوما[2].

وبدا النشاط الوبائي في العراق خلال القرن الثامن عشر تدميريا على نحو اكثر من ذي قبل، حيث اجتاح الطاعون مناطق مختلفة من البلاد. فقد ضرب الوباء، على سبيل المثال، الموصل في عام 1737، قاتلا 1.000 شخص يوميا. واكتسح الداء ذاته بغداد عام 1739، مبيدا عددا كبيرا من السكان. ووصل الطاعون بغداد في عام 1772 قادما من استانبول. وقد وصف المؤرخ البغدادي عبد الرحمن السويدي، الذي شهد احداث هذا الطاعون، الدمار الذي سببه للعراق، وكيف ان المدن والبلدات العراقية كانت تتساقط الواحدة تلو الاخرى تحت ضرباته غير الرحيمة.[3] لقد بلغت قائمة الوفيات الكلية في المرحلة الاولى للهجوم الوبائي قرابة 70.000 شخص. ولم تضم القائمة اولئك الذين ماتوا لاحقا. بعد ذلك انتقل الوباء الى البصرة، حيث هاجم المدينة بعنف، مسببا آلاف الوفيات، بضمنهم عدد كبير من الموظفين الكفوئين في الولاية[4]. وظهر الطاعون

1 Charles Issawi, The Fertile Crescent 1800-1914: A Documentary Economic History, (New York: Oxford University Press, 1988), P. 99.

2 Georg Sticker, Abhandlungen aus der Seuchengeschichte und Seuchenlehre, I. Band: Die Pest, Erster Teil: Die Geschichte der Pest, (Gieben: Alfred Topelmann, 1908), P. 210.

3 عبد الرحمن السويدي، حوادث تأريخ بغداد والبصرة، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، (بغداد: وزارة الثقافة والفنون، 1978)، ص ص 36-38

4 عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، ج6: 1749-1831، طبعة جديدة، (بيروت: منشورات مكتبة الحضارات، 2009)، ص ص 54-55. Issawi, P. 99 ;

في الموصل في السنة ذاتها، ، وقتل، حسب تقديرات تقريبية، 100.000 شخص (من اصل 125.000 من السكان)،[1] اي مايقارب 80٪ من العدد الكلي للأهالي.

وكانت الموجة الوبائية التي اجتاحت العراق في عام 1773 الحدث الاكثر مأساوية في عراق القرن الثامن عشر. فقد اندلع الطاعون في ضواحي بغداد في 19 كانون الثاني 1773، ومن ثم انتشر في المدينة كلها[2]. وقد تراوحت وفياته اليومية في 6 شباط بين 400 الى 500 شخص. وارتفع الرقم في 20 شباط الى 1800 شخص. وبحلول شهر آذار اصبحت بغداد مدينة مهجورة تقريبا. وطبقا لرحالة زار بغداد في عام 1781، اخذ طاعون عام 1773 ثلثي قاطنيها تقريبا، مقلصا السكان الى ما لايزيد عن 25.000 نسمة. ولاحظ الرحالة ايضا اثناء زيارته ان العديد من الاحياء كانت ما تزال مهجورة[3]. وهاجم طاعون عام 1773 كذلك النجف وكربلاء والحلة مما دفع باهلها للهرب الى اماكن اخرى[4]. وامتد الوباء في نيسان الى الاجزاء الغربية في العراق، حيث ظهر في عانه في اعالي الفرات[5]. ومع قدوم موسم الصيف، بدأ الطاعون بالتضاؤل التدريجي الى ان انتهى كليا في بغداد بحلول شهر مايس[6].

1 سليمان صايغ، تأريخ الموصل، الجزء الاول، (القاهرة: المطبعة السلفية، 1923)، ص293

2 "The Universal Magazine of Knowledge and Pleasure", Vol. LII (52), (London: December, 1773), P. 327.

3 Colvill. W. H, Sanitary Reports on Turkish Arabia, in "Transactions of the Medical and Physical Society of Bombay", No. XI, for the year 1871, (Bombay: Education Society's Press, 1872), PP. 43, 45; Sestini, Voyage de Constantinople a Bassora en 1871, Traduit de l' Italien, (Paris: n.d), P.169.

4 "The Universal Magazine of Knowledge and Pleasure", Vol. LII (52), P. 327.

5 Abraham Parsons, Travels in Asia and Africa, (London: 1808), P. 99.

6 "The Universal Magazine of Knowledge and Pleasure", Vol. LII (52), P. 327.

كانت الفاجعة الديمغرافية لطاعون 1773 في بغداد مروعة للغاية. لقد لوحظ ان ارقام الوفيات التي اعطتها بعض المصادر تتباين بشكل كبير. فبينما يعتمد كولفيل، الجراح الملحق بالمقيمية البريطانية في بغداد في سبعينيات القرن التاسع عشر، مستندا على تقدير لوكيل بريطاني، رقما مبالغا للوفيات، يصل الى 1.800.000 شخص[1]، اعطت مجلتين بريطانيتين معاصرتين للحدث ارقاما تتراوح بين 250.000[2] و300.000 وفاة[3].

وزار الوباء ذاته البصرة ايضا، حيث حمل عدواه أناس قادمون من بغداد والنجف. لقد ضرب الداء المدينة من نيسان 1773[4] ولغاية 10 حزيران، حيث كانت الحصيلة مأساوية. فمن مجموع 100.000 من السكان، مات منهم 80.000، وهرب 5.000، وتماثل للشفاء 5.000، فيما نجا 10.000 من الاصابة بالعدوى[5]

على اي حال، تركت القوة التدميرية لهجوم الطاعون الوبائي في عام 1773 تداعيات خطيرة على المجتمع العراقي، عندما نشر الفقر والتشرد وحتى الامراض العقلية بين الناس. لقد كان من المألوف جدا رؤية رجال ونساء في بغداد، سبق وان كانوا يعيشون حياة مترفة، يتجولون في الطرقات، سائلين الناس الصدقات. فيما اصيب آخرون بالكآبة والجنون لفقدهم الوالدين والاولاد والاصدقاء الحميمين والثروة[6]

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 45.
2 "The Scots Magazine", Vol. XXXV (35), (Edinburgh: Murray and J. Cochran, 1773), P. 546.
3 "The Universal Magazine of Knowledge and Pleasure", Vol. LII (52), P. 327.
4 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 45.
5 "The Universal Magazine of Knowledge and Pleasure", Vol. LII (52), P. 327.
6 Parsons, P. 133.

وتفشى طاعون عنيف متقطع في البصرة بحلول صيف عام 1780. وكان انتشاره واسعا وقاتلا في تأثيره. حيث قدرت الوفيات بحدود 25.000[1]. وبعد ثلاث سنوات (في 1783–1784)، تم الابلاغ عن طاعون في كرمنشاه بايران. وقد انفجر لاحقا في السليمانية ومناطق اخرى على الحدود العراقية-الايرانية، ومن ثم في بغداد، لكنه لم يستمر فيها طويلا[2]. وعاود الطاعون ظهوره مرة اخرى في بغداد لعدة شهور في عام 1785، ولم يتوقف الا بعد ان اخذ حياة العديد من الناس. وانتشر الطاعون بشكل مفزع في السليمانية وضواحيها في السنة الاخيرة من القرن الثامن عشر (1799). وقد قضى على مايقرب من 18.000 شخص. وقد دُفن كل ثلاث ضحايا في قبر واحد، فيما لم يتمكن الناس من دفن آخرين، فأكلت لحومهم الكلاب[3].

وبقدر تعلق الامر بالاوبئة، يُعد القرن التاسع عشرالاكثر مأساوية في تأريخ العراق الحديث بسبب تزايد الهجمات الوبائية، وتوطّنها المؤقت، والخسائر البشرية الفادحة. وشهدت دورة القرن هجمة وبائية هائلة في الموصل. فبعد اندلاعه في نصيبين وماردين والجزيرة، في جنوب شرقي الاناضول، وصل الطاعون الى الموصل في نيسان 1800، تاركا تدميرا مروعا، ولم توقفه الا الحرارة المرتفعة لشهر تموز[4]. وضرب الطاعون بغداد في السنة التالية (1801)، مزيلا العديد من علامات الحياة في المدينة. وانتشر الطاعون في بغداد والمناطق المجاورة

1 R. La Roche, Pneumonia: Its Supposed Connection, Pathological and Etiological with Autumnal Fevers; Including an Inquiry into Existence and Morbid Agency of Malaria, (Philadelphia: Blanchard and Lea, 1854), P. 232.

2 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme: Geo-Gla, (Paris: Masson and Asselin, 1882), P. 167.

3 Issawi, PP. 99-100.

4 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 45.

في آذار 1802. ووفقا للمؤرخ العراقي رسول الكركوكلي، الذي شهد احداث هذا الطاعون، كان الوباء يقتل ما لايقل عن سبعين شخصا يوميا. وعلى ما يبدو، فان الحرارة العالية لشهر مايس في العراق قد كبحت تقدمه[1]. وعاود الطاعون ظهوره في العراق في عام 1803. ففي كتابه 'مطالع السعود'، بين ابن سند البصري أن هذا الوباء قد اكتسح بغداد لمدة ثلاثة اشهر، من 25 كانون الثاني الى 23 نيسان، مجبرا غالبية السكان على مغادرة المدينة الى اماكن آمنة اخرى[2]. وضرب الطاعون البصرة بعنف في عام 1821. ويؤكد ابن سند البصري، الذي شهد ذلك التفشي الوبائي، ان فاجعته استمرت لمدة سبع وخمسين يوما، من 3 تموز الى 29 آب، مسببة ترويعا ورعبا بين المواطنين. وطبقا للبصري، قُدرت وفياته بنحو 10.000 شخص[3]. وانتشر الطاعون في الموصل في سنة 1826، وادى الى وفاة اعداد كبيرة من الناس[4].

ان التفشي الوبائي الاكثر فتكا للطاعون في تأريخ العراق الحديث كان في عام 1831. فعلى الرغم من ان الوباء اختار بغداد بؤرة رئيسة لهجومه القاتل، الا أنه توسع لاحقا وشمل عموم العراق. لقد جُلبت عدواه اما من مصر، ومن

---

1 رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، (بيروت: مطبعة كرم، 1964)، ص217 ; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 45.

2 عثمان بن سند البصري، مطالع السعود: تأريخ العراق من سنة 1118 الى سنة 1242 هجرية/ 1774-1826، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف وسهيلة عبد المجيد القيسي، (بغداد: الدار الوطنية للنشر والتوزيع، 1991)، ص253

3 ابن سند البصري، ص ص 338-339

4 صائغ، ص303

ثم عن طريق سوريا الى السليمانية وكركوك ومنها الى بغداد[1]، او من ايران عبر خانقين والسليمانية وراوندوز[2]. وفي كل الاحوال، فانه طبقا لانتوني أن. كروفز، وهو مبشر عاش وشهد رعب الطاعون في بغداد، فقد بدأ الوباء هجومه في 28 آذار 1831، وفاض نهر دجلة في 26 نيسان محطما البيوت بكل اتجاه، لكن فورتي الطاعون والفيضان انحسرتا على نحو متزامن يوم 21 مايس[3].

كانت التداعيات السياسية والاجتماعية والديمغرافية لطاعون عام 1831 كارثية بكل المقاييس. سياسيا، اسهم الطاعون بقوة في تهديم اعمدة الحكم المملوكي في العراق، عندما حرم داود باشا، آخر الحكام المماليك لبغداد، من قصره وجنوده ونخبة قواته. فعمليا، تظافرت جهود الطاعون والفيضان ليزيحاه عن السلطة[4]. اما النتائج الاجتماعية للطاعون فكانت فظيعة للغاية. فقد استئصل الوباء، اما جزئيا او كليا، اعدادا هائلة من العوائل ، كما اضحى آلافا من الاطفال ايتاما وتُركوا في الطرقات بلا مأوى، فيما أُلقيت الجثث على الارصفة في كل مكان. ومن سخريات القدر، ان زالت خلال مجرى الحدث الوبائي كل التقسيمات والتدرجات الهرمية الاجتماعية بين الناس. فلقد تقاسم الفقراء والاغنياء المصير المفجع ذاته[5]. اما الكارثة الديمغرافية فقد كانت مروعة. فمن مجموع سكان بغداد البالغ يومذاك 150.000 نسمة، افنى الطاعون تقريبا 100.000 شخص[6].

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 46.
2 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme, P. 106.
3 Anthony N. Groves, Journal of a Residence at Bagdad during the Years 1830 and 1831, (London: James Nisbet, 1832), PP. 96-97; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 46-47.
4 Ibid; PP. 116, 123, 129.
5 Ibid; PP. 117, 119-121.
6 J. Baillie Fraser, Mesopotamia and Assyria from the Earliest Ages to the Present Time, (New York: Harper and Brothers, 1842), P. 245.

وفي الشمال، عصف طاعون 1831 بالموصل لمدة تقرب من ثلاثة شهور، تاركا المدينة مهجورة تقريبا، فيما قُدرت الوفيات بما لايقل عن 100.000 شخص[1]. والى الجنوب، في البصرة، هُجرت المدينة بعدما بدأ الطاعون بالانتشار، وتشتت تجارها في مناطق مختلفة. وتفشت في غضون تلك المدة اعمال الشغب والفوضى في كل مكان بالولاية[2]. ولم تقتصر اضرار الموجة الوبائية للطاعون على الناحية الديموغرافية فقط؛ انما امتدت ايضا لتعطل الحياة الاقتصادية للولاية. فنتيجة لنقص القوى العاملة، أُهملت بساتين النخيل التي كانت المصدر الرئيسي لثروة تجار البصرة[3].

لقد هز طاعون عام 1831 المجتمع العراقي في الصميم، ولوحظت عواقبه المدمرة لسنوات عديدة لاحقة. فقد زار رحالة بغداد في عام 1837 ووجد انها كانت تتعافى من النائبة التي حلت بها ببطيء. فوفقا لحساباته، لم يكن عدد سكان المدينة يتجاوز آنذاك الاربعين الف نسمة[4].

وتفشى الطاعون مرة اخرى في بغداد في نيسان عام 1832، لكن انتشاره في هذه المرة كان خفيفا. وقد تضائل وانتهى بحلول شهر تموز. وعاود الطاعون ظهوره في بغداد في كانون الثاني من عام 1834، لكن عودته هذه كانت خفيفة

1 Rev. Horatio Southgate, Narrative of A Visit to the Syrian [Jacobite] Church of Mesopotamia; with Statements and Reflections Upon the Present State of Christianity in Turkey, (New York: D. Appleton & Co., 1844), 241.

2 احمد نوري الانصاري، النصرة في اخبار البصرة، تحقيق يوسف عز الدين، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، 1969)، ص ص38-40

3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 47-48.

4 H. Swainson Cowper, Through Turkish Arabia: A Journey from the Mediterranean to Bombay by the Euphrates and Tigris Valleys and the Persian Gulf, (London: W. H. Allen & Co., Limited, 1894), PP. 269-270.

ايضا، وقد انتهى كليا في شهر نيسان. وعُد العراق منذ ذلك التأريخ نظيفا من التفشيات الوبائية للطاعون ولمدة ثلاث وثلاثين عاما[1]، ولم يعاود الوباء ظهوره مرة اخرى لغاية عام 1867.

وكان للكوليرا ايضا دور مميز في التأريخ الوبائي للعراق الحديث. فقد كان النصف الاول من القرن التاسع عشر حافلا باالموجات الوبائية لهذا للمرض. فبينما كانت الكوليرا متفشية في اجزاء عديدة من الهند في عام 1817، جرى توريدها الى مناطق واسعة من العالم، بضمن ذلك اوربا. واثر الوباء بعنف على بومبي في المدة بين 1818 و1820. ومن هناك جُلبت الكوليرا بواسطة السفن الى مسقط في عمان، وبوشهر في ايران، والى البصرة في تموز1821[2]، حيث ساد الوباء فيها لمدة اربعة عشر يوما، مهلكا مابين 15.000 الى 18.000 نسمة، او ما يقارب ربع السكان، منهم 14.000 لقوا حتفهم في غضون اسبوعين[3]. وقد تكدست في تلك الاثناء الجثث في المساجد والشوارع، فيما لاذ معظم اهالي المدينة بالفرار الى الصحراء[4]. و نقلت خلال السنة ذاتها قوارب كانت تبحر في دجلة جرثومة الكوليرا الى بغداد، حيث مات تقريبا ثلث سكانها بسبب التفشي الوبائي. وتسلقت الكوليرا من هناك الفرات لغاية ان بلغت مدينة عانه. وقد

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 49.

2 Edmund Charles Wendt, A Treatise on Asiatic Cholera, (New York" William Wood and Company, 1885), PP. 6, 8; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 56.

3 الكركوكلي، ص298; Rev. Alexander Keith, The Signs of the Times, Vol. 2, 2nd Edition (Edinburgh: William Whyte & Co., 1832), P. 273; "Progress of the Indian Cholera", in "The Methodist Magazine and Quarterly Review", Vol. XVI (16), No. 4, October 1832 (New York: Waugh and T. Mason, 1832), P. 457.

4 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", Edited by Cengiz Eroğlu (et.al), (Ankara: Global Strateji Enstitüsü, 2005), P. 62.

تراجع الوباء في نهاية الخريف وتوقف مع اقتراب موسم الشتاء[1]. واندلعت الكوليرا في عموم ايران في عام 1822، ومن ثم تحركت نحو العراق، ضاربة الموصل في الربيع وبغداد في الخريف[2]. ووردت الكوليرا من ايران ايضا في عام 1846، ووصلت بغداد في 18 ايلول. وقد استمر التفشي الوبائي اربعين يوما ثم تلاشى في 28 تشرين الاول. ويُقدر ان ما لايقل عن 6.000 شخص سقطوا ضحية للوباء.انتقلت الكوليرا من بغداد الى الموصل، حيث أُبلغ عن الاصابات الاولى في 22 تشرين الاول، وبلغت ذروتها في 5 تشرين الثاني. وقد لقي بين 700 و 800 شخص مصرعهم بسبب الوباء. و حدث التفشي الاخير للكوليرا خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر في عام 1847، عندما انفجر الوباء في البصرة في 18 حزيران واستمر لغاية 18 تموز، عندذاك سارت الكوليرا على طول واديي الفرات ودجلة ، فهاجمت اولا النجف وكربلاء والحلة. ثم انتشر الوباء في بغداد في 10 ايلول، حيث سجلت الف اصابة و 150 حالة وفاة، قبل ان يتوقف في 15 تشرين الاول. واندلعت الكوليرا في ثكنات الجيش في ضواحي الموصل في 15 تشرين الثاني، ومن ثم ضربت مركز المدينة لاحقا. وقد توقف الوباء في 11 كانون الاول بعدما قتل 200 من السكان[3].

بالاضافة الى الاوبئة، كان هناك تنوع كبير للامراض الاخرى التي ظهرت في العراق في الفترات العثمانية المتأخرة، مثل الملاريا، والحمى المعوية، والتيفوئيد، والزحار، والاسهال، والحصبة، والحمى القرمزية، والالتهاب الرئوي (ذات الرئة)، والتهاب الشعب الهوائية، والتدرن الرئوي، والجذام وامراض

1 الكركوكلي، ص298; Keith, P. 273.

2 "The Methodist Magazine and Quarterly Review", Vol. XVI (16), No. 4, P. 458; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 57.

3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 57.

اخرى[1]. وقد تركت ْحبة حلبْ معالمها لدى العديد من سكان البصرة في ثلاثينيات القرن التاسع عشر. فيما كانت ْحبة بغدادْ، او كما يسميها البغداديون ْالأختْ، مألوفة جدا لمعظم العراقيين. وقد هاجمت ْالأختْ بلا تمييز الرجال والنساء والاطفال[2]، ووسمت وجوه العديد من سكان العراق لاجيال قادمة.

اقنع الحدوث المتكرر للموجات الوبائية في كل سنة او عقد من السنين في العراق العثماني (انظر جدول رقم 1 و 2) عالم الاوبئة البريطاني دكتور بين ان يصَنف العراق كأحد مناطق الشرق الاوسط التي استضافت امراضا متوطنة، وعلى وجه الخصوص الطاعون. وقد استند الدكتور بين في وجهات نظره على اعتبارات جغرافية وطبيعية واجتماعية[3]. ومن جانبه، اوضح عالم الاوبئة الفرنسي المشهور، ثولوزن، في كتابه ْوباء الطاعون في بلاد الرافدين عام 1867ْ، ان العراق –بسبب التفشي المتواصل للاوبئة- ربما يكون المركز المميز للمعلومات لكل اولئك الذين كانوا يخشون الاوبئة ويريدون ان يعيشوا بأمان[4]. وقد شاطر علماء اوبئة آخرون وجهتي نظر العالمين بين وثولوزن. لقد ربط هؤلاء جميعا بين انتشار الاوبئة في العراق والظروف الجغرافية والمناخية السائدة فيه.

---

1 Andrew Davidson, Geographical Pathology: An Inquiry into the Geographical Distribution of Infective and Climatic Diseases, (Edinburgh & London: Young J. Pentland, 1892), PP. 279-281.

2 George J. H, Evatt, Contributions to the Medico-Military Topography of the Persian Gulf and Valley of the Euphrates and Tigris, Appendix No.1, in " Army Medical Department Report for the Year 1874", Vol. XVI (16), Presented to both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Harrison and Sons, 1876), PP. 190, 197.

3 J. F. Payne, Plague, in "A System of Medicine", Edited by Thomas Clifford Allbutt, Vol. 1, (New York: The Macmillan Company, 1898), P. 922.

4 Tholozan, Une Epidemie de Peste en Mesopotamie en 1867, (Paris: Victor Masson Et Fils, 1869), P. 73.

جدول-1 (تفشيات الطاعون الوبائية في العراق 1689-1834)

السنة	المنطقة	العدد المقدر للوفيات
1689	بغداد	100.000 شخص
1690	بغداد	9.000
1691	البصرة	200. 000
1737	الموصل	غير معروف (الف شخص يوميا)
1739	بغداد	غير معروف
1772	بغداد، البصرة، موصل	بغداد: 70.000، البصرة: غير معروف، الموصل 100.000
1773	بغداد والبصرة	بغداد: بين 250.000 و 300.000، البصرة: 80.000
1780	البصرة	25.000
1783-84	السليمانية	غير معروف
1785	بغداد	غير معروف
1799	السليمانية	18.000
1800	الموصل	غير معروف
1801	بغداد	غير معروف
1802	بغداد	غير معروف (70 شخص يوميا)
1803	بغداد	غير معروف
1821	البصرة	10.000

السنة	المنطقة	العدد المقدر للوفيات
1826	موصل	غير معروف
1831	بغداد، الموصل، البصرة	بغداد: 100.000، الموصل: 100.000، البصرة: غير معروف
1832	بغداد	غير معروف
1834	بغداد	غير معروف

جدول-2 (اندلاعات الكوليرا الوبائية في العراق 1821-1847)

السنة	المنطقة	الرقم التقديري للوفيات
1821	البصرة، بغداد، ومناطق اخرى	البصرة: من 15.000 الى 18.000 شخص، بغداد: غير معروف (ثلث السكان)
1822	بغداد	غير معروف
1846	بغداد والموصل	بغداد: 6000، الموصل: من 700 الى 800 شخص
1847	البصرة، بغداد، والموصل	البصرة: غير معروف، بغداد: 150 شخص، الموصل: 200 شخص

العامل الجغرافي: المناخ والتربة

ان الاوبئة، كما هو الحال بالنسبة لكل انواع الامراض الاخرى، حساسة جدا للحرارة والرطوبة وهطول الامطار. ويمكن لكل واحدة من تلك الظروف المناخية ان تزيد او تقصر من مجرى نمو وتطور الامراض المعدية. طبقا لذلك، ادرك العديد من علماء الاوبئة والاكاديميين وغيرهم صلة المناخ الوثيقة بتفشي الاوبئة في العراق العثماني. ولكي نوضح تأثير المناخ في الاوبئة، سواء من حيث اندلاعها او انتشارها، فانه من الضروري ان نأخذ لمحة عامة عن الظروف المناخية السائدة في ولايات العراق الثلاث، بغداد، والموصل، والبصرة، اثناء العهد العثماني المتأخر.

تشتمل السالنامات العثمانية (الكتب السنوية) لولاية بغداد للمدة من 1876 الى 1913 على بعض البيانات بشان حالة الطقس في مركز الولاية وتقسيماتها الادارية الاخرى. استنادا على هذه البيانات، كان الصيف في ولاية بغداد كالمعتاد حارا جدا، وتراوحت درجة الحرارة في الظل احيانا بين 40 الى 48 مئوية (104 الى 118 فهرنهايت). في الشتاء، كان البرد شديدا، وتراوحت الحرارة المسجلة في بعض السنوات بين 3 الى 4 تحت الصفر (26.6 الى 24.8 فهرنهايت). وكان الهواء في الولاية بشكل عام صحيا وجافا، باستثناء المناطق الجنوبية، حيث الرطوبة العالية في اراضي المستنقعات في الهندية (طويريج) والشامية. كان موسم الصيف يستغرق ستة اشهر، من منتصف نيسان الى بداية تشرين الاول، والخريف من تشرين الاول الى نهاية تشرين الثاني، والشتاء لمدة ثلاثة اشهر، والربيع لمدة شهر واحد. ويبدأ هطول المطر عادة في اواسط تشرين

الثاني، ويستمر الى منتصف نيسان. وعانت الولاية من موجات جفاف من حين لآخر[1]. وقد عُزيت العديد من الامراض التي أُبتلى بها البغداديون الى هذا المناخ المتطرف المتسم بالتباين الكبير في درجات الحرارة[2]. فعلى سبيل المثال، لاحظ احد الاطباء انه عندما طرأ تغير مفاجئ في الطقس في بغداد في حزيران 1859، ارتفع معدل عدد المرضى في المدينة الى مئة شخص يوميا[3].

وفي بلد حار كالعراق، صُنّف مناخ الموصل، ومايزال، على انه معتدل الى حد ما. وتظهر لمحة سريعة عن الفصول الاربعة في ولاية الموصل، كما وردت في سالناماتها للمدة من 1892 الى 1914، ان الصيف في هذه المنطقة كان حارا جدا، وان درجة الحرارة كانت تصل الى 42 مئوية (107.6 فهرنهايت)، واحيانا الى 44 مئوية (111.2 فهرنهايت). اما في الشتاء، فقد سجل مقياس الحرارة في بعض الايام درجة متدنية جدا بلغت 14 مئوية تحت الصفر (6.8 فهرنهايت). وقد اسهم هكذا تباين في درجات الحرارة في انتشار امراض مختلفة على صلة بالمناخ. فحرارة الصيف الشديدة،على سبيل المثال، نشطت امراضا معينة، كالزحار والملاريا، بينما كانت برودة الشتاء القاسية مفضلة لدى امراض معينة كحمى الصدر، والالتهاب الرئوي، والانفلونزا، وامراض رئوية اخرى[4]

وعدت البصرة مناخيا الجزء الاكثر حرارة ورطوبة في العراق العثماني. ووفقا لسالنامات ولاية البصرة ودراسة بريطانية عن الطوبغرافية الصحية-

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", Edited by Cengiz Eroğlu (et.al), (Ankara: Global Strateji Enstitüsü, 2006), P. 84.

2 Evatt, P. 196.

3 Tholozan, P. 22.

4 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", Edited by Cengiz Eroğlu (et.al), (Ankara: Global Strateji Enstitüsü, 2005), PP. 118, 134.

العسكرية لعام 1874، فان موسم الصيف في هذه المنطقة كان حارا وطويل جدا. بينما كانت تهب في الشتاء ريح باردة بشكل قارس. اما هطول الامطار فقد كان قليلا للغاية، بينما كان موسم الربيع قصير جدا، لايتجاوز الشهر الواحد في السنة. وفي منطقة حارة جدا ومحاطة باهوار ومستنقعات كالبصرة، ازدهرت دزينات من الامراض والاوبئة ، بضمن ذلك الطاعون، والكوليرا، والملاريا، والحمى الصفراء، والالتهابات الشعبية، والتهاب الكبد، والزحار، والاسهال، والكزاز، واضطرابات الجهاز العصبي، والحمى المصحوبة بقشعريرة باردة، التي اصابت كل فرد في البصرة يومذاك، مثلما اشار لذلك جراح بريطاني. وفي الواقع، انه في منطقة بمثل تلك المواصفات المناخية، حتى الجروح البسيطة للناس كانت تتطور الى غنغرينا[1].

وبما لاشك فيه ان الطبيعة ذاتها تُوجد في الغالب وسائل اما لنشر الجراثيم او قتلها. ولهذا اوضح بعض علماء الاوبئة تأثير المواسم والقوى الطبيعية على الاوبئة في العراق العثماني. ففي هذا الصدد، اوضح عالم الاوبئة الفرنسي ثولوزن، الذي شخص التفشيات الوبائية الثلاثة للطاعون في العراق في الاعوام 1773، 1800، و1801، بان بداية هذه التفشيات كانت في الشتاء، وتطورها كان في الربيع، وضعفها وانقراضها كان في الصيف. لقد اعتقد ثولوزن ان الحرارة العالية لصيف العراق قد لطّفت دائما وقللت واوقفت التفشيات الوبائية للطاعون. وسارت الكوليرا على القاعدة ذاتها؛ فقد كانت تتلاشى تماما في

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", PP. 85, 149-151; Evatt, P. 190.

فترات الحرارة العالية، وتعاود الظهور في مواسم الخريف والشتاء والربيع[1]. ومع ان الافتراض الوارد الذكر يبدو معقولا، الا انه لايمكن ان ينطبق على كل الموجات الوبائية في العراق في العهد العثماني المتأخر. فقد لوحظ ان من بين سبعة تفشيات للطاعون حدثت خلال المدة بين 1773 و1834، بدأ اثنان فقط نشاطهما في كانون الثاني، بينما اندلعت الخمسة البقية في الربيع وانقرضت في الصيف (انظر جدول-3). كما لوحظ ايضا ان مدة حياة موجات الطاعون الوبائية قد تراوحت بين ثلاثة الى خمسة اشهر. اما فيما يتعلق بالكوليرا، فانه من بين اربع تفشيات وبائية حدثت في العراق في المدة بين 1846 و1847 (انظر جدول-3)، انفجرت واحدة فقط في صيف عام 1847 وتوقفت خلال الموسم ذاته، بينما بدأت الثلاث الاخرى وانتهت في الخريف. وبمراقبة دورة حياة التفشيات الوبائية للكوليرا، يتبن انها كانت اقصر من تلك التي للطاعون؛ اذ لم تتجاوز كل دورة تفشي الشهرين.

جدول- 3 (دورة حياة التفشيات الوبائية في العراق 1773-1847)

الوباء	السنة	المنطقة	البداية	الانقراض
طاعون	1773	بغداد	كانون الثاني	مايس
طاعون	1773	البصرة	نيسان	حزيران
طاعون	1800	الموصل	نيسان	تموز
طاعون	1802	بغداد	آذار	مايس
طاعون	1831	بغداد	آذار	مايس

1 "The London Medical Record: A Reviw of the Progress of Medicine, Surgery, Obstetrics, and the Allied Sciences", Vol. III, February 17, 1875, (London: Smith, Elder & Co., 1875), P. 160.

الانقراض	البداية	المنطقة	السنة	الوباء
تموز	نيسان	بغداد	1832	طاعون
نيسان	كانون الثاني	بغداد	1834	طاعون
تشرين الاول	ايلول	بغداد	1846	كوليرا
تموز	حزيران	البصرة	1847	كوليرا
تشرين الاول	ايلول	بغداد	1847	كوليرا
كانون الاول	تشرين الثاني	الموصل	1847	كوليرا

وهكذا، فأنه بغض النظر عن استثناءات قليلة، كان الربيع الموسم المفضل والمثالي للطاعون ليشن هجماته في العراق، بينما اسهمت حرارة الصيف العالية وبرودة الشتاء الشديدة في انقراضه، مثلما اكد على ذلك اغوست هيرش، بروفيسور الطب في جامعة برلين في ثمانينيات القرن التاسع عشر. ويلاحظ هيرش أن موجات الطاعون الوبائية في العراق من 1867 الى 1877 كانت جميعها تقريبا تبلغ الذروة بين شهري آذار ومايس[1]. وعلى الاغلب، عجّلت درجة حرارة 40 مئوية (104 فهرنهايت) في العراق في انقراض الطاعون[2]،

1 August Hirsch, Handbook of Geographical and Historical Pathology, Vol. 1: A Cute Infective Diseases, Translated from German by Charles Creighton, (London: The New Sydenham Society, 1883), P. 516.

2 "The British Medical Journal", (B.M.J سنرمز لها لاحقا), Vol.1, No. 1220, (London: May 17, 1884), P. 964.

وضمنت برودة الشتاء القاسية نهاية للكوليرا[1]، فيما اوقفت مواسم انحباس الامطار الجدري، لان طفيلياته تعتمد على الرطوبة[2].

اما بخصوص صلة التربة بالاندلاعات الوبائية في العراق العثماني، فأن هنالك اسبابا عدة اوحت لعلماء الاوبئة لان يعطوا التربة مكانة مميزة في دراساتهم عن الامراض الوبائية، ولاسيما الطاعون. لقد استندت واحدة من الحجج التي دعمت نظرية التربة على حقيقة ان الوباء كان احيانا يعاود هجماته ضد بقعة واحدة معينة او اكثر. وبهذا يمكن تصنيف هذه البقع على انها 'مناطق متوطنة'، بسبب انتشار الوباء فيها في فترات متعاقبة، وبشكل ادق في ذات البقع، وربما حتى في ذات البيوت[3].

وبتأثير هذه النظرية، عُزيت التفشيات الوبائية للطاعون او الامراض المعدية الاخرى في بلدان الشرق الاوسط لاسباب ذات صلة بمجموعات بشرية تعيش على ترب غرينية، او اراضي مستنقعات قرب البحر المتوسط، او قرب انهار معينة كالنيل او الفرات[4]. وعلى هذا الاساس، يُعتقد بان نسبة الوفيات في ولايتي بغداد والبصرة، اللتين تقعان على واديي دجلة والفرات، ومحاطتين بترب

1 C. Macnamara, A History of Asiatic Cholera, (London: Macmillan and Co., 1876), P. 2.

2 Andrew Davidson, The Seasonal Fluctuation of Epidemic Diseases, "Public Health, the Journal of the Incorporated Society of Medical Officers of Health", Vol. IX (9): October, 1896 to September 1897, No. 10, (London: July, 1897), P. 330.

3 J. F. Payne, Vol. 1, P. 923.

4 Report on the Plague, "Provincial Medical & Surgical Journal", Vol. III, No. 15, (London: April 15, 1846), P.174.

غرينية وجو رطب، كانت مخيفة على نحو خاص[1]، نتيجة لانتشار اشد انواع الحميّات[2].

لقد حظيت نظرية التربة هذه بثقة العالم الفرنسي ثولوزن التامة[3]. لذا لاغرابة ان اعلن ان جنوب العراق قد كان لقرون مضت منطقة لطاعون متوطن[4]. لقيت وجهة نظر ثولوزن تلك دعما من قبل عالم الاوبئة البريطاني، جي. اف. بين، الذي على غرار ثولوزن، عزا الحدوث المتكرر للطاعون في اية بقعة الى بكتريا تكمن في التربة بشكل دائم، والى كائنات بشرية تكتسبها من خلال قنوات اتصال معينة. ولهذا السبب، صنّف العالم بين الطاعون على انه مرض تربة[5]. وبخلاف ثولوزن ومسانديه، فضل البروفيسور الالماني هيرش ان يربط الطاعون بنقص النظافة العامة اكثر من اية مميزات للتربة. لقد لاحظ هيرش ان تفشي الوباء على صلة وثيقة بالمؤثرات الضارة لنقص النظافة. كما بين هيرش ايضا، ان الطاعون كان في الغالب، واحيانا على نحو حصري، يهاجم الناس الاكثر فقرا[6]، حيث تتدنى النظافة بينهم وتضمحل.

على اي حال، لم يكن المناخ والتربة العنصرين الوحيدين اللذين مهدا الطريق لظهور الاوبئة في العراق في العهد العثماني المتأخر. لقد اسهمت الكوارث الطبيعية، بضمن ذلك الفيضانات والمجاعات ايضا بشكل مؤثر في

---

1 "The Museum of Foreign Literature and Science", Vol. XX (20), (Philadelphia and New York: January 1832), P. 56.

2 "The Lancet", Vol. 2, For 1842-1843, (London: John Churchill, 1843), P. 354.

3 "Weekly Abstract of Sanitary Reports" (W. A. S. R سنرمز لها لاحقا), Vol. 5, No. 35, (Washington D. C: Government Printing Office, 1890), P. 386.

4 "The London Medical Record", Vol. III, February 17, 1875, P. 106.

5 Payne, P. 923.

6 Hirsch, Vol. 1, P. 522.

انتشار الاوبئة والامراض في العراق اثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. لقد حفل هذان القرنان بالعديد من الكوارث الطبيعية التي جلبت وبشكل دوري النوائب والمحن لولايات العراق العثماني.

الكوارث الطبيعية: الفيضانات والمجاعات

كان العراق طوال تأريخه الحديث عرضة للعديد من الفيضانات التي جلبت الاضرار الفادحة لمناطق واسعة من هذا البلد، وفاقمت خطورة الاوبئة والامراض، واسهمت في انتشارها على نطاق واسع. ولتوضيح الاثر التدميري للفيضانات في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر، فانه من الضروري ان نعرف ان عشرين فيضانا قد غمرت بغداد من 1840 ولغاية 1907[1]. وغالبا ماكان الفيضان والطاعون يهاجمان في وقت متزامن، ناشرين الخراب في كل مكان. كان هذا 'الثنائي المفجع' يتشكل في العادة في اواخر الربيع، الموسم المفضل لدى كل من الطاعون والفيضان ليستعرضا قوتهما التدميرية، حيث كان الاول يقتل الناس، بينما يغمر الآخر، مثلما يفعل موسميا في كل ربيع، الاراضي المأهولة بالسكان. فمثلا، عندما هاجم الطاعون بغداد وبعض المناطق الى الجنوب في السنوات 1822 و1831 و1876، فاضت مياه دجلة والفرات على نحو استثنائي، ملحقة الضرر بالمحاصيل الشتوية والصيفية، ومدمرة بيوت الناس الذين هربوا من الطاعون، وناشرة الوباء في العديد من مناطق المستنقعات الى الجنوب من بغداد. وكأنموذج للتدمير المأساوي الذي تجلبه الكوارث الطبيعية وصلة ذلك بالاوبئة، فقد انهارت 700 دار على رؤوس ساكنيها خلال فيضان بغداد عام 1831، فيما دفن قرابة 15.000 بين انقاضها، وكان العديد منهم اما مرضى او

---

1 Issawi, P. 105.

يحتضرون بسبب الطاعون[1]. لقد تحولت تلك الجثث المصابة بالطاعون الى عوامل جديدة لنقل الوباء ونشره في اماكن اخرى من بغداد.

وكان جرف القبور واجداث الموتى من المقابر وسائل اخرى اسهمت من خلالها الفيضانات بنشر الاوبئة. فمثلا، عندما غمر دجلة بغداد والضواحي في عام 1894، اضحت معظم المقابر تحت الماء، فيما طُرحت الجثث والاكفان خارجا، فكان ذلك فرصة جديدة لنشر الامراض المعدية[2]، ولاسيما الكوليرا التي كانت رائجة في العراق من مايس الى تشرين الثاني 1893[3].

وبسبب الصلة الوثيقة بين الطاعون والفيضانات في العراق، عد غالبية سكان بغداد وكذلك السلطات الصحية الفيضانات نذير شؤم لهم. لقد كان هناك اعتقاد سائد بينهم بان اي فيضان لابد ان يتلوه طاعون. ولذلك، فان معظم البغداديين عندما فاض دجلة في عام 1894، توقعوا ان وباءا مرعبا سوف يداهم مدينتهم في الموسم القادم[4].

من ناحية اخرى، تكمن العلاقة الاساسية الرابطة بين الكوليرا والفيضانات في العراق العثماني في ميل الكوليرا لان تحدث في دلتاوات او احواض الانهر وكذلك في المناطق التي يغمرها الفيضان[5]. فبعد كل فيضان كانت تخضع بغداد لبرك مياه راكدة. وكانت تلك البرك تسَمم الهواء وتمهد الطريق

1 "The Penny Magazine of the Society for the Diffusion of Useful Knowledge", No. 106, (London: November 30, 1833), P. 459; Habib Chiha, Province de Bagdad (Caire: El-Maaref Press, 1908), P. 75; Issawi, P. 102.

2 (W. A. S. R), Vol. 9, No. 31, August 3, 1894. P. 601.

3 (W. A. S. R), Vol. 9, No. 33, August 17, 1894. P. 661.

4 (W. A. S. R), Vol. 9, No. 31, August 3, 1894. P. 601.

5 Charles Alexander Gordon, Notes on the Hygiene of Cholera for Ready Reference, (Madras: Gantz Brothers, 1877), PP. 26-27.

لنشر الاوبئة والامراض[1]. وهكذا، فأن كل فيضان جعل الانتشار الوبائي للكوليرا امرا محتملا، مثلما اشار الى ذلك قنصل الولايات المتحدة في بغداد في مايس 1894[2]. وعانت البصرة وضواحيها خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر من المشكلة ذاتها. لقد اسهمت الفيضانات التي كانت تحدث عادة في المناطق المتاخمة للمدينة في بداية كل صيف بنشر امراض الملاريا والحمى المتقطعة[3].

اما بالنسبة للمجاعات، فقد لوحظ حدوثها باستمرار في تأريخ العراق الحديث. ان واحدة من الحقائق الثابتة وهي ان العراق بلد ذو موارد مائية هائلة، بضمن ذلك نهري دجلة والفرات، تجعل من الصعب ان ننسب المجاعات الى الجفاف. وفي الواقع، انه بالامكان نسبة اغلب المجاعات التي حدثت في العراق العثماني الى اربعة عوامل: الاول، الحصارات التي كان يفرضها الغزاة على المدن العراقية، كحصارعام 1733 الشهير، عندما طوقت القوات الايرانية بغداد، وعانى الناس، بسبب الشح الشديد في الغذاء، من مجاعة قاتلة ارغمت بعضهم على اكل اللحوم الفاسدة والمتعفنة للحيوانات النافقة، مما سبب لهم امراضا عديدة[4]. العامل الثاني، ان فيضانات نهري دجلة والفرات في اشهر آذار ونيسان ومايس من كل عام، كانت تلحق دمارا بالمحاصيل الزراعية غير الناضجة[5]. هنا

1 Andrew Davidson, Geographical Pathology, P. 278; Issawi, P. 122.
2 (W. A. S. R), Vol. 9, No. 25, June 22, 1894. P. 439.
3 Evatt. P. 190 .
4 علي الوردي، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث، ج1: من بداية الحكم العثماني الى منتصف القرن التاسع عشر، (بغداد: مطبعة الارشاد، 1969)، ص ص111-113
5 William Gordon East, The Geography Behind History, Reissued (New York: W. W. Norton & Company, 1999), PP. 133-134.

يمكن ان نعطي مثلا من سنة 1831 المريعة. فبعدما انتشر الطاعون في بغداد وغمرت مياه دجلة الاراضي الزراعية، ضربت المجاعة المدينة نتيجة لتلف المحاصيل اثناء موسم الحصاد. لقد ضاعف هذا الحدث التأثير المدمر للطاعون، وجلب الفقر المدقع للسكان[1]. العامل الثالث، كان التقلبات المناخية العارضة. فمثلا، ان المجاعة التي حدثت في الموصل في عام 1756 قد جاءت في اعقاب موجة برد شديدة استثنائية[2]. اما العامل الرابع فيمكن ان يُعزى الى دور الحشرات التخريبي. لقد تغاضى الكثير من المؤرخين عن دور الجراد المدمر في تاريخ العراق العثماني. فمثلا، في المدة من 1725 الى 1878 أُبتليت الموصل بست مجاعات. ثلاث منها، في الاعوام 1725، 1757، و 1829، سببتها هجمات لاسراب هائلة من الجراد حطمت المحاصيل اثناء مواسم الحصاد، مسببة مجاعات افنت اعدادا كبيرة من الناس واجبرت آخرين على ان يغادروا الولاية الى اماكن اخرى[3].

وتستند العلاقة الافتراضية التي تربط بين المجاعات والاوبئة في الحقيقة على الصلة القائمة بين هجرة ناس من بقعة جغرافية معينة ضربتها مجاعة، ووباء كانوا يحملون عدواه الى مناطق نظيفة من الداء. لقد حدث مثل ذلك في عام 1689، عندما تعرضت الموصل واجزاء اخرى من العراق لمجاعة شديدة اجبرت الناس على ان يهربوا من الفاجعة ويتدفقوا على بغداد، جالبين عدوى الطاعون

1 "The Penny Magazine of the Society for the Diffusion of Useful Knowledge", No. 106, p. 460.

2 صائغ، ص290

3 المصدر نفسه، ص ص272، 303، 314-315; Rev. Horatio Southgate, Narrative of A Tour Through Armenia, Kurdistan, Persia, and Mesopotamia, Vol. 2, (New York: D. Appleton & Co., 1840), P. 240.

معهم[1]. وهكذا يتضح ان الفيضانات والمجاعات، بالاضافة الى دورها التقليدي في تدمير مختلف اشكال الحياة في العراق، اشتملت ايضا على سمات سلبية اخرى، وبالتحديد تلك التي على صلة وثيقة بالاوبئة. ومن المؤكد ان هكذا سمات قد ادت الى توسيع نطاق الاوبئة وتفاقم تداعياتها على الصحة العامة في العراق طوال العهد العثماني المتأخر.

1 Issawi, P. 99.

المستويات المتدنية للنظافة والصحة العامة

عانت اغلب المدن والبلدات والقرى العراقية اثناء الفترات العثمانية المتأخرة من نقص النظافة والاوضاع السيئة للصحة العامة، ممهدة بذلك الطريق لانتشار الامراض والاوبئة المختلفة. وقد اشار المجلس الصحي في استانبول في تقريره بشأن تفشي الكوليرا في العراق في عام 1881، بأن غالبية سكان العراق كانوا يعيشون في اكواخ من الطين محاطة بكل انواع القاذورات[1]. ووصفت مجلة طبية امريكية مدن وبلدات العراق في السنة ذاتها، بانها "قذرة بشكل لايتصوره عقل امريكي او اوربي لم يسبق له ان زار بلاد الشرق؛ فهناك نقص تام في التقدير والاعتراف باي شيء يمثل النظافة او التحوطات الصحية"[2]. واوضح آر. بومان، الجراح الملحق بالمقيمية البريطانية في العراق، في مذكرته المؤرخة في 20 كانون الثاني 1890، ان قذارة اغلب بيوت بغداد، ومياهها غير الصالحة للشرب، وعيوب صحية اخرى، "جعلت هذه المدينة مرتعا مزدهرا لاي وباء قد يزورها"[3]. اما البصرة فقد وصفها رحالة بريطاني زار المدينة في عام 1824، بالقول: انها "المدينة الاقذر في الممتلكات التركية"، وان شوارعها لم تكن تطاق بسبب الروائح النتنة[4]. وكانت الاوضاع الصحية للقرى العراقية في غضون المدة ذاتها اسوأ بكثير من تلك التي في البلدات الصغيرة. لقد كانت معظم اكواخ هذه

1 "B. M. J", Vol. 1, No. 1058, (London: April 9, 1881), P. 566.
2 "St. Louis Courier of Medicine and Collateral Science", Vol. V, No. 6, (St. Louis, Mo.: Jas. H. chambers & Co., 1881), P. 508.
3 "B. M. J", Vol. 1, No. 1531, (London: May 3, 1890), P. 1031.
4 George Keppel, Personal Narrative of A Journey from India to England in the Year 1824, (Philadelphia: Carey, Lea & Cary, 1827), P. 49.

القرى قذرة وتعج باعداد كبيرة من البراغيث، الوكلاء الفاعلين في نقل ونشر عدوى الطاعون الذي كان يتفشى باستمرار في العراق[1].

وفي ظل غياب خدمات بلدية، افتقرت المدن العراقية للنظافة والجهود للحفاظ على الصحة العامة. على سبيل المثال، تأسست البلدية الاولى في بغداد في عام 1868. وركزت بعض واجبات مجلس بغداد البلدي، الذي تأسس في وقت لاحق، على نظافة المدينة ولاسيما اماكنها العامة، وعلى مراقبة الاوضاع الصحية[2]. لكن بقيت الخدمات البلدية في بغداد محدودة بشكل عام، ولم يتخط عدد منظفي الشوارع (الكنّاسين)، الذين تم توزيعهم في عام 1868على اماكن مختلفة من المدينة، الثلاثين فرداً[3]. وخلال حكم الوالي مدحت باشا (1869-1872)، اُتخذت اجراءات اصلاحية معينة، مثل تجفيف مناطق المستنقعات حول بغداد التي كانت تسبب الحميّات، واقامة مؤسسات بلدية للانارة والشرب في المراكز الرئيسية[4]، واستخدام العربات في جمع النفايات من احياء بغداد والقائها خارج المدينة[5]. وقد اتبّع الولاة العثمانيون الاخرون لبغداد اجراءات مدحت باشا الاصلاحية، في محاولة منهم لتحسين النظافة ورفع مستويات الصحة العامة في بغداد والمدن الاخرى. وكان احد ابرز هؤلاء الوالي ناظم باشا (1910-

1 E. H. Hankin, On the Epidemiology of Plague, "The Journal of Hygiene", Vol. 5, No.1, (Cambridge: January 1905), P. 49.

2 جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد 1869-1917، الطبعة الاولى، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991)، ص ص255، 260

3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 72.

4 Ali Haydar Midhat Bey, The Life of Midhat Pasha, (London: John Murray, 1903), PP. 51-52.

5 عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة 1869-1917، الطبعة الثانية، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1999)، ص187

1911)، الذي منع البغداديين من القاء النفايات في الشوارع وامر بردم الخنادق المحيطة ببغداد، التي كانت مصدرا للقذارة والجراثيم[1].

بالاضافة الى مشكلة النظافة، مثلت المياه الملوثة التي كان يستخدمها الاهالي للشرب احد التحديات الخطيرة الاخرى للصحة العامة في المدن العراقية اثناء الحكم العثماني. ففي هذا الصدد، كتب قنصل الولايات المتحدة في العراق، جون ساندبرغ، في 18 مايس 1893 بشأن الاوضاع الصحية في بغداد، مشيرا الى ان المياه المستخدمة محليا كانت تؤخذ من مكان على دجلة، حيث مئات الحمير والرجال يتبولون ويتغوّطون كل يوم. ان قطعا صلبة من البراز كانت تُنقل في الغالب الى البيوت في الماء، مثلما ذكر القنصل[2]. وقد تطرق ساندبرغ مرة اخرى لقضية المياه الملوثة في بغداد في تقريره المعنون رسالة من بغداد المنشور في عام 1894. لقد انتقد ساندبرغ بشدة سلطات بغداد العثمانية لفشلها في تزويد اهالي المدينة بالماء الصالح للشرب، واصفا الموضع الذي كان يُجلب منه الماء الى بغداد بانه بقعة القذارة المتراكمة لعصور. وأن رؤيته تكفي لاعطاء المرء رهاب مائي، مثلما صور ساندبرغ الموضع على نحو ساخر[3]. بالاضافة الى ذلك، كانت مياه دجلة في بغداد عرضة للتلوث البيئي. فلطالما كانت الماشية النافقة تطفو فيها باستمرار مفسدة الهواء والماء معا[4]. وعانى مواطنو مدينة الموصل المشكلة ذاتها.

1 الوردي، ج3: 1876-1914، ص175

2 (W. A. S. R), Vol. 8, No. 25, June 23, 1893. PP. 499-500.

3 John C. Sundberg, A Letter from Bagdad, "The Annals of Hygiene", Vol. IX (9), No. 11, (Philadelphia: November 1894), P. 648.

4 (W. A. S. R), Vol. 9, No. 38, September 21, 1894. PP. 826.

فقد كانت المياه غير الصالحة للشرب تُجلب لهم بحاويات من الجلد (قربة) على ظهور الحيوانات من المياه الموحلة في دجلة[1].

ولتجنب الامراض والاوبئة الناجمة عن المياه الملوثة، انشأ والي بغداد، سري باشا (1888-1891)، في عام 1889 حوضا كبيرا للماء قرب محلة الفضل لتزويد اهالي المدينة بالمياه الصالحة للشرب. ونُصبَت في بغداد في عام 1907 اثناء عهد الوالي حازم باشا (1907-1908)، مضخة على ضفة نهر دجلة قرب محلة الميدان لتجهيز بيوت بغداد بالماء. ولقيت هذه الاجراءات ترحيبا حارا من اهالي المدينة[2].

وبالرغم من الجهود الاصلاحية المذكورة سابقا، فان المستوى المتدني للنظافة والصحة العامة في العراق عموما قد تواصل لغاية السنة الاخيرة من الحكم العثماني. فاستنادا لتقرير تم اعداده في عام 1918 من قبل خبراء صحيين واكاديميين من جنسيات مختلفة بشأن الاوضاع الصحية في بعض المناطق العثمانية، فان طرق التخلص من مياه الصرف الصحي في العراق كانت هزيلة للغاية، ولاتلبي متطلبات الصحة العامة. وبالنسبة لتجهيز المياه، اوضح التقرير انه لم تكن هناك مدينة او بلدة في العراق لديها نظام مياه تحت مراقبة وتوجيه الحكومة[3].

---

1 "Memoir of Rev. Henry Lobdell, M.D., Late Missionary of the American Board at Mosul: Including the Early History of the Assyrian Mission", Edited by Rev. W. S. Tyler, (Boston: The American Tract Society, 1859), P. 171.

2 العلاف، ص ص 75-77

3 "Health and Sanitary Conditions in Turkey", in "Reconstruction in Turkey: A Series of Reports Compiled for the American Committee of Armenian and Syrian Relief", Edited by William H. Hall, (New York: 1918), PP. 68, 70.

في الواقع، انه لغاية الايام الاخيرة للعثمانيين، كان اداء السلطات الـصحية المحلية في العراق، خصوصا ما يتعلق بالنظافـة والـصحة العامـة، قاصـرا الى حـد كبير، مما ساعد على انتشار الاوبئـة القاتلـة في كـل اجـزاء الـبلاد وبـين شـرائح المجتمع، ولاسيما الفقراء الذين كانوا في الغالب الفئـة الاكثـر ابـتلاءا بالهجمـات الوبائية.

الفقر وتدني المستوى المعاشي للسكان

تُظهر كثرة من الادلة ان القذارة والفقر والسكن غير الصحي وسوء التغذية قد اوجدت الظروف التي ادت الى انتشار الاوبئة في العراق في العهد العثماني المتأخر. وللحقيقة، فان كل هذه الظروف كانت موجودة في بغداد ومدن وبلدات عراقية اخرى، حيث احتشد فقراء الاحياء الضيقة (الدرابين) في غرف صغيرة او بيوت وصفت من قبل رحالة عربي زار بغداد في عام 1887، بانها أقفاص دجاج. وهذا التحشد السكاني ناجم عن ميل الفقراء والقرويين المضطهدين للهجرة الى البلدات والمدن، املا في الحصول على عمل وتحسين مستويات معيشتهم[1].

ان الفقر والفاقة بديا اكثر سوءا في مستوياتهما في ضواحي بغداد والمناطق التي تقع الى الجنوب منها، حيث كان الرجال والنساء والخيول والحمير والجواميس، الخ، ينامون سوية تحت خيم وفي اكواخ مغطاة بسعف النخيل. أن هذه المخلوقات التعيسة تعيش بشكل كامل على الشعير والرز والتمور والاسماك المتعفنة، على حد وصف مراسل فرنسي[2]. ونتيجة للفقر المدقع، فأن غالبية سكان هذه المناطق مارسوا من الاعمال والمهن ما هو ادناها واكثرها خطرا على الصحة. فمثلا، اوضح نائب القنصل الامريكي في بغداد في برقية مرسلة الى وزارة الخارجية الامريكية بتأريخ كانون الثاني 1904، ان الناس

1 نابليون المارديني، تنزه العباد في مدينة بغداد، (بيروت: المطبعة اللبنانية، 1887)، ص ص51-52. "Health and Sanitary Conditions in Turkey", PP. 70-71;

2 "B. M. J", Vol. 2, No. 936, (London: December 7, 1878), P. 848.

الفقراء في بغداد واماكن اخرى كانوا يعملون لمصلحة تجار محليين في جمع براز الكلاب من الشوارع، حيث يُصَدر الى الولايات المتحدة لاستخدامه لاحقا كسماد. واضاف نائب القنصل ان مئات من جامعي براز الكلاب قد لقوا حتفهم بعدما اصيبوا بالكوليرا[1]. ان المستوى المعاشي المتدني للفقراء وتكدسهم في احياء تنقصها النظافة والهواء النقي، الضروريان لتقليل خطر العدوى الوبائية، قد ضمن بان تلك البقع المكانية ستكون الاولى التي قد يضربها الطاعون[2].

وللاسباب المذكورة سابقا ذاتها، كان فقراء الموصل عرضة لامراض مختلفة، كما ذكر رحالة اجنبي زار المدينة في عام 1852 [3]. ان الصلة الوثيقة بين الفقر والاوبئة يُمكن رؤيتها ايضا في الحلة. ففي عام 1877، كانت بيوت هذه المدينة منخفضة، ومحصورة في نطاق ضيق، وتهويتها سيئة جدا. واكثر من ذلك، كان سكان الحلة يحتفظون بخيولهم ودواجنهم وجواميسهم في بيوتهم. لقد كانت هذه الحيوانات المصدر الرئيسي لمعيشة الفئات الفقيرة، اذ كانوا يبيعون الحليب والبيض الى الاغنياء لكي يوفروا غذائهم الذي يتكون في العادة من خبز الشعير

1 "American National Archives", (A.N.A سنشير لها فيما بعد), Dispatches from United States Consuls in Baghdad 1888-1906, Micro-Copy No. T-509, Roll. 2, Vol: 2, January 11, 1900- July 23, 1906, (Washington: The National Archives and Records Service, 1961), Serial number in micro-film roll: 474-477, From: Vice-Consul of the United States, Baghdad, To Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Dispatch No. 239, dated December 8, 1904.

2 Grattan Geary, Through Asiatic Turkey: Narrative of A Journey from Bombay to the Bosphorus, Vol. 1, (London: Sampson Low, Marston, Searle & Rivington, 1878), PP. 131-132.

3 Lobdell, P. 174.

والتمور والبصل واحيانا اسماك متفسخة. ولهذه الاسباب وغيرها، عانت الحلة من هجمات متكررة للطاعون[1].

وبسبب ان الفقراء طوال التأريخ البشري وفي كل مكان كانوا اكثر المتأثرين بالطاعون، وصف هذا الوباء بانه 'مرض الرجل الفقير الذي لم يذهب قط الى الطابق العلوي'[2]، في اشارة الى الاغنياء. وفي احدى تقاريره التي قُدمت الى هيئة الصحة في استانبول في المدة 1878-1879، وصف الدكتور كابيادس، الذي خدم في العراق العثماني، الطاعون بانه 'داء التعساء' او 'طاعون الفقراء'[3]. فمن خلال تجربته مع الهجمات الوبائية للطاعون، وجد دكتور كابيادس انه من النادر ان ادّخر الطاعون حياة الفقراء، بينما هو قلّما هاجم الاغنياء. وبخلاف الطاعون، بدت الكوليرا اقل تمييزا في هجماتها القاتلة. فبالرغم من انها كانت تُفضل الفقراء، إلا أنها لم تدّخر حياة الأغنياء[4]. على اي حال، لقد كان الطاعون قاتلا غير رحيم للفقراء، لان القذارة والجهل ازدهرا بينهم، وادّخر حياة الاغنياء في اغلب الاحيان، لان وسائل النظافة والوعي الصحي توفرت لديهم.

---

1 E. D. Dickson, Observations on the Characters of Epidemic Plague in Mesopotamia in 1876-1877, "The Medical Times and Gazette. A Journal of Medical Science, Literature, Criticism, and News", Vol. 1: For 1879, (London: J. A. Churchill, 1879), P. 254.

2 Robert Lawson, The Milory Lectures on Epidemics Influences on the Epidemiological Aspects of Cholera, (London: J. & A. Churchill, 1888), P. 50.

3 "The Journal of the American Medical Association" Vol. XXII (22), No. 25, (Chicago: June 23, 1894), P. 960.

4 Dickson, Observations on the Characters of Epidemic Plague in Mesopotamia in 1876-1877, P. 254.

وتتجلى اوضح صورة للسلوك التمييزي للطاعون من خلال الهجمات التي شنها ضد بغداد في العام 1876. في ذلك الوقت، هاجم الطاعون الفقراء بشكل محدد. لقد لاحظ الجراح البريطاني كولفيل يومذاك انه ولا حتى واحد بالمائة من هؤلاء الذين هاجمهم الطاعون كانوا يعيشون في البيوتات الراقية للمجتمع البغدادي[1]. وبذلك اثبت الطاعون انه كان داءا تمييزيا، يحابي الفئات العليا ويناوئ الفئات الدنيا من المجتمع.

مما لاشك فيه، ان المستويات المتدنية للمعيشة في العراق في تلك المدة قد ضاعفت من نسب الوفيات، ولاسيما بين الفقراء من سكان المدن والقصبات والارياف. فضلا عن ذلك، فان عدم كفاءة المؤسسات الصحية ونقص الكادر الطبي المتمرس قد اسهما ايضا الى حد كبير في تفاقم الموجات الوبائية التي كانت تكتسح العراق من حين لآخر في اواخر العهد العثماني.

1 Colvill, Plague in the Province of Baghdad 1876-1877, "Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague: Prepared from Time to Time by Direction of the President of the Local Government Board, with Other Papers", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: George E. Eyre and William Spottisw Jode, 1879), P. 41.

نقص وعدم كفاءة المؤسسات الصحية والملاك الصحي

كانت ولايات العراق الثلاث تحت الحكم العثماني تفتقر الى مؤسسات صحية متطورة، وخصوصا المستشفيات. لقد كان بامكان هكذا مؤسسات ان تؤدي دورا فاعلا في تقليص الامراض والهجمات الوبائية التي كانت تستهدف سكان العراق من حين لآخر. ولم يكن في بغداد ومناطق اخرى لغاية نهاية الحكم العثماني في عام 1918، سوى عدد محدود من المستشفيات القديمة الطراز التي لم تعد تتماشى يومذاك مع التطورات العالمية التي حدثت في المجال الصحي اثناء القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وقد أسس الوالي مدحت باشا المستشفى المدني الاول في العراق وافتتحه في عام 1872. وكان هذا المستشفى في الواقع اقرب الى 'دار عجزة' منه الى مستشفى، وكان قد خُصص اصلا للاشخاص المسنين الذين لم يكن لديهم اقرباء يقدمون لهم الرعاية المطلوبة. ولهذا السبب، أُطلق عليه اسم 'مستشفى الغرباء'[1]، او 'مستشفى الفقراء'[2]. وبعدما غادر مدحت باشا بغداد، أهمل هذا المستشفى، رغم ان جهودا عديدة بُذلت لتجديده. وتأسس مستشفى مدني آخر في بغداد في عام 1901 اثناء عهد الوالي نامق باشا الصغير (1899-1902)، وتم تجهيزه

1 الوردي، ج3: 1876-1914، ص250

2 "Redhouse Yeni Türkçe – Ingilizce Sözlük", Altıncı Baskı, (İstanbul: Ahmet sait Matbaası, 1983), P. 416.

بادوات جراحية ومعدات طبية أستوردت من اوربا[1]. بالاضافة لهذين المستشفيين المدنيين، أنشأ مستشفى عسكري في بغداد اثناء عهد الوالي مدحت باشا، باسم 'مستشفى بغداد العسكري'. وفي عام 1907، اقترح الدكتور كابيادس بان تحول الحكومة المحلية المستشفى العسكري الى آخر مدني لكي ينتفع من خدماته اهالي بغداد[2]، لكن فيما يبدو ان الحكومة المحلية لم تستجب لمقترحه، فواصل المستشفى العسكري عمله لغاية السنوات الاخيرة للحكم العثماني[3].

وبغض النظر عن العدد القليل لهذه المستشفيات، كانت كوادرها وخدماتها محدودة للغاية. فمثلا، لم يتجاوز الملاك العامل في مستشفى الغرباء منذ تأسيسه في عام 1872 ولغاية 1913، الاعداد الآتية: طبيب واحد، وجراح واحد، وصيدليين واحيانا واحد، وطبيب عيون واحد، وقابلتين واحيانا واحدة (انظر جدول-4). اما بالنسبة لمستشفى بغداد العسكري، فعلى الرغم من ان عدد العاملين فيه كان اكبر من مستشفى الغرباء، الا ان خدماته كانت تُقَدم حصريا للقطعات العثمانية المرابطة في بغداد، ونادرا ما استفاد المدنيون من خدماته (انظر: جدول-5).

1 الوردي، ج3: 1876-1914، ص250-252 ;النجار، ص ص446-447

2 (B. M. J), Vol. 1, No. 949, March 8, 1879, P. 341.

3 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", P. 238.

جدول-4 (العاملون في مستشفى الغرباء في بغداد للمدة 1876-1913)[1]

الفترة	مدير	طبيب	جراح	صيدلي ومساعد صيدلي	طبيب عيون	مشغل	مأمور تطعيم	موزع ادوية	قابلة	مضيف خدمات	كاتب	ممرض	امام صلاة	عامل خدمة
1876-1887	1	1	1	1	-	-	-	-	-	-	1	-	1	-
1893-1896	1	-	1	1	-	-	-	-	1	1	-	-	-	5
1897-1898	1	-	1	2	-	-	1	-	2	1	-	-	-	5
1899	1	-	1	1	-	-	1	-	2	1	-	-	-	6
1900	1	-	1	2	-	-		-	1	-	-	-	-	6

1 بيانات الجدول مستمدة من: "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", PP. 237-238

الفترة	1901-1902	1903	1905	1907	1908	1909	1913
مدير	1	2	2	2	2	2	1
طبيب	-	1	1	1	1	1	1
جراح		1	1	1	1	1	-
صيدلي ومساعد صيدلي	2	2	2	1	2	2	1
طبيب عيون	-	-	-	-	1	-	1
مشغل	-	1	1	1	1	2	1
مأمور تطعيم	1	1	1	1	1	-	-
موزع ادوية	-	-	1	1	-	-	-
قابلة		-	-	-	-	-	-
مضيف خدمات	1	1	1	1	1	-	-
كاتب	-	1	1	1	1	1	1
ممرض	-	-	-	-	-	-	2
امام صلاة	-	1	1	1	1	-	1
عامل خدمة	6	26	25	25	25	12	18

جدول-5 (العاملون في مستشفى بغداد العسكري للمدة 1893-1909)[1]

الفترة	مدير	طبيب	جراح	صيدلي	طبيب عيون	مراقب مرضى	مضيف خدمات	كاتب	مراقب ملابس	امام صلاة	ممرض	عامل خدمة
1893	1	5	4	4	-	1	1	2	1	1	-	44
1896-1894	1	7	4	4	-	1	1	2	1	1	-	43
1898-1897	1	4	3	3	-	1	1	2	1	1	-	43
1899	1	3	4	3	-	1	1	2	1	1	-	43
1900	1	27	4	3	-	1	1	2	1	1	-	77
1902-1901	1	5	4	2	-	1	1	2	-	1	-	77
1903	1	6	6	3	-	1	1	2	1	1	4	101
1905	1	5	4	3	-	1	1	2	1	1	4	58
1907	1	5	4	5	-	1	1	2	1	1	4	58
1908	1	5	2	4	1	1	1	2	1	-	3	28
1909	1	14	2	5	1	1	1	1	1	-	2	153

وبالاخذ في الحسبان العدد الاجمالي لسكان بغداد والمدن والمناطق العراقية الاخرى، فقد كان هناك عدم تكافؤ كبير جدا بين عدد السكان والمؤسسات الصحية العثمانية في العراق. ففي كل مدينة وبلدة لم يكن عدد الكادر الصحي، كالاطباء والجراحين والصيادلة، الخ، يتناسب على الاطلاق مع الاعداد الكبيرة

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", PP. 238-239 :بيانات الجدول مستمدة من

للمواطنين. فمثلا، قُدر عدد سكان بغداد في عام 1899 بما يقرب من 67.782 نسمة[1]. ولما كانت هناك في بغداد ثلاث بلديات موزعة على مناطق مختلفة من المدينة، ولدى فقط اثنتين منها اطباء، (طبيبين لكل واحدة)[2]، فأن افضل تقدير لنسبة الاطباء الى عدد السكان كان طبيب واحد لكل 16.945 شخصا. ولم يكن في كربلاء، التي قُدر عدد نفوسها في عام 1899 بما يقرب من 11.368 نسمة، سوى طبيب واحد ملحق بمجلسها البلدي[3]. ولم يكن في الحلة، التي قُدر عدد سكانها عام 1899 نحو 26.318 نسمة، سوى طبيب واحد وصيدلي واحد[4]. اما قضاء الدليم، الذي امتد من ضواحي بغداد الى الحدود السورية، فلم يُلحق بمجلسه البلدي اي طبيب او جراح او صيدلي، او حتى موظف صحي حكومي. وبقي القضاء محروما من اية خدمات صحية طوال العهد العثماني المتأخر[5].

ومثلما هو الحال في بغداد، كان عدد المؤسسات الصحية في ولاية الموصل محدودا للغاية. ففي مدينة الموصل، اشتملت هذه المؤسسات في الفترة من 1891 الى 1912، على مستشفى واحد، ومن خمس الى سبع صيدليات؛ وفي كركوك، في المدة من 1895 الى 1912، كان هناك مستشفى واحد، ومن صيدلية الى صيدليتين؛ وفي السليمانية للمدة من 1907 الى 1912، كان هناك مستشفى واحد (انظر: جدول -6).

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", P. 165.

2 سالنامة ولاية بغداد، دفعة 15، (بغداد: مطبعة ولاية بغداد، 1315-1316 رومي/ 1899 -1900 ميلادي)، ص ص 163-164

3 سالنامة ولاية بغداد، دفعة 15: 1899-1900، ص ص302-304، 240

4 المصدر نفسه، ص ص260-261

5 المصدر نفسه، ص ص126-131

جدول-6 (المؤسسات الصحية في ولاية الموصل 1891-1912)[1]

المنطقة	السنة	المستشفيات	الصيدليات
الموصل	1891	1	6
الموصل	1893	1	6
الموصل	1895	-	6
الموصل	1907	-	5
الموصل	1912	1	7
كركوك	1895	1	1
كركوك	1907	1	2
كركوك	1912	1	-
السليمانية	1907	1	-
السليمانية	1912	1	-

بالاضافة الى ذلك، عانت ولاية الموصل طوال العهد العثماني من نقص شديد في عدد العاملين في القطاع الصحي. وقد شكا الموصليون كثيرا من الامراض ونقص الاطباء الحاد بينهم. لاغرو والحال كذلك ان وصفهم رحالة زار مدينتهم في عام 1803، بانهم كانوا أناسا متعطشين لوجود طبيب بينهم،

1 بيانات الجدول مستمدة من:
"Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", PP. 153-154,175-176, 206

تماما كحال شخص متعطش للماء بعد اصابته الشديدة بـالحمّى[1]. ولم يُسد هـذا النقص، ولو جزئيا، الا في عـام 1912. ففـي تلـك الـسنة، ضـم مجلـس بلديـة الموصل، التي كانت يومذاك مدينة بعدد نفوس يربو على 39.361 نسمة، طبيب واحد، وقابلتين، وممرض واحد[2].

وافتقرت البصرة ايضا الى نطـاق واسـع مـن الخـدمات الـصحية والمـلاك الطبي المتمرس. وطبقا لسالنامات ولاية البصرة العثمانية، كان هنـاك في البـصرة في عام 1896 مستشفى باسم"مستشفى الغرباء". لقد ضمت قائمة ملاكه الاعـداد الصغيرة الآتية: مدير مستشفى واحد، وطبيب واحـد، وممـرض واحـد، وخمـسة عمال خدمة[3]. وبسبب نقص الكادر الطبـي في البـصرة، ارسـل واليهـا العثمـاني برقية الى الحكومة المركزية في استانبول بتـأريخ 30 كـانون الثـاني 1897، شـكا فيها من ان المدينة ليس لديها سوى طبيب واحد، فيما تفتقر بقية مناطق الولايـة بالكامل الى اي نوع من الخدمات الطبية[4].

وخلال المدة بين 1890 و1902، كان المجلس البلدي للبصرة يـضم طبيبـا واحدا وصـيدليا واحـدا[5]. وفي مقابـل هـذا العـدد المحـدود للكـادر الـصحي في البصرة، كانت اعداد السكان في تزايد متواصل. فقد بلـغ العـدد الكلـي لـسكان

---

1 "Travels of Mirza Abu Taleb Khan in Asia, Africa, and Europe During the Years 1799, 1800, 1801, 1802, and 1803", Translated by Charles Stewart, Vol. III, 2nd Edition, (London: Longman, Hurst, Rees, Orme, and Brown, 1814), P. 124.

2 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", PP. 217, 353.

3 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", P. 75.

4 "Public Health Reports", (P.H.R سنـشير لهـا فيمـا بعـد), Vol. 12, No. 11, (Washington D.C: Government Printing Office, 1897), P. 261.

5 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", P. 74.

ولاية البصرة في عام 1899، بضمن ذلك نجد، نحو 935.201 نسمة، بينما قُدر عدد سكان مدينة البصرة وحدها في عام 1890، بنحو 10.756 نسمة[1]. اذن، كتقدير لنسبة الاطباء الى السكان، كان هناك طبيب واحد لكل 467.000 شخص في ولاية البصرة، فيما كان هناك طبيب واحد لكل 5.378 شخص في مدينة البصرة. ولاحظ طبيب بريطاني زار البصرة في عام 1903 حدوث زيادة طفيفة في عدد الاطباء، حيث اشار الى وجود ستة او سبعة اطباء أُلحقوا رسميا بالمدينة[2]. ومع ذلك، بقيت الهوة واسعة الى حد كبير بين عدد سكان ولاية البصرة والخدمات الصحية، سواء من حيث المستشفيات او الملاك الطبي.

في بلد متخلف كالعراق العثماني، فان عدم كفاءة الملاك الطبي قد اعطت انموذجها ايضا. لاغرو اذن حين نعرف ان المدير والجراح في مستشفى الغرباء في بغداد في عام 1899، كان، لبعض الوقت، اسطى عباس آغا[3]، الذي لم يكن طبيبا وفق المعايير الاكاديمية والعلمية المألوفة. ان عدم الكفاءة، على اي حال، انعكس بالاداء الضعيف المستوى في مجالات التشخيص والعلاج ووصفات الدواء. ففي عام 1874، مثلا، كان علاج كُثرة من الناس يتم على ايدي ممارسين لديهم معلومات قديمة وهزيلة في علم الامراض[4]. ولم يكن بمقدور بعض الاطباء في بغداد لغاية عام 1876 ان يُميزوا بين الطاعون وبعض امراض الحميّات. وكان احد هؤلاء الاطباء يعالج كل حالات الطاعون والحميّات بمادة الكينين. وحين تبدأ دمامل الطاعون بالظهور لاحقا، فان هذا الطبيب يعتبر

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", PP. 106, 110.

2 (B. M. J), Vol. 2, No. 2230, September 26, 1903, P. 762.

3 سالنامة ولاية بغداد، دفعة 15: 1899-1900، ص 164

4 Evatt. P. 197.

الحالة خارج امكانية العلاج![1]. وكان الاطباء في العادة يتخلون عن الحالة المرضية للشخص المصاب بالطاعون عندما لاتثبت العلاجات جدواها[2]. وبوجه عام، فان نقص وعدم كفاءة المؤسسات والملاك الصحي والطبي قد اسهم بدرجة كبيرة في انتشار الامراض والاوبئة في العراق العثماني. وبالتأكيد ان مثل تلك التقصيرات الصحية والطبية قد تفاقمت بسبب الفوضى وعدم الاستقرار الذي اتسمت به الحياة السياسية في البلاد لفترات طويلة من الزمن.

1 (B. M. J), Vol. 2, No. 936, December 7, 1878, P. 848.
2 (B. M. J), Vol. 2, No. 811, July 15, 1876, P. 83.

عدم الاستقرار السياسي وسوء الادارة

يُعد الاستقرار السياسي حجر الزاوية لبرامج ومشاريع الصحة العامة في اي بلد. ومن هنا، فان عدم الاستقرار السياسي في العراق العثماني قد عرقل الى حد كبير تطور وتقدم قطاع الصحة فيه. ان المظهر الابرز لعدم الاستقرار هذا كان التبدلات السريعة لولاة العراق العثمانيين. لقد عُزيت هذه التبدلات الى اسباب عدة، بضمنها، المؤامرات بين الولاة انفسهم؛ وشكاوى الناس من ظلمهم؛ ورغبة الحكومة المركزية في استانبول بانهاء خدماتهم سريعا، كأجراء وقائي ضد مساعي محتملة لديهم للاستقلال الذاتي. ولفهم ابعاد هذه المسألة بوضوح، فأنه من الضروري ان نشير الى ان ولاية بغداد، كانموذج، حكمها واحد وثلاثون واليا للمدة من 1830 الى 1910. حكم واحد منهم فقط لمدة اربعة عشر عاما، وحكم عشرة ولاة آخرين لمدد تتراوح بين سبع سنوات وستتين، ولم تتجاوز فترات حكم احد عشر واليا العام الواحد، فيما حكم تسعة ولاة آخرين لمدد اقل من عام. ومن الجدير بالاشارة هنا، ان احد الولاة من المجموعة الاخيرة حكم اكثر من شهر بقليل!

جدول-7 (دورة حكم ولاة بغداد العثمانيين للمدة من 1830-1910)[1]

السنة		اسم الوالي	مدة دورة الحكم		
تقويم رومي	تقويم ميلادي		سنة	شهر	يوم
1246	1830	لاز علي رضا باشا	13	–	–
1258	1842	محمد نجيب باشا	6	–	–
1264	1848	عبد الكريم نادر باشا	1	6	–
1266	1850	وجيهي باشا	-	1	5
1267	1851	محمد نامق باشا (دورة اولى)	-	9	5
1268	1852	محمد رشيد باشا	5	-	17
1273	1857	اكرم عمر باشا	1	4	-
1275	1859	مصطفى نوري باشا	1	4	-
1277	1861	احمد توفيق باشا	-	6	22
1277	1861	محمد نامق باشا (دورة ثانية)	7	6	-

1 بيانات الجدول مستمدة من: سالنامة ولاية بغداد، دفعة 22، (بغداد: مطبعة الحكومة، 1329 رومي/ 1913 ميلادي)، ص ص 307-309؛ المارديني، ص ص31-32؛ العلاف، ص ص265-266

السنة		اسم الوالي	مدة دورة الحكم		
تقويم رومي	تقويم ميلادي		سنة	شهر	يوم
1284	1868	تقي الدين باشا (دورة اولى)	1	-	-
1285	1869	احمد مدحت باشا	3	-	21
1288	1872	محمد رؤوف باشا	1	-	-
1289	1873	رديف باشا	1	11	15
1291	1875	عبد الرحمن باشا (دورة اولى)	1	7	23
1293	1877	عاكف باشا	-	9	5
1294	1878	قدري باشا	-	8	9
1294	1878	عبد الرحمن باشا (دورة ثانية)	1	10	29
1296	1880	تقي الدين باشا (دورة ثانية)	6	2	19
1303	1887	مصطفى عاصم باشا	2	8	16
1305	1889	سري باشا	1	6	21
1307	1891	حجي حسن رفيق باشا	4	10	4
1312	1896	عطا الله باشا	2	10	22
1315	1899	نامق باشا (الصغير)	3	3	13

السنة			مدة دورة الحكم		
تقويم رومي	تقويم ميلادي	اسم الوالي	سنة	شهر	يوم
1318	1902	احمد فيضي باشا (وكيل والي)	2	1	29
1320	1904	عبد الوهاب باشا	-	11	18
1321	1904	مجيد بك	1	1	16
1322	1906	حازم بك	1	-	-
1324	1908	نجم الدين بك	-	3	28
1325	1909	شوكت باشا	-	8	26
1326	1910	حسين ناظم باشا	-	10	11

وحكم ولاية الموصل خلال المدة من 1850 الى 1908 اثنان واربعون واليا؛ حكم اثنان منهم من سبع الى ثمان سنوات؛ وستة ولاة آخرين من اربع الى ست سنوات؛ واثنا عشر واليا من سنة الى سنتين؛ بينما حكم اثنان وعشرون واليا لمدد اقل من سنة. وفي الواقع، ان ثلاثة ولاة من المجموعة الاخيرة بقوا في الحكم لاقل من شهرين![1]. ويمكن ملاحظة هذه التبدلات السريعة في دورة الحكم في ولاية البصرة ايضا. ففي المدة من 1890 الى 1902، كان هنالك اربعة ولاة في البصرة. بقي احدهم في المنصب لمدة ست سنوات، والآخر لسنتين،

1 “Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul”, PP. 227-228.

والاثنان الاخران لمدة سنة واحدة[1]. اذن كان من الصعب جدا، بل حتى من المستحيل احيانا، ان ينفذ بعض هؤلاء الولاة برامجهم الاصلاحية. ولذلك، ترك اغلبهم بصمة خفيفة على الحياة في ولايات العراق العثماني ثم اختفى سريعا.

وكانت التمردات القبلية في العراق طوال الحكم العثماني مظهرا آخرا لعدم الاستقرار السياسي وسوء الادارة المحلية. لقد اظهرت القبائل العربية في العراق، المضطربة والميالة للاستقلال بطبيعتها على الدوام، مقاومة للتجنيد الالزامي ولدفع الضرائب. وقد اندلعت في المدة من 1858 الى 1871 خمسة تمردات قبلية في الفرات الاوسط، والناصرية، وبغداد والموصل. كان اثنان منها ضد التجنيد الالزامي، وواحد ضد الضرائب، واثنان آخران بدوافع ذات صلة بالتنافس السياسي[2]. وقد اتخذ والي بغداد مدحت باشا (1869–1872) اجراءات عسكرية صارمة لقمع التمردات القبلية بالقوة[3]. ومع ان مساعي مدحت باشا حققت نجاحا مؤقتا، لكنها اهملت معالجة الدوافع الحقيقية للتمردات. لذلك سرعان ما أُستؤنفت هذه التمردات في الاعوام 1881، و1910، و1914[4]. وللحقيقة، فقد وسعت الاجراءات القمعية الهوة بين الناس والادارة العثمانية في العراق، وحالت بدورها دون تعاون المواطنين مع السلطات الحكومية في تطبيق الاجراءات الصحية.

---

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", *P. 68.*

2 الوردي، ج2: 1831–1872، ص ص213–214، 227–229، 240–243، 255–256

3 Midhat Bey, P. 48.

4 الوردي، ج3: 1876–1914، ص ص39–40، 259–265

لقد ميز الفساد واللامسؤولية بوجه عام الادارات المحلية لولايات العراق العثمانية. وفي هذا الصدد، صنّف عالم اجتماع عراقي هذه الادارات على انها كانت الاكثر فسادا وتفسخا في الدولة العثمانية. لقد اعتقد هذا العالم ان اغلب الولاة العثمانيين الذين خدموا في العراق قد فعلوا ذلك لسببين، اما لانهم عجزوا عن ايجاد منصب لهم في مكان آخر، او لانهم كانوا طامعين في المال [1]. لقد ابتليت ولايات العراق العثمانية بانواع طفيلية من هؤلاء الحكام. هنا نحن يمكن ان نعطي مثلا من القرن التاسع عشر. لقد بين مؤرخ عراقي انه خلال سبعينيات القرن المذكور كان ظلم ولاة البصرة العثمانيين احد اسباب تدهور وخراب المدينة[2]. بينما اشار مؤرخ آخر، الى ان هؤلاء الحكام تلقوا لسنوات طوال الرشاوي، وابتزوا الاموال من الناس، ولم ينفذوا اي اصلاح من شأنه ان ينفع اهل البصرة[3].

ونتيجة لسوء الادارة العثمانية، اصبحت قبضة السلطات المحلية ضعيفة وغير مهابة، مما اسهم في عرقلة الاجراءات الصحية التي كانت تتطلب تعاونا تاما من سكان الولايات العراقية. فمثلا، عندما ضربت الكوليرا البصرة في عام 1858، اقامت السلطات المحلية نطاقا صحيا على امتداد شط العرب، مانعة بذلك السكان الذين عاشوا على ضفتي الشط من المرور من خلاله. ان هؤلاء السكان العرب، وبدافع الانتقام، دخّنوا بروث الجاموس وقّش الرز الموظفين

1 المصدر نفسه، ج4: 1914-1918، ص90

2 ابراهيم فصيح الحيدري، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، الطبعة الاولى، (لندن: دار الحكمة، 1998)، ص161

3 علي ظريف الاعظمي، مختصر تأريخ البصرة، (بغداد: مطبعة الفرات، 1927)، ص154

العثمانيين الذين سقطوا بايديهم، مستخلصين من كل واحد منهم مبلغا معينا من المال. وقد اوضحت ردود الفعل هذه عدم جدوى اجراءات صحية مماثلة، وحقيقة السيطرة الضئيلة التي تميزت بها السلطات العثمانية المحلية فيما وراء ضواحي المدن والمناطق التي هيمنت عليها عمليا من خلال القطعات العسكرية[1].

ولم يدّخراستبداد وفساد الحكام حتى الملاك الطبي الذي كان افراده احيانا عرضة لسلوكيات عدائية. فمثلا، قدم والي البصرة مذكرة الى السلطات الصحية العثمانية في صيف عام 1899، اساء فيها لسمعة الطبيب الصحي في البصرة، دكتور موسشايدز. لقد حفّز هذا السلوك المشين للوالي اللجنة الصحية الدولية في استانبول، فارسلت تقريرا بهذا الخصوص الى الحكومة المركزية العثمانية تضمن شكوى ضد والي البصرة"الذي بسلوكه هذا ... يصيب الخدمات الصحية بالشلل ... ويعرض ذلك الجزء من الامبراطورية الى خطر حقيقي". على حد ما ورد في تقرير اللجنة[2].

ان عدم الاستقرار السياسي، وانعدام المسؤولية، وسوء الادارة، ونقص التمويل، بالاضافة الى ضعف قبضة الحكومة في العراق اثناء المراحل العثمانية المتأخرة، ادت الى غياب خطة للتعامل مع مرحلة ما قبل ظهور الوباء. لقد كان بمقدور خدمات طبية ووقائية متقدمة ان تضمن نجاح هكذا خطة. لكن، لسوء الحظ، كانت اجراءات الادارة العثمانية في العراق لمكافحة الاوبئة مُبرمجة فقط لمرحلة ما بعد ظهور الوباء. ولهذا السبب، فان بغداد ومدن وبلدات عراقية اخرى لم تكن لديها اية مناعة ضد الموجات الوبائية التي اجتاحت العراق طوال

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 63.
2 (P. H. R), Vol. 14, No. 38, September 22, 1899, PP. 1610-1611.

العهد العثماني المتأخر. ففي غضون تلك المدة، لم تقم الحكومة ومستخدميها في القطاعات الطبية والصحية بتطوير برامج معينة او خطوات محددة لتعزيز دفاعات المدن والبلدات العراقية في مواجهة الاوبئة. وحتى المبادرات الانسانية الفردية في هذا المجال كانت تُقابل باللامسؤولية والاهمال واللامبالاة من لدن الحكام والمسؤولين. فكأنموذج عن اللامسؤولية هذه، اشار قنصل الولايات المتحدة في بغداد، جون ساندبرغ، في تقرير له نُشر في عام 1894، الى انه قابل والي بغداد في مقره، موضحا له كيف انه بالامكان توفير ماء نقي للمدينة اذا ما نُصّبت محطات للضخ والفلترة. فكان جواب الوالي الوحيد: أن شاء الله، الله اكبر! وقد خيب هذا الرد ساندبرغ واثار سخطه[1].

لقد كان من الطبيعي جدا ان تنجم عن الفوضى الادارية واللامسؤولية عيوب وتقصيرات في اداء اللجان الطبية المحلية اثناء التفشيات الوبائية. ويمكن ملاحظة مثل هذه العيوب في اداء لجنة بغداد الصحية التي أُرسلت الى بقعة ضربها الطاعون في الهندية في عام 1867. لقد وُجه آنذاك لوم شديد لعمل اللجنة لان اجراءاتها الصحية نُفذت بعد نهاية الوباء، تقريبا بعد ثلاثة اشهر من تفشيه[2].

ولقد عكس المشهد الاخير للحكم العثماني في بغداد بوضوح مشاعر العداء المتبادل بين اهل العراق والادارة العثمانية، وتداعيات ذلك على القطاع الصحي. ويُسلّط وصفا بانوراميا لنهب بغداد، بضمن ذلك المؤسسات الصحية،

1 Sundberg, A Letter from Bagdad, P. 648.
2 "Dr. Dobell's Reports on the Progress of Practical and Scientific Medicine in Different Parts of the World", Vol. II: For the year 1870, (London: Longmans, Green, Reader & Dyer, 1871), P. 552.

الضوء على طبيعة هـذا العـداء. "لمدة اسـبوعين قبـل السـقوط، سـلب الأتـراك الاهالي بشكل منظم. حيث ابتزوا منهم مبالغ كبيرة، وكل شيء ذو قيمة ويمكـن نقله قد حُمل. اخذ الأتراك كل شيء. مثلما قال حبر يهـودي، حتـى الحمامـات على المساجدِ اضحت هزيلة. وعندما اندفع القطـار الأخـير خـارج محطـة سـكة حديد بغداد في الساعة الثانية من صباحِ 11 آذار [1917]، هبّ [ال..] والرعاع الآخرون من الأحياء الفقيرة لنهـب الأحيـاء الأغنـى. ولـسبع سـاعات دُمـرت الدكاكين والبيوت في كل الاتجاهات، ولم يسلم حتى المستشفى التركي. فقد نهب اللصوص المـستودعات، وأخـذوا الافرشـة والادويـة ومـواد التخـدير، سـامحين لاصدقائهم لان يشتركوا في الغنائم. وقد وصلت القـوات البريطانيـة في الوقـت المناسب لانقاذ المرضى من أن يُرمـوا خـارج أسـرّتهم. وقـد أتخـذت الخطـوات العاجلة لوضع حد لهذه العربدة العامة للنهب، ولم يمض وقت طويل حتى عـاد النظام للمدينة"[1].

وهكذا فأنه غالبا ما اتبع حكام العراق العثمانيين سياسة قصيرة النظر تجاه ولاياتهم. لقد ركزوا خـلال دورات حكمهـم في تلـك الولايـات على مركزيـة السلطة، وقمع المعارضة، وجمع الضرائب. بالمقابـل، اهملـوا الجوانـب الاخـرى للحياة، بضمن ذلك قطاع الصحة العامة. وعلى نحو مماثل، وُجه اللوم ايـضا الى المعتقدات والطقوس والشعائر الدينية لدورها في تفاقم الضرر في هذا القطاع.

1 Francis W. Halsey, The Literary Digest History of the World War, Vol. 8: August 1, 1914-October, 1918, (New York and London: Funk & Wagnalls Company, 1919), PP.190-191

المعتقدات والشعائر الدينية

بسبب التخلف ونقص الوعي الصحي في الدولة العثمانية، هيمنت التفسيرات الاسلامية التقليدية للامراض والاوبئة. فأستنادا على تفسيرات غيبية، عد العثمانيون الامراض والاوبئة بمثابة مسائل مقدرة. ففي مذكراته، وصف القس وليم جودل، الذي عاش في استانبول خلال القرن التاسع عشر، وجهة نظر المسلمين بالطاعون، قائلا: ان المسلمين المخلصين لايمانهم بالقدر، قد سمحوا للطاعون بان يأتي ويذهب دون تحريك اي اصبع لمنعه. فمقولة 'ما يريده الله ينبغي ان يكون'، هي واحدة من البنود البارزة لعقيدتهم"[1]. ولاحظ مراقب اجنبي في بداية القرن العشرين بان مواطني المدن التركية في الدواخل اظهروا كرها شديدا للتدابير الصحية، عادينها تدخلا ينتهك ارادة الله، وانهم بذلوا قصارى جهدهم لتفادي تنفيذها[2].

وعلى غرار رعايا عثمانيين آخرين، آمن غالبية العراقيين، بما في ذلك النخبة السياسية الحاكمة، تماما بالتفسير القدري للامراض. ولأيستثنى في ذلك احد من هذه القاعدة، حتى اولئك الذين كانت لديهم رتب عليا في الحكومة. فداود باشا، والي بغداد (1816–1831)، مثلا، كان نفسه قدريا. فعندما خرب الطاعون بغداد في عام 1831، استخدم عقيد بريطاني كل نفوذه لاقناع داود

1 "Forty Years in the Turkish Empire; or, Memoirs of Rev. William Goodell", (New York: Robert Carter and brothers, 1876), P. 202.

2 Quoted in: Palmira Brummett, Image and Imperialism in the Ottoman Revolutionary Press, 1908-1911, (New York: State University of New York Press, Albany, 2000), P. 276.

باشا باقامة محجر صحي، لكن بلا جدوى. لقد تلقى العقيد البريطاني الجواب المعهود لدى العثمانيين في مثل هكذا ظروف الذي يموت يموت، والذي يحيى يحيى![1] وقد عبر ملا (مسلم متعلم) بغدادي بوضوح عن هذه القدرية اثناء طاعون عام 1831، حين قال: أنا لم اخف السيف، لكني خفت الطاعون، لان الاول من عمل الانسان، اما الآخر فمن الله[2]. وفي مجتمع يهيمن عليه الدين، يجب اعطاء دور المعتقدات القدرية في تشكيل المواقف الشعبية من الامراض والاوبئة وزنا كبيرا. ان القاعدة الذهبية التي اكدت أن الطاعون شهادة ورحمة من الله للمسلم وعقوبة للكافر[3]، قد جعلت الناس، سواء في العراق العثماني ام في الاقطار الاسلامية الاخرى، يتعاملون بتساهل وبلا مبالاة مع امراض وبائية خطيرة، وبالاخص الطاعون.

بالاضافة للمعتقدات الدينية، كان الحج الى مكة وزيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء والكاظمية مناسبات تنتشر فيها الاصابة بالاوبئة بين الحجاج والزائرين، الذين كانوا ينقلوها بدورهم الى اصقاع اخرى من العالم الاسلامي. لاغرابة اذن في وصف جراح بريطاني الحجاج لموسم حج عام 1877 بأنهم كانوا وكلاء ممتازين لنشر الكوليرا[4]. لقد عُدت مواسم الحج للسنوات 1890، 1891، 1893، و1895 مصدرا للكوليرا التي دخلت العراق[5].

---

1 "Travels of Doctor and Madame Helfer in Syria, Mesopotamia, Burmah and Other Lands", Vol. 1, (London: Richard Bentley & Son, 1878), P. 269.

2 Groves, P. 76.

3 يوسف بن محمد السرمري، كتاب في ذكر الوباء والطاعون، الطبعة الاولى، (عمان: الدار الاثرية، 2005)، ص87; Michael W. Dols, The Black Death in the Middle East, (Princeton: Princeton University Press, 1977), P.109.

4 Gordon, P. 157.

5 Frederic Borel, Etude d'Hygiene Internationale Cholera et Peste dans le Pelerinage Musulman, (Paris: Masson et Cie., Editeurs, 1904), P. 84.

وفي وفاء خالص لمعتقداتهم الدينية، كان شيعة العالم الاسـلامي يـذهبون، وما زالـوا متواصـلين، الى زيـارة المراقـد المقدسـة في كـربلاء والنجـف. وطبقـا لاحصائيات رسمية جُمعت مـن قبـل دائـرة الـصحة المركزيـة في بغـداد لـسنتي 1889 و1890، كان الرقم الاجمالي للزوار الايرانيين 23.990 و57.567 على التوالي. لقد سُجلت هذه الارقام في دوائر الصحة العراقيـة في المنافـذ الحدوديـة والداخلية (انظر: جدول- 8).

جدول-8 (حركة الزوار الشيعة خلال سنتي 1889 و1890)[1]

منطقة الدائرة الصحية	عدد الحجاج الايرانيين	
	سنة 1889	سنة 1890
رايات	250	120
پـنجوين	360	1110
خانقين	17.830	48.860
مندلي	1550	1840
زرباطية	900	1280
العمارة	280	310
البصرة	2.490	3.610

1 Table data are derived from: Vital Cuinet, La Turquie d' Asie Geographie Administative Statistique Descriptive et Raisonnee de Chaque Province de l'Asie-Mineure, Tome Troisieme, (Paris: Ernest Leroux, Editeur, 1894), P. 16.

منطقة الدائرة الصحية	عدد الحجاج الايرانيين	
	سنة 1889	سنة 1890
الفاو	50	20
النجف	20	6
كربلاء	10	10
المسيب	160	320
سامراء	50	41
الكاظمية	40	40
المجموع الكلي	23.990	57.567

و قدّر حبيب شيحه في كتابه بالفرنسية المعنـون "ولايـة بغـداد" والمنشور في عام 1908، عدد الزوار الايرانيين والهنود الذين دخلوا سنويا العراق، بانه كـان يتراوح بين خمسين وثمانين الف شخص[1]. على اي حال، فأنه علـى غرارغالبيـة الشيعة الذين يؤمنون بان اجدائهم لابـد ان تُـوارى الثـرى في النجـف وكـربلاء والكاظميـة، جلـب الايرانيـون آلاف الجثـث بـرا وبحـرا لتُـدفن في هـذه البقـاع المقدسة. ومثلت القوافل التي حملت عشرات آلاف الجثث طوال العهد العثمـاني تهديدا حقيقيا للصحة العامة في العراق، لان العديد منها كانت تعود لاشـخاص هم ضحايا للطاعون واوبئة اخرى[2].

---

1 Chiha, P. 182.
2 "St. Louis Courier of Medicine and Collateral Science", Vol. V, No. 6, PP. 508-509; (B. M. J), Vol. 1, No. 1058, April 9, 1881, P. 56

ولتفادي مخاطر العدوى الوبائية الناجمة عن تحلل الجثث المصابة، عقد والي بغداد مدحت باشا اتفاقية مع شاه ايران في عام 1870، لغرض تنظيم نقل الجثث من ايران الى العراق. وطبقا لتلك الاتفاقية، كان يجب دفن جثث الموتى الايرانيين في الاراضي الايرانية على الاقل لمدة عام واحد. يستطيع بعدها اقارب المتوفي نقل العظام الجافة الى مقابر الاماكن المقدسة في العراق. لقد ظن مدحت باشا ان هذا الاتفاق قد اوجد حلا نهائيا للمشكلة، لكن بعض الايرانيين طوروا لاحقا وسائل جديدة لتهريب الجثث وتفادي الرقابة الصحية في الحدود العراقية-الايرانية. كانت احدى هذه الوسائل ازالة اللحم من الجثث، ورش الهيكل العظمي بمسحوقي النورة (اوكسيد الكالسيوم) والزرنيخ لكي يُعطي مظهرا حقيقيا لبقايا جثة متحللة. بعد هذه العملية، يُسلم لحم الجثة الى اقارب المتوفي ليُحمل في اكياس يتم اخفاؤها عن عيون موظفي الصحة في الحدود. وحالما تصل الاكفان الى النجف او كربلاء، يشرع اقارب المتوفين بجمع اللحم والهياكل العظمية لتُدفن سوية، لكن طبعا بعد اقامة بعض الشعائر الدينية الخاصة بالمناسبة[1].

كان على الايرانيين الفقراء ان يحرموا انفسهم، حتى من بعض ضروريات الحياة، لكي يدّخروا مبلغا عند وفاتهم يكون كافيا لتغطية نفقات نقل ودفن اجدائهم في البقاع المقدسة في العراق. لقد اتبع نقل جثث الموتى الايرانيين وغيرهم طريقين رئيسيين. الاول كان بريا، حيث سلكت قوافل الجنائز طريق وادي كرمنشاه، ومن ثم تدخل العراق من خلال خانقين[2]. وكانت جثث الموتى

---

1 الوردي، ج2: 1831-1872، ص260

2 (B. M. J), Vol. 1, No. 1058, April 9, 1881, P. 566.

في هذه القوافل تُحفظ في اكفان مغلقة وتُحمل على ظهور البغال، ومن ثـم يـتم سوقها مع قوافل الزوار الى وجهتها المنشودة[1]. اما الطريق الثاني، فقد كان بحريـا عبر البصرة، حيث كانت العديد من السفن والمراكب تنقـل الاحيـاء والامـوات جنبا الى جنب نحو وجهتهم النهائية في كربلاء والنجف. وكان كل مركـب يحمـل بين 100 الى 150 مسافرا يتم حشرهم في حيز محدود سوية مع عـشرين او اكثـر من الجثث[2].

وتوفر مصادر مختلفة احصائيات متنوعة عن العـدد الكلـي للجثـث. لقـد قدرت مجلة طبية امريكية أن مايربو على ثلاثين الف جثة كانت تُنقل الى العـراق سنويا[3]. وذهبت المذهب ذاته مجلة طبية بريطانية عندما بينـت بـأن معـدل العـدد الكلي للجثث القادمة من ايران كان ثلاثين الف جثة سنويا[4]. ومن جانبه، اشـار حبيب شيحه الى ان عدد الجثث المنقولة من ايران الى العراق قد تراوح بين اربعـة وستة آلاف جثة سنويا، وقد تصل احيانا الى ثمانية آلاف في السنوات التي يتفشى فيها الاوبئة[5]. واستنادا لاحصائية رسمية جُمعت من قبل دائرة الـصحة المركزيـة في بغداد، وتضم ارقاما لجثـث مـسجلة في الـدوائر الـصحية الموزعـة في منـاطق عراقيـة مختلفـة، فقـد دخلـت العـراق مـن ايـران 5.620 جثـة في عـام 1889، و9.754 جثة في عام 1890 (انظر: جدول-9).

---

1 Cuinet, P. 12.
2 Wendt, P. 32.
3 "St. Louis Courier of Medicine and Collateral Science", Vol. V, No. 6, PP. 508-509.
4 (B. M. J), Vol. 1, No. 1058, April 9, 1881, P. 566.
5 Chiha, P. 182.

جدول-9 (العدد الكلي للجثث الداخلة للعراق من ايران في سنتي 1889 و1890)[1]

منطقة الدائرة الصحية	اعداد الجثث الايرانية الموردة للعراق	
	سنة 1889	سنة 1890
پنجوين	19	96
خانقين	4.495	8.436
مندلي	75	74
زرباطية	10	117
العمارة	63	16
البصرة	814	819
الفاو	3	---
النجف	43	16
كربلاء	14	37
المسيب	27	45
سامراء	14	47
الكاظمية	43	51
العدد الاجمالي	5.620	9.754

1 Table data are derived from: Cuinet, P. 16.

وفي مواسم معينة من السنة، كانت كل الطرق المؤدية للعراق تُسمّم بالروائح الكريهة للجثث المتحللة. وقد بين تقرير لمجلس صحة استانبول بشأن تفشي وباء الطاعون في العراق في عام 1881، ان نقل آلاف الجثث من ايران لدفنها في البقاع المقدسة في العراق، الظرف الاكثر ملاءمة لانتشار الطاعون[1]. كما صنف بعض المراقبين الغربيين مثل تلك الشعائر الدينية على انها احد الاسباب التي اسهمت بقوة في اعادة انتاج الطاعون في العراق[2].

عموما، فأنه بسبب نقص الرقابة الصارمة والبرمجة المدروسة، كانت العواقب الصحية لتلك المناسك الدينية، سواء الحج لمكة ام الزيارات للمراقد المقدسة في العراق ودفن الجثث فيها، خطيرة للغاية. وقد تعزز هذا الضرر للصحة العامة اكثر من خلال التخلف الثقافي والاجتماعي الذي ساد العراق اثناء العهد العثماني.

1 (B. M. J), Vol. 1, No. 1058, April 9, 1881, P. 566.
2 "St. Louis Courier of Medicine and Collateral Science", Vol. V, No. 6, PP. 508-509.

التخلف الثقافي والاجتماعي

اعاق الانحطاط الثقافي والعادات والتقاليد الاجتماعية البالية في كثير من الأحيان تحسين الاوضاع الصحية العامة في العراق في ظل الحكم العثماني. ولعل العدد المحدود للمؤسسات التعليمية، هو الانعكاس الاكثر تعبيرا لتراجع الثقافة والفكر في هذا البلد آنذاك. ففي مدينة بغداد، مثلا، لم يكن عدد المدارس الرسمية في العام 1899-1900 يتجاوز العشرة. كانت اثنتان منها عسكرية، وواحدة للتعليم المهني، وتوزعت البقية بين مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية[1]. ولم يكن في مدينة الموصل وضواحيها في عام 1912 سوى تسع مدارس ابتدائية فقط[2]. اما البصرة، التي كانت في السابق مركزا ثقافيا اسلاميا بارزا، فقد اضحت 'دار الجهل' كما وصفها المؤرخ العراقي الحيدري[3]. على اي حال، كان في البصرة، شأنها شأن مدن العراق الاخرى، عدد قليل من المدارس طوال الفترات العثمانية[4].

وفي مجتمع تسود فيه الامية والجهل، كان من الطبيعي أن تلقى برامج مكافحة الاوبئة والتدابير الصحية الحكومية مقاومة من لدن غالبية الناس، وان يرفضوا التعامل معها بايجابية. فبسبب تخلفهم الثقافي، تصور هؤلاء ان بعض هذه الاجراءات تنتهك قيم وفضائل وعادات مجتمعهم. فعلى سبيل المثال،

---

1 'سالنامة ولاية بغداد' دفعة 15: 1899-1900، ص ص168-170، 206-208

2 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", PP. 349-351.

3 الحيدري، ص ص162-163

4 الاعظمي، ص155

عندما اراد طبيب دائرة صحة البصرة ان يدخل بيتا هوجم بالوباء بعـدما تفـشى الطاعون في المدينة في عام 1901، جوبه برجل يحمـل بندقيـة كـان ينتظـره عنـد الباب!. لقد اعتقد هذا الرجل ان الطبيب بكشفه علـى حريمـه (زوجتـه) سـوف ينتهك القواعد الاخلاقية للمجتمع. ولربمـا لـو اُتخـذت تـدابير صـارمة في هـذه الحالة، لحدثت أعمال شغب، او لربما أُطلق النار على الطبيب أو تم اغتياله[1].

ونتيجة للانحطاط الثقافي وغياب الوعي الصحي العام، اخفت عامة الناس الحقائق المتعلقة بانتشار الاوبئة. لقد اوضح اطباء أُرسلوا الى جنوبي العراق اثناء تفشي الكوليرا في عام 1893، ان الناس كانت تخفي الحقائق عن الوبـاء احيانـا، لمجرد تحاشي تعرضهم لمضايقات التدابير الوقائيـة[2]. ووصـف الجـراح البريطـاني كولفيل في آذار 1876 اخفاء الناس للحقائق المتعلقة بالاوبئـة، بـالقول اًن نفـور الناس، ليس فقط من مناقشة المرض، بل وحتى من ذكره او الاعتراف بـه، كـان غير عادي تماماً. ولم يحجب هكذا تكتم، في الواقع، المعرفة المبكـرة لتطـور الوبـاء فحسب، بل يفسر كذلك الاستجابة المتأخرة للسلطات الصحية في ملاحقة بعض التفشيات الوبائية[3].

وكان رهاب المستـشفى وكـذلك رهـاب الطبيـب ظـاهرة سـلوكية شـاذة اقترنت بالحياة الاجتماعية للعراق العثماني. لقد اعتقـد الجهلـة والامـيين آنـذاك بانه ليس هناك فائدة تُجنى بتاتا من ادخال المرضى للمعالجة في المستشفيات. بـل

1 (B. M. J), Vol. 2, No. 2230, September 26, 1903, P. 763.
2 (W. A. S. R), Vol. 8, No. 26, June 30, 1893, P. 528.
3 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", in "Sixth Annual Report of the Local Government Board 1876-77, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1876, Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottisw Jode, 1878), P. 293.

بعضهم تجاوز هذا الاعتقاد وكان يؤكد بأن المستشفيات قد تقتل المرضى بدلا من ان تُعالجهم![1]. وفي مجتمع عالق في مستنقع الجهل والتخلف، شوهت صورة الطبيب الى حد كبير في اذهان الناس، حتى غدت كلمة طبيب بالنسبة للعامة مرادفة لكلمة قاطع طريق او جابي ضرائب! كما أشار الى ذلك تقرير طبي امريكي[2]. وقد تتجسد ظاهرة رهاب الطبيب احيانا من خلال التصرفات العدائية التي كان يتبناها بعض الجهلة من الرجال ضد الاطباء. ففي السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر، اتهم بعض اهل البصرة وقتما كانت الكوليرا تضرب مدينتهم، طبيب المدينة بأنه هو من ادخل الوباء اليها عن طريق القائه حلوى ملوثة في الشوارع! وقد جلبت الغوغاء عينات من الحلوى المزعومة الى والي البصرة. وقد أُجبر الطبيب المشتبه به على اكلها يومذاك لاثبات عدم ضررها. ولم يُقنع هذا الحل، على ما يبدو، المتذمرين من عامة الناس، لذلك فضّل الطبيب الحصيف مغادرة المدينة حفاظا على حياته[3].

وتمثل الاساليب غير الصحية للنظام الغذائي في العراق العثماني مظهرا آخرا للتخلف الثقافي. فبهذا الخصوص، وصف القنصل الامريكي في بغداد جون ساندبرغ عرب العراق بأنهم اكلة نهمين، وانهم، على غرار الاسكيمو، يرغبون بأن يغرقوا طعامهم بالسمن. واشار ساندبرغ ايضا الى ان بعض عرب الصحراء كانوا يأكلون، وما زالوا يفعلون ذلك، شاة مع الرز والخبز والحليب في جلسة واحدة. لكن كان بمقدورهم احيانا، مثلما يضيف ساندبرغ، ان يعتاشوا على الخبز والتمر فقط[4]. وفي الحقيقة مايزال مثل هذا النظام الغذائي غير

---

1 الوردي، ج3: 1876-1914، ص250

2 (W. A. S. R), Vol. 9, No. 31, August 3, 1894, P. 600.

3 (B. M. J), Vol. 2, No. 2230, September 26, 1903, P. 763.

4 Sundberg, A Letter from Bagdad, P. 649.

الصحي وغير المتوازن شائعا بين اهل العراق، مسهما في تقصير اعمارهم، ومضعفا لمناعتهم، وتاركا اياهم فريسة سهلة للامراض المختلفة.

وبسبب التخلف والجهل، سادت الطرق التقليدية لعلاج الامراض في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر. فقد مارس اغلب الحلاقين في تلك الفترة مهنة طبابة الاسنان[1]. و كان الملاّ في المدن والبلدات العراقية الشخصية الاكثر شهرة بين الممارسين الشعبيين للطب. لقد تصرف الملالي وكأنهم اطباء في الحالات ذات الصلة بالارواح والعين الشرّيرة. لقد كان هؤلاء الملالي، الذين زعموا ان ممارساتهم يمكن ان تشفي العديد من الامراض، يضربون احيانا وجوه مرضاهم بالخفاف (النعال)! او يطرحونهم ارضا ويُسددوا لكمات الى ظهورهم!. اما بين القبائل البدوية العربية، فقد كان الصُلّبه الممارسين الطبيين الاكثر مهارة. لقد نال هؤلاء الصُلّبه شهرة عريضة حتى في مدن وبلدات العراق العثماني. فغالبا ماكانوا يُشاهدون في الشوارع، عارضين نباتاتهم الطبية لعامة الناس. ولم يشكوا الصُلّبه من نقص في الزبائن طالما كانت علاجاتهم الطبية رخيصة ولها كما زعموا تأثير طيب. وبغض النظر عن وسائل العلاج البدائية العديدة، فقد أُستعمل الكي في المدن والارياف والصحاري لمدة طويلة من الزمن. لقد عُد الكي الملاذ الاخير لاي علاج. ومن هنا جاء المثل العربي المعروف آخر العلاج الكي[2]. مجمل القول، ان التخلف الثقافي والاجتماعي، اضافة الى عوامل اخرى، قد اسهمت بشكل مؤثر في انتشار الامراض المعدية والاوبئة الفتاكة في العراق طوال المراحل المتأخرة للحكم العثماني.

---

1 العلاف، ص36

2 Chiha, PP. 310-31

الفصل الثاني
تفشيات الأوبئة الأكثر فتكا
في العراق العثماني 1850ـ1918

الفصل الثاني
تفشيات الاوبئة الاكثر فتكا
في العراق العثماني 1850ـ 1918

(اولا)ـ تفشيات الطاعون في السنوات 1867ـ1915:

عندما كان حاجا في طريقه الى بغداد صادفه شخص شبحي مفزع، فسأله الحاج من تكون؟ اجاب الشخص: انا الطاعون!، وانا ذاهب الى بغداد لاقتل الف شخص. وقد لمح الحاج الشخص الشبح وهو في طريق عودته، فاستوقفه وقال له: انت سبق وان اخبرتني انك ذاهب الى بغداد لتقتل الف شخص، بينما انا وجدت عشرة الاف من ضحاياك في المدينة!. اجاب الطاعون: انا قلت الحقيقة، انا لم اقتل سوى الف شخص، اما البقية فقد ماتوا من الرعب[1]. هكذا وصف كاتب بشكل خيالي الذعر والهلع الذي كان يسببه الطاعون للناس. فبسبب كلفته الديمغرافية العالية وتأثيره النفسي، لايمكن مقارنة الطاعون بأي مرض معد آخر في التأريخ العثماني، مثلما ذكر ذلك مبشر عاش في استانبول في القرن التاسع عشر[2].

يُصنّف الطاعون على انه مرض من امراض الحميّات الحادة المقترنة بالتهاب الغدد اللمفاوية، والذي تسببه بكتريا دقيقة. ويتوزع الطاعون على ثلاثة

---

1 Bertram S. Puckle, Funeral Customs, 1st Published, (London: T. Werner Laurie LTD, 1926), PP. 131-132.

2 “Forty Years in the Turkish Empire; or, Memoirs of Rev. William Goodell”, P. 202.

انواع رئيسة: الطاعون الدمّلي، والطاعون الرئوي، والطاعون التسممي (انتان الدم). وفي الوقت الذي تنتشر فيه عدوى الطاعون الدمّلي والطاعون التسممي عن طريق البراغيث، فان عدوى الطاعون الرئوي تنتقل مباشرة بواسطة الاختلاط القريب مع مريض مصاب[1]. على اي حال، لقد كان الطاعون الدمّلي النوع الاكثر شيوعا في العراق وبقية الممتلكات العثمانية الاخرى.

وقد أُطلقت مسميات عديدة على الطاعون في مناطق الشرق الاوسط المختلفة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد عُرف في طرابلس الغرب (ليبيا) في عام 1856 باسم 'تيفوئيد مع ورم غَدي'؛ وعُرف في العراق في المدة من 1856 الى 1885، باسم 'حمّى التيفوئيد الفعّالة'، وكذلك 'حمّى متقطعة مع ورم غَدي'؛ بينما أُطلق عليه في ايران منذ عام 1863 فصاعدا، اسم 'الحمّى النزفية'[2]. وقد أُطلق اسم الطاعون مجازا على اي مرض وبائي كان قاتلا لعدد كبير من الناس[3].

واعتقد بعض علماء الاوبئة، مثل الالماني هيرش، ان مراكزا جديدة للطاعون ظهرت في اجزاء مختلفة من الشرق الاوسط، مثل اليمن، وطرابلس الغرب، وايران، والعراق خلال المدة من 1850 الى 1870[4]. ففيما يتعلق

1 Payne, P. 917; Milton J. Rosenau, Preventive Medicine and Hygiene, (New York and London: D. Appleton Co., 1913), PP. 254-255.

2 James Cantlie, The Spread of the Bubonic Plague, "The Annals of Hygiene: A Journal of Health", Vol. XII (12), No.3, (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, March 1897), P. 140.

3 Montagu Lubbock, Plague, in "Hygiene & Diseases of warm Climates", Edited by Andrew Davidson, (Edinburgh and London: Young J. Pentland, 1893), P. 334.

4 Hirsch, Vol. 1, PP. 511-513.

بالعراق تحديدا، فقد شهد هذا البلد في المدة من 1867 الى 1915 موجات متعاقبة للطاعون، بعضها كان محدود الانتشار، والبعض الآخر كان واسع الانتشار (انظر: جدول-10).

جدول-10 (تفشيات الطاعون الوبائية في العراق 1867-1915)

السنة	المنطقة	تصنيف نوع التفشي	
		واسع الانتشار	محدود الانتشار
1867	الهندية (سنجق كربلاء)		X
1873-1874	الدغّارة ومناطق اخرى	X	
1874-1875	الديوانية ومناطق اخرى	X	
1875-1876	الحلة ومناطق اخرى	X	
1877	العزيزية وبغداد	X	
1880-1881	الشامية والنجف ومناطق اخرى	X	
1884	بدرة وجصّان وزرباطية ومندلي		X
1892-1893	عفج (عفك)		X
1897-1899	البصرة		X
1900	السليمانية		X
1901-1902	البصرة وبغداد		X
1903	الزبير (البصرة)		X
1907	البصرة وبغداد		X
1908-1909	كربلاء وبغداد		X
1910	البصرة		X

السنة	المنطقة	تصنيف نوع التفشي	
		واسع الانتشار	محدود الانتشار
1911	البصرة		X
1913	البصرة		X
1914	البصرة		X
1915-1914	بغداد		X
المجموع الكلي		5	14

طاعون الهندية (من منتصف شباط الى منتصف حزيران 1867):

بعد هدنة وبائية لنحو ثلاث وثلاثين سنة، استأنف الطاعون هجماته في العراق في عام 1867. قبل هذا الاندفاع الجديد للوباء، تعرضت بغداد ومناطق عراقية اخرى لتفشيات متكررة لحمى التيفوئيد في السنوات 1856، 1858، 1859، 1860، 1861، 1862، 1863، 1864، و1865[1]. وقد اثارت هذه التفشيات جدلا بين علماء الاوبئة. فلم ينظر الدكتور دائيكل، الطبيب الذي كان قد عُين من قبل السلطات الصحية في استانبول لتشخيص اعراض الحمّى والذي كتب تقاريرا عديدة بشأنها، للحمّى على انها اعراض للطاعون، بالرغم من انه لاحظ انها كانت مقترنة باورام غدّية عند المصابين متوزعة في الرقبة، وخلف الاذنين، وفي الابطين وفي اماكن اخرى. وفي المقابل، انتقد عالم الاوبئة الفرنسي، ثولوزن، فرضيات دائيكل، قائلا: اذا كان تشخيص المرض الاعتيادي هو الجزء الاكثر اهمية في عملنا، فينبغي ان يكون المرض الوبائي الاساس لعلوم الصحة.

1 For details, see: Tholozan, PP. 17-27.

واضاف ثولوزن: ان خطأ واحدا لطبيب هو بلا شك امر يُوسف لـه، اما نقـص الدقة في تقييمات عالم اوبئة فهـو الاداء الاكثر خطـورة. وتأسيـسا علـى طبيعـة واعراض المرض، اعتقد ثولوزن على نحو قاطع ان موجات الحمّـى الـتي طالـت العراق بين 1856 و1865، لم تكن سوى طاعونـا، وان الـدول المجـاورة كانـت محظوظة لان تفشياتها انحصرت ضمن نطاق محلي[1]. لقيـت وجهـة نظـر ثولـوزن تلك دعما من قبل عالم اوبئة آخر، الذي عد تفشيات الحمّى المذكورة آنفـا بمثابـة اندلاعات طاعونية خفيفة[2].

على اي حال، استهل الطاعون عودته الى العراق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بهجمات ضد بعض قرى الهنديـة التابعـة الى سـنجق كـربلاء يومذاك. وكانت مساحة المنطقة التي ضربها الطاعون بطول نحو 60 ميلا (96.5 كم) وبعرض نحو 20 ميلا (32 كـم)، وتقـع الى الجنـوب مـن بغـداد. وتُـروى المنطقة المذكورة بواسطة قناة او شط الهندية. وكانت المياه تغمر القـرى الـصغيرة في الهندية عندما ترتفع مناسيب الفرات في وقت مبكر من ربيع كل عام[3].

كون عرب الهندية آنذاك جزاءا كبيرا من عشيرة بني طـرف. وكـان هـؤلاء بوجه عام –كما وصـفوا– اشـداء ومتعـافين جـسديا. وكانـت حيـاتهم غايـة في البساطة، لكنهم قاوموا بيسر كل انواع الصعاب. وقد ارغمـتهم طبيعـة عملـهم لان يعيشوا في المياه لعدة اشهر وباجساد نصف عاريـة. وخـلال الطقـس الحـار، كان الرجال والنساء والاطفال يعيشون في العراء، ولم يكن لـديهم مـأوى سـوى اكواخ بائسة صُنعت من القصب والحصير. اما غـذائهم الرئيـسي فكـان يعتمـد

1 Ibid, PP. 17-19.
2 Payne, P. 919.
3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 49-50.

على الرز والتمر في الغالب[1]. وعندما هاجم الطاعون هـؤلاء النـاس، اشـتملت قراهم على 2.400 شخص اقاموا في ستمئة كوخ. وطبقا لشهادة افاد بهـا شـيخ بني طرف، بدأ الوباء هجومه ضد افراد عشيرته في هذه المنطقة في منتصف شـباط 1867. وقد حدثت اصابة واحدة في اليوم الاول للاندلاع الوبائي، لكن سرعان ما ارتفع معدل الاصابات الى عشرة اشخاص يوميا خلال العشرين يوما التاليـة. ومن بين سبعين مصابا من اتباع بني طرف الذين لقوا حتفهم، كان لـدى ثلاثـين منهم دمامل في الابطين والرقبة والافخاذ[2]. وقد قدّر الجـراح البريطـاني كولفيـل الذي زار ثلاث قرى في المنطقة، ان من بـين 1150 نـسمة، وهـو العـدد الكلـي لسكان تلك القرى، لقـي 110 اشـخاص حـتفهم مـن الوبـاء. وكـان مـن بـين الضحايا العديد من الاطفال الذين تراوحت اعمارهم بين اربع وست سـنوات. وللاسف، فقد عانى هؤلاء الاطفال من آلام مبرحة ولمدة طويلة من الزمن قبـل ان يلقوا مصيرهم المفجع. ومنذ منتصف حزيران 1867، بدأ الطاعون بالانحسار ثم مالبث ان توقف تماما في بداية تموز[3].

طاعون الدغّارة ومناطق اخرى (كانون الاول 1873ـ حزيران 1874):

عاود الطاعون ظهوره في بعـض منـاطق المـستنقعات في جنـوب العـراق، حيث سُجلت الاصابة الاولى في ناحية الدغّارة في الديوانية في نهاية كانون الاول من عـام 1873[4]. لقـد شـخص الوبـاء منـذ اندلاعـه علـى انـه طـاعون دمّلـي

1 Tholozan, P. 32.
2 Ibid, P. 33.
3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 51-52, 54.
4 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague", in: Reports of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board, No. VII (7): Annual Report to the Local Government Board with Regard to the Year 1875, Presented Pursuant to Act of Parliament, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottisw Jode, 1876), P. 94.

اعتيادي[1]. وقد لفت انتباه الناس في الدغّارة نفوق اعداد كبيرة من الماعز قبل شهرين من وقوعه، وان البعض منهم قد تناول لحومها. ومع ذلك لم تُثبت صلة هذا الحدث بالوباء. وخشية من تدابير الحجر الصحي التي قد تتخذها السلطات المحلية، فقد اخفت العشائر العربية للدغّارة المعلومات بخصوص اندلاع الطاعون.

وقد لوحظ انه حالما ضرب الطاعون الدغّارة، عانى الناس المصابين من انهاك كبير، وترنح في حركاتهم، وصداع وعطش شديد، وقيء مصحوب في الغالب بدم اسود. كما لوحظ ايضا ان قوة المرض كانت تتراجع بتقدم الوقت، لكن دورة حياته كانت تستطيل وتظهر لدى المصابين دمامل وخرّاجات. ومن خلال رصد لعينات من الاشخاص االذين لقوا حتفهم من الداء، تبين ان الوفاة كانت تحدث اما بعد خمسة او ستة ايام او في نهاية الاسبوع الثالث، وان المريض كان يمر قبل وفاته بغيبوبة تستغرق تقريبا اثني عشر ساعة. ومع ان بعض المصابين في الدغّارة تماثلوا للشفاء، فقد تواصلت الوفيات فيها باعداد كبيرة لمدة شهرين ونصف[2].

وانفجر الطاعون لاحقا بين العشائر العربية لمنطقة عفج (او عفك) الواقعة بين الدغّارة والديوانية في 15 آذار 1874. وبحلول يوم العشرين من مايس، تكبدت هذه العشائر اكثر من الف وفاة. وبالكاد ان بقي عشرة بالمئة من اولئك الذين أُصيبوا بالوباء على قيد الحياة. لقد فقدت تلك العشائر، التي قُدر نفوسها يومذاك نحو 35.000 نسمة، 2.000 شخص في غضون ثلاثة اشهر[3]. وضرب

1 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme, P. 169.
2 Sticker, P. 332.
3 Sticker, P. 332.

الوباء الديوانية في 13 نيسان واستمر لغاية 9 حزيران، قاتلا فيها نحو 794 شخصا. وهاجم الطاعون كذلك ناحية المدحتية في شهر نيسان، حيث سُجلت هناك 120 وفاة. واندلع الطاعون في الحلة، وسلطان منصور، والجربوعية، وام البعرور، وطويريج، والنجف وكربلاء في المدة من 1 مايس الى 25 حزيران. وقد اخذ الوباء ارواح عدد قليل جدا من الناس في مدينتي كربلاء والنجف[1]. وبدءا من شهر حزيران، بدأت قوة الطاعون بالانحطاط التدريجي ثم مالبث ان توقف كليا[2]. تراوح عدد سكان المناطق التي هاجمها الطاعون بين 80.000 و90.000 نسمة. لقد قُدر الرقم الاجمالي للوفيات في تلك المناطق بنحو 4000 شخص[3]، بينما كان عدد الوفيات المعلنة 3035 شخصا (انظر: جدول-11).

جدول-11 (وفيات الطاعون في بعض المناطق الجنوبية لولاية بغداد 1873-1874)[4]

المدينة او المنطقة	عدد النفوس	تأريخ اندلاع الوباء	الوفيات المعلنة	الملاحظات
الدغّارة والقرى المجاورة	35.000	كانون الاول 1873- حزيران 1874	2.000	-

1 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague", P. 94; Sticker, P. 332.
2 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 258.
3 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme, P. 169; Sticker, P. 333.
4 Table data are entirely derived from a table given by doctor Castaldi in his report, which was published in Istanbul in 1875. Quoted in:"Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague", P. 94.

المدينة او المنطقة	عدد النفوس	تأريخ اندلاع الوباء	الوفيات المعلنة	الملاحظات
مركز مدينة الديوانية واطرافها	6.000	13 نيسان – 9 حزيران 1874	794	من المحتمل 1200 وفاة
الحلة	20.000	13 مايس – 9 حزيران 1874	5	–
سلطان منصور والجربوعية	1.500	17 مايس – 13 حزيران 1874	82	–
ام البعرور	1.500	17 مايس – 13 حزيران 1874	8	كل الحالات الوافدة كانت بين هيئة الشرطة
طويريج	2.000	10 مايس – 13 حزيران 1874	1	–
النجف	4.000	1 مايس – 13 حزيران 1874	22	الوفيات بين الايرانيين غير معروفة
المدحتية	700	نيسان–مايس 1874 (18 يوما)	120	–
كربلاء	10.000	25 حزيران 1874 (يوم واحد)	3	–
العدد الكلي للوفيات المعلنة			3.035	
الوفيات المقدرة			4.000	

طاعون الديوانية ومناطق اخرى (كانون الاول 1873ـ حزيران 1875):

اندلع الطاعون مرة اخرى في مركز مدينة الديوانية في كانون الاول 1874. وبينما قُدرعدد سكان المدينة آنذاك نحو 2.500 نسمة، سلب الوباء ارواح 400 شخص منهم[1]. وقد انتدبت سلطات بغداد الصحية الجراح البريطاني كولفيل للتحقق من الوباء وفحص عينات من المصابين. وبعد زيارات قام بها للعديد من البقع التي ضربها الوباء، اعلن كولفيل ان المرض كان طاعونا مؤكدا[2]. وانتشر الداء باتجاه شط الحي في كانون الثاني 1875، ومضى الى ابعد من ذلك نحو سهل دجلة. وقد فقد عرب المنتفك (الناصرية)، الذين كانوا يعيشون الى الجنوب من قبائل عفج، بين ثلاثة وتسعون وخمسة وتسعون شخصا من اصل مئة سبق لهم ان أُصيبوا بالوباء. ثم انفجر الوباء في شباط في آل بدير التي تقع الى مسافة تبعد نحو 12 ميلا (19 كم) عن هورعفج[3]. وهاجم الطاعون في بداية شهر آذار الفوّار، التي كانت آنذاك قرية يبلغ عدد سكانها نحو 250 نسمة، حيث قتل فيها ثلاثة واربعون شخصا. وضرب الطاعون الشنّافية ايضا، التي كان نفوسها آنذاك يربو على الف نسمة. وقد لقي 108 اشخاص من اهلها حتفهم في بداية مايس. وضرب الوباء ايضا منطقة الحي في الكوت في نيسان، حيث اهلك بحلول شهر مايس 500 شخص من اهليها. وظهر الطاعون في

1 Colvill, Report on Plague in Mesopoptamia 1874-1875, in "Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague: Prepared from Time to Time by Direction of the President of the Local Government Board, with Other Papers", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottisw Jode, 1879), PP. 20-21.

2 John Wortabet, A Short of the Recent Visitation of the Plague in Bagdad and its Vicinity, 1867-1877, "Edinburgh Medical Journal", Vol. XXV (25), Part1: July to December 1879, (Edinburgh: Oliver and Boyd, 1880), PP. 222-223.

3 Sticker, P. 333.

الشطرة في منتصف نيسان وتفاقم طوال شهر مايس. ووصل الداء الى الناصرية قادما من الشطرة، حيث قتل هناك ثلاثين شخصا بحلول منتصف مايس. وانتشر الطاعون في سوق الشيوخ في آذار، قاتلا نحو 200 شخص. لكن بحلول شهر مايس، لم تعد تُسجل هناك اية وفيات. لقد شكلت المنطقة التي ضربها الطاعون مثلثا نقطتة الاولى في الكوت على دجلة، والثانية في الشنّافية بالديوانية، والثالثة في سوق الشيوخ بالناصرية (انظر الخارطة في ملحق – 1). وقد هاجم الطاعون نصف القرى التي تضمنها هذا المثلث. وفيما بعد بدأ الطاعون بالانحطاط التدريجي ثم توقف تماما بين نهاية مايس و10 حزيران 1875[1]. ولاتنوفر، في الواقع، ارقاما رسمية بشأن الوفيات في المنطقة المستهدفة[2]. لكن طبقا لكولفيل، فقد بلغ العدد الكلي المقدر للوفيات نحو 4.000 شخص، او ما نسبته 13٪ من سكان القرى المصابة[3].

طاعون الحلة ومناطق اخرى (منتصف تشرين الثاني 1875 – تموز 1876):

انتشر الطاعون في بعض قرى الفرات الاوسط الى الجنوب من بغداد في خريف عام 1875. وفي احدى هذه القرى الواقعة الى الشمال الشرقي من الحلة والتي كانت تشغلها ثمان عوائل، قتل الطاعون كل افرادها باستثناء امرأة طاعنة في السن. كما ضرب الطاعون قرية اخرى تقع الى الجنوب من الحلة تقطنها عشيرة البوسلطان. وقد قتل الطاعون في غضون اسبوع ثمانين شخصا من مجموع اربعمائة من افرادها [4]. وهاجم الطاعون ايضا مدينة الحلة في كانون الثاني

1 Colvill, Report on Plague in Mesopoptamia 1874-1875, PP. 20-21.
2 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 286.
3 Colvill, Report on Plague in Mesopoptamia 1874-1875, PP. 21.
4 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 286.

1876، لكن على هيئة التهاب رئوي غُدّي مميت[1]. وقد لاحظ طبيب الماني خدم في العراق لمدة خمس سنوات، ان الطاعون الذي انتشر في الحلة في المدة من شباط الى نيسان قد تميّز باعراض سعال مصحوب بالدم، وتقيؤ مواد خضراء اللون، وصداع، وحمّى مستمرة، وآلام حادة في الكتف. كما لاحظ ايضا ان مدة دورة المرض كانت تستغرق بين يوم وثلاثة ايام[2]. لقد قُدر العدد الكلي للاصابات في الحلة، التي كانت يومذاك مدينة يبلغ عدد نفوسها قرابة 15.000 نسمة، نحو 1826 شخصا (889 رجلا و937 امرأة). ويُبين الجدول ادناه، الذي يضم 1826 حالة كانت قد شُخصت وسُجلت من قبل الدكتور جيوفاني كابيادس في الحلة، ان نسبة الوفيات بلغت 52.6٪ (انظر جدول-12).

جدول-12 (بيان تحليلي بخصوص 1826 حالة لوحظت من قبل الدكتور كابيادس في الحلة اثناء تفشي طاعون عام 1876)[3]

العمر	العدد	الجنس	النتيجة
من شهرين الى 9 سنوات	277	-	-
من 10 سنوات الى 19 سنة	617	-	-
من 20 سنة الى 29 سنة	432	-	-

1 Sticker, P. 333.

2 "Jahresbericht über die Leistungen und Fortschritte in der gesammten Medicin", Unter Mitwirkung Zahlreicher Gelehrten, Herausgegeben von Rud. Virchow und Aug. Hirsch, XIV. Jahrgang: Bericht für das jahr 1879, (Berlin: Verlag von August Hirschwald, 1880), P. 17.

3 Quoted in: E.D. Dickson, The Characters of the Epidemic Plague in Mesopotamia in 1876-1877, in "Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague: Prepared from time to Time by Direction of the President of the Local Government Board, with Other Papers", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottisw Jode, 1879), P. 52.

العمر	العدد	الجنس	النتيجة
من 30 سنة الى 39 سنة	292	–	–
من 40 سنة الى 49 سنة	123	–	–
من 50 سنة الى 59 سنة	52	–	–
من 60 الى 69 سنة	18	–	–
من 70 سنة الى 79 سنة	11	–	–
من 80 سنة الى 89 سنة	3	–	–
رجل مسّن بعمر 113 سنة	1	–	–
المجموع	1826	ذكور: 889 اناث: 937	المتشافين: 865 المتوفين:961

وظهر الطاعون لاحقا في الكفل، والكوفة، والمسيب، وطويريج، وكربلاء، والديوانية، والسماوة، والناصرية، وسوق الشيوخ، والكوت، والعزيزية[1]. ووصل الداء الى بغداد في منتصف آذار[2]، مهاجما الاحياء الاكثر فقرا في المدينة. لقد كان ظهور الطاعون الاستهلالي في بغداد خفيفا، لكنه سرعان ما تصاعدت حدته واصبح اكثر فتكا في الاسابيع الاخيرة من شهر آذار. وشهد نيسان ذروة الوفيات عندما لقي 69٪ من المصابين بالداء حتفهم. وقد تراجعت الوفيات قليلا في مايس حين قضى 39٪ من المصابين نحبهم. لقد اشتملت اعراض الوباء بوجه عام على دمامل وخرّاجات وآلام حادة في الابطين والغدد التكفية[3]،

1 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme, P. 170.
2 Sticker, P. 334.
3 "Jahresbericht über die Leistungen und Fortschritte in der gesammten Medicin", P. 17.

والفخذين والرقبة. و كان هناك في جميع الحالات ارتفاع حاد بدرجة حرارة الجسم يتوافق مع خطورة الحالة. وغالبا ما كانت الوفاة تحدث في اليوم الرابع او الخامس للمرض. اما العلاجات التي أُستخدمت آنذاك في بغداد والحلة، فقد تضمنت وسائل لتخفيف حدة التورمات، بالاضافة الى ادوية تحتوي على حامض الكربوليك او سلفات الكينين. وكان لهذه العلاجات نتائج طيبة في حالات معينة، بينما هي لم تُجد في حالات اخرى، ان لم تكن ضارة[1]. وقد توقف الوباء تماما خلال صيف العراق اللاهب، عندما سجل المحرار درجة 45 او 50 مئوية (113 او 122 فهرنهايت)[2].

ويُظهر جدولا اعده الجراح البريطاني كولفيل بخصوص 534 حالة حدثت اثناء هجوم الطاعون على بغداد في عام 1876، شدة الهجمة الوبائية، واعمار الضحايا، وجنسهم. وطبقا للجدول، فان معظم الوفيات حدثت ضمن الايام الثلاثة الاولى للهجمة. فمن بين 534 حالة، سُجلت 311 وفاة اثناء تلك الايام او نحو 58٪ من الخسائر في الارواح. وكانت اغلب حالات الوفاة تلك تعود لاشخاص تراوحت اعمارهم من عام الى ثلاثين عاما. كما اظهر الجدول ايضا، ان 215 طفلا ورجلا وامرأة شكلوا تقريبا 40٪ من الوفيات في الايام الثلاثة الاولى للهجوم. ومن حيث جنس الضحايا، فقد هاجم الطاعون النساء اكثر من الرجال. فمن بين 534 حالة، اهلك الطاعون 301 امرأة، و 233 رجلا (انظر: جدول-13).

1 (B.M.J), Vol.1, No. 949, March 8, 1879, PP. 339-341.

2 Dickson, The Characters of the Epidemic Plague in Mesopotamia in 1876-1877, P. 51.

جدول-13 (دورة المرض بخصوص 534 حالة لاعمار مختلفة اثناء تفشي الطاعون في بغداد في عام 1876)[1]

الفترة التي تستغرقها الوفاة بالايام بعد الهجوم الوبائي															
العمر بالسنوات	جنس المصاب	1	2	3	4	5	6	7	8	10	12	16	20	مازيد عن ذلك	المجموع
سنة فما دون	ذكر	2	1	1	-	-	1	-	-	-	-	-	-	-	5
	انثى	4	1	2	1	-	-	-	-	-	-	-	-	-	8
من سنة الى 12	ذكر	17	12	15	11	11	3	2	-	-	-	-	2	-	73
	انثى	23	22	21	15	7	5	-	1	4	-	-	5	-	103
من 12 الى 30	ذكر	24	15	15	11	12	7	1	5	3	4	-	-	-	97
	انثى	24	9	18	14	9	5	6	4	4	1	-	1	-	95
من 30 الى 40	ذكر	5	5	7	4	4	1	1	-	-	1	-	1	-	29
	انثى	14	5	9	7	7	2	-	2	-	1	1	2	-	50

1 Table data are derived from: Colvill, Plague in the Province of Baghdad 1876-1877, PP. 42-43.

الفترة التي تستغرقها الوفاة بالايام بعد الهجوم الوبائي															
العمر بالسنوات	جنس المصاب	1	2	3	4	5	6	7	8	10	12	16	20	مايزيد عن ذلك	المجموع
من 40 الى 60	ذكر	2	5	6	4	1	-	-	1	2	1	-	-	-	22
	انثى	9	5	7	5	7	2	1	1	1	1	-	-	-	39
من 60 الى اكثر	ذكر	-	-	3	2	1	-	1	-	-	-	-	-	-	7
	انثى	2	-	1	2	1	-	-	-	-	-	-	-	-	6
المجموع للجنسين	ذكر	50	38	47	32	29	12	5	6	5	6	-	3	-	233
	انثى	76	42	58	44	31	14	7	8	9	3	1	8	-	301
المجموع العام	--	126	80	105	76	60	26	12	14	14	9	1	11	-	534

وقد عزا الجراح البريطاني كولفيل النسبة العالية للوفيات بين النساء لاسباب اجتماعية. لقد اعتقد كولفيل ان المجتمع في العراق، حيث تعدد الزوجات معترف به من قبل الاسلام، قد اعطى الفقراء، الذين هُوجموا

بالطاعون اكثر من اغنياء بغداد، الفرصة لان يكون لديهم اكثر من زوجة في بيوتهم[1]. على اي حال، فأنه طبقا لتقارير السلطات الصحية المحلية لبغداد، فأن 4570 اصابة و2616 وفاة سُجلت في المدينة والمناطق المجاورة من 13 آذار ولغاية 5 تموز 1876 (انظر: جدول-14).

جدول-14 (اصابات ووفيات الطاعون في بغداد في عام 1876 طبقا لبيانات رسمية قدمتها دوائر الصحة العثمانية في العراق للقنصليات الاجنبية)[2]

التأريخ	الاصابات	الوفيات
لغاية 13 آذار 1876	5	2
16-20 آذار	29	15
21-27 آذار	119	45
28 آذار – 1 نيسان	145	75
2-8 نيسان	256	169
9-15 نيسان	455	267
16-23 نيسان	535	336
23-29 نيسان	609	399
30 نيسان- 6 مايس	643	409
7-13 مايس	480	341
14-20 مايس	457	234
21-27 مايس	304	162

1 Ibid, P. 41.

2 Table data are derived from: "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 289.

الوفيات	الاصابات	التأريخ
76	311	28 مايس – 3 حزيران
69	132	4-10 حزيران
12	79	11-17 حزيران
3	7	18-24 حزيران
2	4	25 حزيران – 2 تموز
2.616	4.570	العدد الكلي

طاعون العزيزية وبغداد (آذار- حزيران 1877):

قبل تفشي الطاعون في عام 1877، أُبلغ عن حدوث حالات اصابة بالوباء في بغداد في بداية كانون الاول 1876، لكنها كانت خفيفة ومتقطعة[1]. وبسبب تواصل ظهور هذه الحالات الخفيفة والمتناثرة للطاعون من حين لآخر، استنتج البعض بان التفشي الوبائي لعام 1877 كان امتدادا لطاعون عام 1876[2]. وفي الواقع، انه من غير المنطقي القبول بهذا الاستنتاج، لان الفاصل الزمني بين التفشيين كان تقريبا ثمانية اشهر، فضلا عن ان المنطقة التي ضربها الطاعون في عام 1877 كانت محدودة جدا، مقارنة بالمنطقة الواسعة المصابة لعام 1876.

لقد حدثت الحالات الاولى للطاعون في قضاء العزيزية الى الجنوب من بغداد في 15 كانون الثاني 1877. وسُجلت اصابتين في بغداد في 17 من الشهر ذاته. كما تم الابلاغ عن حالات اصابة اخرى في شباط وبداية آذار. وقد بلغ

1 Wortabet, P. 224.
2 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme, P. 170.

الوباء ذروته في المدة من منتصف آذار ولغاية نهاية مايس، اذ سُجلت 790 وفاة في آذار و756 حالة وفاة اخرى في مايس. لقد شكلت هذه الارقام مايقرب من 95٪ من العدد الاجمالي للوفيات. ومنذ منتصف حزيران بدأ الطاعون بالانحسار بشكل كبير[1]، بحيث لم يمض تموز الا وعُدت بغداد نظيفة تماما من الوباء[2].

وتبدو الارقام التي اعطتها بعض المصادر بشأن الوفيات الناجمة عن تلك الهجمة الوبائية للطاعون مشوشة ومثيرة للجدل. فقد اعتقد رحالة زار بغداد بأن عدد وفيات الطاعون في بغداد كان 5.000[3]. بينما اوضح جون وربت، طبيب وعالم اوبئة عمل في مستشفى في بيروت، ان السلطات الصحية لبغداد قد اخفت الاسباب الحقيقية لبعض الوفيات، وان الطاعون قد اهلك ما لايقل عن 2.000 شخص. علاوة على ذلك، اشار وربت الى ان عدد سكان بغداد كان يضم آنذاك نحو 50.000 مسلم، و30.000 يهودي، و2.000 مسيحي، وانه بسبب مغادرة الطائفة الاخيرة لبغداد فور ظهور الطاعون، فأن العدد الكلي للوفيات يجب ان يُقسّم بين المسلمين واليهود[4]. وللحقيقة، فانه طبقا لسالنامة بغداد لعام 1877، كان العدد الكلي لسكان سنجق بغداد، بما في ذلك مركز ولاية بغداد والمناطق الادارية الاخرى الملحقة به، نحو 61.506 نسمة موزعين على النحو الآتي: 47.464 مسلما، و9.618 يهوديا، و1.324 مسيحيا، و3.100 من افراد القبائل (كلهم من المسلمين)[5]. اذن، انه يبدو من المتعذر ان نُقسّم الوفيات بين

---

1 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 292

2 (B. M. J), Vol.2, No. 863, July 14, 1877, P. 51.

3 Geary, PP. 130-131.

4 Wortabet, P. 224.

5 سالنامة ولاية بغداد، دفعة 2، (بغداد: مطبعة ولاية بغداد، محرم 1294 هجرية/ 1877 ميلادية)، ص ص 126-127

المسلمين واليهود بالتساوي، بالرغم من ان عددا كبيرا من اليهود قد قضوا نحبهم اثناء الهجمة الوبائية، كما يبين ذلك الرحالة غراتان جيري[1]. ومهما يكن من امر، فأنه استنادا للارقام التي ذكرتها سلطات بغداد الصحية، فان العدد الكلي للخسائر في الارواح الناجمة عن الطاعون، للفترة من 26 كانون الثاني ولغاية 16 حزيران 1877، كان يربو على 1.626 حالة وفاة[2].

طاعون الشاميّة والنجف ومناطق اخرى (ايلول 1880ـ حزيران 1881):

ضرب الطاعون عشيرة آل زياد في قضاء الشامية الواقع على الضفة اليمنى للفرات في اواخر ايلول 1880[3]. وقد تضمنت اعراض المرض فقدان كبير للشهية، وحمّى عالية، وعطش، وصداع، واسهال، وتقيؤ مصحوب بالدم، وتبول دموي، وتورمات في الابطين والفخذين، وهزال، ومن ثم غيبوبة تقود الى الوفاة في غضون ثمانية عشر، او اربع وعشرين، او ثمان واربعين ساعة[4]. واثناء تفشيه الوبائي، نشر الطاعون نفسه مثل بُقعة زيتٍ كما وُصف، ولم يترك للآخرين اي مكان خال من هجومه القاتل. وفي تشرين الثاني انتقل الوباء الى الشنافيّة. ومن ثم ظهر في ناحية الجعّارة (الآن الحيرة) في ابو صخيّر في كانون

---

1 Geary, PP. 130-131.

2 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 292.

ومن الجدير بالذكر ان الرقم الكلي للخسائر بالارواح الذي اعطاه رادكليف في مذكرته قد حُسب خطا على انه 1672 حالة وفاة.

3 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Deuxieme Serie: L – P, Tome: Vingt-Troisieme: PER - PHA, (Paris: G. Masson & Asselin et Houzeau, 1887), P 664; "Gazette Hebdomadaire de Medecine et de Chirurgie", Vingt-Huitieme Annee, 15 Avril, 1881, (Paris: G. Masson, 1881), P. 243.

4 "Gazette Hebdomadaire de Medecine et de Chirurgie", P. 243.

الثاني 1881[1]. وبحلول الخامس والعشرين من آذار، قتل الطاعون في هذه المدينة الصغيرة 350 شخصا من بين 1.200 شخص، وهم العدد الكلي المقدر لسكان الجعّارة يومذاك. اما النجف، التي كانت آنذاك مدينة بعدد سكان يتراوح بين 6.000 و8.000 نسمة، فلم تعاني في بداية الهجوم الوبائي من خسائر ثقيلة في الارواح. فحسبما ذُكر أُحصيت هناك بين 25 و30 وفاة[2]. لكن الخسائر في الارواح ازدادت في النجف لاحقا بشكل ملفت للنظر. فلغاية 20 نيسان، لقي من سبعين الى ثمانين شخصا حتفهم هناك يوميا[3]. وطال الداء ايضا ابو صخّير والكوفة، حيث سُجلت ارقاما مرتفعة في الوفيات. وعلى اثر ذلك، ارسلت الحكومة العثمانية في استانبول، التي اعلنت حالة الانذار لهذا الهجوم الوبائي، برقية الى سلطات بغداد المحلية تأمرها باتخاذ التدابير الصحية الصارمة لمنع الوباء القاتل من التغلغل الى مناطق اخرى. وامتثالا للاوامر، اصدر والي بغداد تعليماته للاطباء، الذين سبق وان أُرسلوا الى المناطق التي ضربها الطاعون لغرض تأسيس نطاق صحي لعزل المناطق الموبوءة، ان يقوموا بتأسيس نطاق صحي ثاني مؤلف من حرس مدربين، وجندرمه (افراد شرطة)، وجنود وفرسان لعزل كل المناطق الواقعة الى الشمال من كربلاء، واعتراض اي اتصال بين النهر والمناطق الواقعة الى الشرق. كما أُتخذت خطوات وقائية اخرى لايقاف تمدد الوباء، تضمنت احراق الاكواخ المصابة، وحرق قطعان الماشية، واخلاء القرى والبيوت،...الخ[4]. وقد تراوحت نسبة الوفيات في تلك المناطق التي ضربها

1 (B. M. J), Vol.1, No. 1058, April 9, 1881, P. 566.
2 "Gazette Hebdomadaire de Medecine et de Chirurgie", P. 243.
3 (B. M. J), Vol.1, No. 1057, April 2, 1881, P. 525; "Revue d'Hygiene et de Police Sanitaire", Troisieme Annee, (Paris: 1881), P. 456.
4 "Gazette Hebdomadaire de Medecine et de Chirurgie", P. 243.

الطاعون بين ربع وخمس السكان[1]. ولان الصيف الحار جدا للعراق كان قاتلا محترفا على الدوام للطاعون، فقد تضائل نشاطه مع بداية الموسم ثم مالبث ان توقف تماما في نهاية حزيران 1881[2].

طاعون بدرة وجصّان وزرباطية ومندلي (شباط – تموز 1884):

بعد تحققه من طبيعة واعراض الداء، أيقن مفتش صحة بغداد في بداية شباط 1884 بأن الوباء الذي تفشى في مناطق بدره وجصّان وزرباطيه ومندلي الواقعة الى الشرق من بغداد بمحاذاة الحدود العراقية-الايرانية، كان طاعونا مؤكدا[3]. وقد ضرب الطاعون لاحقا العشائر العربية التي تجولت او استقرت الى جوار المناطق الموبوءة[4]. ومع ان الطاعون الذي هاجم تلك المناطق تم تصنيفه على أنه من النوع الدمّلي الحاد، الا انه كان محصورا ضمن نطاق محلي[5]. وقد اقترن المرض، مثلما لُوحظ، بنزف متكرر، وتقيؤ مصحوب بالدم، وسعال جاف، ووفاة سريعة للمصاب في العديد من الحالات[6]. وحدثت في تلك الآونة كارثة طبيعية فاقمت عواقب هذا التفشي الوبائي. اذ فاض نهر دجلة محولا بغداد الى جزيرة، ولذلك احتاجت اية مساعدة حكومية الى ثمانية ايام على الاقل

1 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome: Vingt-Troisieme, P. 664.
2 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme, P. 169.
3 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome: Vingt-Troisieme, P. 664.
4 (B. M. J), Vol.1, No. 1200, May 17, 1884, P. 964.
5 "Journal de'Hygiene", Vol.13, No. 624, Jeudi, Septembre 6, 1888 (Paris: 1888), P. 422.
6 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome: Vingt-Troisieme, P. 664.

للوصول الى الاماكن التي ضربها الوباء[1]. وبحلول موسم الصيف، بدأ الطاعون بالتراجع التدريجي لغاية ان انتهى تماما في تموز 1884[2].

طاعون عفج (عفك) (بين آذار 1892 وحزيران 1893):

حدث اندلاعان، لكن على نحو متقطع، للطاعون في العراق خلال المدة بين آذار 1892 وحزيران 1893. وطبقا لتقرير صحي امريكي، كانت ناحية عفج في سنجق الديوانية البؤرة التي ضربها الوباء في كلا الاندلاعين[3]. وقد صُنّف الطاعون الذي ضرب الناحية في آذار من عام 1892، بانه كان خفيفا واعراضه تقليدية تضمنت حمّى عالية، ودمامل، وبقع جلدية وجمرات[4]. وقُدرت وفيات الطاعون بنحو 630 شخصا من بين 4.000 نسمة، شكلوا يومذاك العدد الكلي التقريبي لسكان عفج[5]. وقد اعلن سبريدين زافتزيانو، المفوض الصحي للولايات المتحدة في استانبول في حزيران 1892، بأن الطاعون في العراق قد اختفى في الغالب[6]. لكن المفوض الامريكي ذاته اعلن مجددا في كانون الثاني 1893، بأن طبيب صحة بغداد افاد استانبول باندلاع جديد للطاعون في عفج في اواخر كانون الاول 1892[7]. وعلى ما يبدو ان هذا التفشي الخفيف

1 (B. M. J), Vol.1, No. 1200, May 17, 1884, P. 964.
2 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome: Vingt-Troisieme, P. 664.
3 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 5, February 3, 1893, P. 71.
4 (W. A. S. R.), Vol. 7, No. 25, June 17, 1892, P. 268; "Revue Generale de Clinique et de Therapeutique Journal des Praticiens", Dixieme Annee, (Paris: 1896), P. 271
5 "Revue Scientifique", Tome V (5), No. 19, Mai 9, 1896 (Paris: 1896), P. 604.
6 (W. A. S. R.), Vol. 7, No. 29, July 15, 1892, PP. 330-331.
7 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 5, February 3, 1893, P. 71.

والمتقطع للطاعون قد تواصل في العراق لغاية حزيران 1893، اذ اعلنت التقارير الصادرة عن سلطات بغداد الصحية وقتذاك خلو البلاد من الداء[1].

طاعون البصرة (نيسان 1897 – حزيران 1899):

عُدّ العراق ولمدة سبع سنين (1893–1900) بلدا نظيفا من الطاعون باستثناء حالات قليلة متفرقة حدثت في البصرة. فقد اعلنت القنصليتان الامريكيتان في بغداد وطهران في تشرين الاول 1896 ان طاعونا فتاكا ضرب بومبي في الهند[2]. وقد اثار هذا الحدث مخاوف الحكومات الاوربية من امتداد الطاعون الى قارتهم. لهذا السبب، تم عقد المؤتمر الصحي الدولي في البندقية بايطاليا، للمدة من 16 شباط الى 19 آذار 1897، لتحري الوسائل ومناقشة الخطوات اللازمة لمنع طاعون الهند من بلوغ اوربا. ومن اجل تعزيز الدفاعات الصحية العراقية ضد تقدم محتمل للطاعون من الهند، اوصى المؤتمر بتأسيس محطات صحية عند مدخل الخليج العربي وفي البصرة[3].

وبالرغم من كل التدابير الصارمة التي اتخذتها السلطات الصحية العثمانية لوقف انتشار الوباء، فقد حدثت وفاة بالطاعون في البصرة في نيسان 1897. وللحقيقة، فأنه باستثناء هذه الحادثة، لم تُلاحظ اية حالة مرضية اخرى[4]. ازاء ذلك، اعرب اغلب المفوضين الصحيين الاوربيين في استانبول عن تفاؤلهم بانه لم تعد لديهم مخاوف بشأن انتشار الطاعون في الامبراطورية العثمانية عبر ولاية

1 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 24, June 16, 1893, P. 470.
2 (P. H. R), Vol.11, No. 48, November 27, 1896, P. 1110; (P. H. R), Vol.11, No. 50, December 11, 1896, P. 1157.
3 (P. H. R), Vol.12, No. 19, May 7, 1897, P. 457.
4 (P. H. R), Vol.12, No. 18, April 30, 1897, P. 434.

البصرة، لكن المفوض الصحي للولايات المتحدة كانت لديه وجهة نظر مغايرة، اذ صرح قائلا: " انه ليس هناك شيء يمكن ان يضمن لنا ... ان الطاعون سوف لن يظهر ثانية في تلك الولاية"[1].

وقد سُجلت حالات قليلة للطاعون في البصرة في مايس 1899، عندما وصلت سفينة تجارية من جدة كان على متنها حجاجا ومسافرين. لقد سُجيّت وسط هؤلاء ست جثث تعود لاشخاص قضوا نحبهم من الطاعون اما خلال الرحلة او على الساحل[2]. كما سُجلت حالة اضافية اخرى في البصرة في حزيران 1899، عندما توفي شخص هندي من التبعية البريطانية من الطاعون الدمّلي[3].

طاعون السليمانية (آذار-حزيران 1900):

لم تستمر هذه المناوشات الطاعونية المحدودة الاثر على هذا المنوال، اذ سرعان ما عاود الوباء نشاطه في العراق في ربيع عام 1900. اذ تفشى الطاعون في 5 آذار في ثلاث قرى حدودية ايرانية تقع على مسافة قريبة جدا من سنجق السليمانية في كردستان العراق[4]. ودمر الطاعون قريتين حدوديتين في السليمانية في اواخر آذار[5]. وفي سياق التفشي ذاته اعلنت دائرة صحة بغداد بأن الطاعون

1 (P. H. R), Vol.12, No. 47, November 19, 1897, P. 1414.
2 (P. H. R), Vol.14, Nos. 25 & 26, for the days: June 23 and 30, 1897, PP. 975, 1027; J. M. Eager, The Present Pandemic of Plague, Treasury Department, Public Health and Marine-Hospital Service of the United States, (Washington: Government Printing Office, 1908), P. 6.
3 (P. H. R), Vol. 14, No. 31, August 4, 1899, PP. 1247-1248.
4 (P. H. R), Vol. 15, Nos. 16 & 18, for the days: April 20, May 4, 1900, PP. 925, 1100.
5 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: The Department of State, Dispatch No. 141, dated April 5, 1900, Subject: Disease, Serial number: 21-23.

ساد في قرية ديلتاوة[1] في 1 نيسان، حيث توفي فيها 70 شخصا. كما هاجم الطاعون كذلك قرى اخرى مجاورة[2]. واكتشفت دائرة صحة بغداد في منتصف نيسان وجود الطاعون في ثماني قرى في السليمانية[3]. وفي تقريره المؤرخ في 25 نيسان، اعلن المفوض الصحي للولايات المتحدة في استانبول بأن طاعونا دمّليا قد تفشّى في مدينة گلعنبر[4] في السليمانية.[5] على اي حال، كان تفشي الطاعون في عام 1900 خفيفا ومحصورا بوجه عام في بعض المناطق الكردية الواقعة على الحدود العراقية-الايرانية. وقد اختفى الداء من هذه المناطق في حزيران من العام المذكور، ولم تتجاوز قائمة وفياته 180 شخصا[6].

طاعون البصرة وبغداد (اواخر نيسان 1901 – اواخر شباط 1902):

اندلع في العراق، ولمدة قرابة عام، نوع خفيف ومتقطع من الطاعون. ففي نشرتها التي قدمتها الى القنصلية الامريكية في اواخر نيسان 1901، اعلنت دائرة صحة بغداد، استنادا لتشخيص قامت به السلطات الصحية في البصرة، بأن طاعونا قد انتشر في المدينة[7]. وفي تقريره المؤرخ في 4 مايس 1901، اشار جي. أم

1 الاسم القديم لمدينة الخالص في ديالى

2 (P. H. R), Vol. 15, No. 18, May 4, 1900, P. 1100.

3 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 144, dated April 5, 1900, Subject: Disease, Serial number: 27-28.

4 الاسم القديم لمدينة خورمال في السليمانية

5 (P. H. R), Vol. 15, No. 20, May 18, 1900, P. 1226.

6 (P. H. R), Vol. 15, No. 26, June 29, 1900, P. 1679.

7 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 165, dated May 2, 1901, Subject: Plague, Serial number: 96-97; Eager, P.9.

أيـگـر، كـبير الجـراحين الـذي كـان يعمـل في خدمـة مستـشفى مـشاة البحريـة الامريكية، الى حدوث ثلاث اصابات بالطاعون في البصرة. وكأستجابة امريكيـة لهذا التفشي الخفيف، اتُخذت تحوطات صارمة اثناء تفتيش المهـاجرين المغـادرين نابلي في ايطاليا الى نيويورك[1]. وفي غضون تلك المدة، تم الابلاغ رسميا عن وقوع اصابتين بالطاعون في بغداد[2]. وفي 6 مايس، توفيت امرأة كردية بعمر ثلاثين عاما في بغداد كانت زوجة لبائع ملابس قديمة. وكأجراء وقائي، وضع كل الاشخاص الذين كانوا على اتصال بتلك المرأة تحت رقابة صحية صـارمة[3]. وبينمـا اختفـى الطاعون من البصرة في اواخر حزيران 1901[4]، واصل نـشاطه في بغـداد، لكـن على نحو متقطع. وقد عاود الطاعون ظهوره في العراق في الخريـف بعـد توقـف مؤقت له في الصيف، حيث سُجلت بعض الحالات[5]. وقد بعث المفتش الـصحي لبغداد برقية الى استانبول في بداية عام 1902، يبلغها بان الـسلطات الـصحية في بلاده لديها شكوك بشأن مرض تسبب في بعض الوفيات في بغداد. وبالرغم مـن ان خطوات وقائية عدة قد أتخذت من قبل السلطات الـصحية لمواجهـة المـرض، الا ان الاطباء لم يكن بمقدورهم التحقق من نوعه وطبيعتـه. وقـد قُـيض لواحـد فقط من هؤلاء الاطباء في 16 كانون الثـاني 1902 مـن تـشخيص المـرض بانـه طاعون. وفي منشور صادر عن دائرة صحة بغـداد بتـأريخ 22 كـانون الثـاني، تم اعلام كافة القنصليات الاجنبية، بضمنها الامريكية، بـأن المـرض الـذي ضـرب

---

1 (P. H. R), Vol. 16, No. 22, May 31, 1901, PP. 1231-1232.
2 (B. M. J), Vol.1, No. 21, May 4, 1901, P. 1092.
3 (P. H. R), Vol. 16, No. 24, June 14, 1901, P. 1350.
4 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 166, dated July 4, 1901, Subject: Plague in Basra, Serial number: 98-99.
5 (P. H. R), Vol. 17, No. 10, March 7, 1902, P. 535.

بغداد قد كان طاعونا[1]. ومقارنة بتفشيات سابقة، كانت قائمة الوفيات جراء الوباء خفيفة نسبيا. فقد سُجلت في المدة بين 22 كانون الاول 1901 و20 كانون الثاني 1902 ثمان حالات في المدينة[2]. ولم تكن هناك لغاية 10 شباط، اكثر من اربعة عشر اصابة وعشر حالات وفاة تم الابلاغ عنها[3]. وطبقا لرسالة بعث بها القنصل الامريكي في بغداد الى وزارة خارجية بلده، مؤرخة في 27 شباط 1902، فأن دائرة صحة بغداد اعلنت عن اختفاء الطاعون من المدينة خلال الشهر المذكور[4].

طاعون الزبير (نيسان-مايس 1903):

من المفترض ان هذا الطاعون كان قد دخل العراق من ايران[5]، حيث ساد هناك بعنف في ربيع عام 1903 بين افراد من عشيرة بني طرف في الحويزة. ومع ان السلطات العثمانية اوقفت كل الاتصالات مع الحدود الايرانية قرب نهر دجلة لتمنع تسلل الطاعون الى ممتلكاتها[6]، الا ان الوباء تغلغل على ما يبدو الى

---

1 (P. H. R), Vol. 17, No. 9, February 28, 1902, P. 488; (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 174, dated January 23, 1902, Subject: Plague in Baghdad, Serial number: 123-125.

2 (P. H. R), Vol. 17, No. 10, March 7, 1902, P. 535.

3 (P. H. R), Vol. 17, No. 13, March 28, 1902, P. 713.

4 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 176, dated February 27, 1902, Subject: Plague in Baghdad, Serial number: 128-129.

5 (P. H. R), Vol. 18, No. 23, June 5, 1903, P. 889.

6 Bruce Low, Summary of the Progress and Diffusion of Plague Throughout the World During 1903, "Thirty-Third Annual Report of the Local Government Board, 1903-04, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1903-04, Presented to Both Houses of Parliament by Command of His Majesty", (London: Darling & Son, 1905), P. 251; Eager, PP. 10-11.

جنوبي العراق وظهر في الزبير في البصرة في نيسان 1903، حيث حصلت العديد من الوفيات[1].

لقد اثار ظهورالطاعون في الزبير جدلا محتدما بين الهيئات الصحية في البصرة بشأن طبيعة المرض. فبينما اكد بعض الاطباء انه كان مجرد شكل من اشكال حمّى الضنك، أعلن الجراحين العسكريين العثمانيين الذين أرسلوا الى ضواحي الزبير، بأن المرض هو مقترن باورام في الفخذين، وحمّى، واعراض عامة للتيفوئيد، ووفاة تستغرق في بعض الحالات من يومين الى سبعة ايام منذ بداية الاصابة. وكانت هذه المظاهر السريرية للمرض تتسق، في الواقع، مع تشخيص الطاعون[2]. على اي حال، لم يستقر هذا الجدل لغاية مايس، عندما تحققت سلطات البصرة الصحية بأن المرض المشتبه به الذي ساد في الزبير كان طاعونا دمّليا حقيقيا، مثلما اوضح تقرير القنصل الامريكي العام في برلين[3].

وكأستجابة للتفشي الوبائي، امر والي البصرة باتخاذ بعض الاجراءات الوقائية، بضمن ذلك حرق كل الاكواخ والملابس في المناطق المصابة، وتعويض خسائر القاطنين، وانشاء مساكن جديدة لهم في مكان آخر. ولم تكن الزبير في تلك المدة المنطقة الوحيدة التي ضربها الطاعون، فان افراد عشيرة المساعدة، القاطنين في المناطق المجاورة، قد أصيبوا ايضا خلال شهري نيسان ومايس بالمرض. واتبّعت دائرة صحة البصرة في هذه المناطق الخطوات ذاتها التي سبق وان اتخذتها لوقف تفشي الوباء في الزبير[4].

1 (P. H. R), Vol. 18, No. 22, May 29, 1903, P. 847.

2 Low, Summary of the Progress and Diffusion of Plague throughout the World during 1903, P. 281.

3 (P. H. R), Vol. 18, No. 24, June 12, 1903, PP. 931-932.

4 Low, Summary of the Progress and Diffusion of Plague throughout the World during 1903, P. 282.

ومع حقيقة ان الطاعون قد اثبت انه كان فتاكا، الا ان قائمة وفياته في كلا المكانين لم تكن ثقيلة بوجه عام. فعندما بلغ الطاعون في الزبير ذروته في اواخر نيسان، لم تتخطى قائمة الوفيات ستة عشر شخصا[1]. وبحسب بعض التقارير الصحية الامريكية، فأنه لغاية 22 مايس، كان العدد الاجمالي للاصابات 40 شخصا، والوفيات 32 شخصا[2]. بينما اشارت مصادر صحية اخرى الى حصول 49 اصابة و40 حالة وفاة منذ بداية الهجوم الوبائي في نيسان ولغاية انتهائه في اواخر مايس. وكان نصيب افراد عشيرة المساعدة من الاصابات القاتلة، لغاية 24 مايس 1903، 13 اصابة[3].

طاعون البصرة وبغداد (حزيران 1907):

كان العراق في عام 1907 عرضة لانتشار محدود للطاعون. لقد حدثت الوفاة الاولى من المرض في البصرة بتاريخ 1 حزيران 1907[4]. واكد الوكيل القنصلي الامريكي في البصرة يوم 3 حزيران، وجود الداء في المدينة[5]. وبالرغم من كل التدابير الوقائية التي اتخذتها دائرة الصحة المحلية، فقد تم الابلاغ عن حالات اخرى للطاعون في البصرة يوم 18 حزيران. وفي وقت متزامن، تفشى الطاعون على نحو محدود في بغداد ايضا، حيث تم اشعار السلطات الصحية بوقوع بعض الحالات في 10 حزيران 1907[6]. ولم يستغرق امد التفشيين في بغداد والبصرة اكثر من اسبوعين، اذ اختفى الداء كليا من المدينتين في منتصف

1 (P. H. R), Vol. 18, No. 23, June 5, 1903, P. 889.
2 (P. H. R), Vol. 18, Nos. 25 & 26, for the days: June 19 and 26, 1903, PP. 979, 1028.
3 Low, Summary of the Progress and Diffusion of Plague throughout the World during 1903, P. 282.
4 (P. H. R), Vol. 22, No. 29, July 19, 1907, P. 1013.
5 (P. H. R), Vol. 22, No. 23, June 7, 1907, P. 772.
6 (P. H. R), Vol. 22, No. 44, November 1, 1907, P. 1585.

حزيران. وبنتيجة ذلك، أزيل الحجر الصحي الذي كان قد فرضته السلطات الصحية على البصرة، لان المدينة عُدت وقتذاك خالية من الطاعون[1].

طاعون كربلاء وبغداد (آذار 1908 – مايس 1909):

لقد صُنف هذا التفشي الوبائي على انه متقطع ومحلي، لكنه استغرق وقتا طويلا، تقريبا مدة اربعة عشر شهرا. كانت بدايته في كربلاء في آذار 1908، حيث تم الابلاغ عن حالتين. ولان كربلاء كانت، وماتزال، مكانا مقدسا للزوار الايرانيين، فأن سلطات طهران الصحية امرت، كأجراء وقائي، بفرض حجر صحي لمدة خمسة ايام على السفن التي تصل الموانئ الايرانية من شط العرب. كما اصدرت السلطات ذاتها اوامرا اخرى باقامة محطة حجر صحي لحماية طريق كرمنشاه[2]. ان هذا الطاعون الذي اندلع في كربلاء ومن ثم توقف فجأة، قد انتقل الى بغداد، حيث سُجلت اصابته الاولى في شهر مايس 1908. وخلال المدة من 7 مايس ولغاية 6 حزيران 1908، أُحصيت 36 اصابة و17 وفاة في المدينة[3]. وقد بلغ الوباء ذروته بحلول السابع من ايلول، عندما حصد ارواح 51 شخصا. وفي اواخر ايلول، تلقت القنصلية الامريكية في بغداد منشورا من دائرة صحة بغداد يُعلن انها لم تتلق اي بلاغ عن وقوع حالات جديدة. لقد شجع هذا التراجع في حدة الوباء سلطات استانبول الصحية لأن توقف كل التحوطات التي كانت قد أُتخذت لوقف انتشار محتمل للطاعون من بغداد[4]. وبالرغم من هذا الاعلان المبكر لنهاية الطاعون، فقد واصل الداء نشاطه خلال الاشهر التالية، لكنه تطور ببطئ اكبر وخسائر اقل في الحياة من المرات السابقة. فمثلا، سُجلت

1 (P. H. R), Vol. 22, No. 32, August 9, 1907, P. 1113.
2 (P. H. R), Vol. 23, Nos. 15 & 17 for the days: April 10 and April 24, 1908, PP. 471, 540.
3 (P. H. R), Vol. 23, No. 26, June 26, 1908, P. 942.
4 (P. H. R), Vol. 23, No. 49, December 4, 1908, P. 1778.

في المدة من 4 كانون الثاني الى 8 شباط 1909 خمس اصابات وسبع وفيات فقط[1]. وفي الواقع، واصل الطاعون نشاطه لغاية نهاية شهر مايس 1909، حين انحسر وتوقف تماما. لقد قُدر العدد الاجمالي للاصابات بالطاعون في بغداد، منذ ظهوره في مايس 1908 ولغاية نهايته في مايس 1909، بنحو 163 اصابة، بينما بلغت الخسائر بالارواح نحو85 وفاة (انظر: جدول- 15).

جدول-15 (اصابات ووفيات الطاعون في بغداد 1908-1909)[2]

التأريخ	الاصابات	الوفيات
9 مايس – 6 حزيران 1908	36	17
7 حزيران – 7 ايلول 1908	76	51
6 تشرين الثاني 1908- 31 مايس 1909	51	17
المجموع الكلي	163	85

طواعين البصرة (نيسان 1910، ومايس 1911، ومايس 1913):

هاجم الطاعون البصرة من حين لآخر خلال المدة من نيسان 1910 الى تموز 1913، وكان محدودا في تأثيره ونطاقه الجغرافي. فوفقا لبرقية من القنصلية الامريكية في بغداد، بتأريخ 27 نيسان 1910، اندلع الوباء في البصرة في ربيع العام المذكور[3]. وقد سُجلت سبع حالات وثلاث وفيات في المدينة في المدة من

1 (B. M. J), Vol.1, No. 2521, April 24, 1909, P. 1018.
2 Table data are derived from: (P. H. R), Vol.23, Nos, 26 & 49, for the days June 26, December 4, 1908, PP. 942, 1778; Vol. 24, No. 26, June 25, 1909, P. 933; (B. M. J), Vol 2, No. 2545, October 9, 1909, P. 1100.
3 (P. H. R), Vol. 25, No. 18, May 6, 1910, P. 610.

27 نيسان ولغاية 7 مايس[1]. وافاد تقرير للقنصل الامريكي بتأريخ 26 مايس 1910 بأختفاء المرض من البصرة، ورفع الحجر الصحي الذي كان قد أُقيم فيها. لكن خلال الصيف ظهرت حالات قاتلة قليلة في المدينة، حيث سُجلت حالة اصابة واحدة ووفاة واحدة من المرض في المدة من 12 الى 18 حزيران[2]. وعُد الابلاغ عن اربع اصابات وثلاث وفيات في 13 آب، بمثابة الاشارة الاخيرة بصدد انتشار الطاعون في البصرة في عام 1910[3].

وعاود الطاعون تفشيه على نحو خفيف في البصرة في منتصف عام 1911، حيث سُجلت في المدة بين 7 و13 مايس اصابتين ووفاتين[4]. وحدثت في المدينة كذلك اربع اصابات ووفاتين في المدة من 21 ولغاية 31 مايس 1911. وقد اخذ الداء بعد ذلك التاريخ ينحسر تدريجيا ومن ثم توقف تماما[5].

واستأنف الطاعون نشاطه مرة اخرى في البصرة في منتصف عام 1913، حيث هاجم في المدة بين 31 مايس و3 حزيران احد احياء المدينة، مسببا 31 حالة اصابة ووفاة واحدة[6]. وقد بدأ الوباء بالتضائل خلال المدة من 14 الى 21 تموز 1913، ولم يتم الابلاغ سوى عن اصابة واحدة ووفاة واحدة في المدينة. بعد ذلك، تراجع الوباء بمعدل منتظم لغاية ان اختفى تماما[7].

1 (P. H. R), Vol. 25, Nos. 23 & 24, for the days: June 10 and 17, 1910, PP. 812, 865.
2 (P. H. R), Vol. 25, No. 30, July 29, 1910, PP. 1067, 1069.
3 (P. H. R), Vol. 25, No. 38, September 23, 1910, P. 1336.
4 (P. H. R), Vol. 26, No. 26, June 30, 1911, P. 1048.
5 (P. H. R), Vol. 26, Nos. 27 & 29, for the days: July7 and 21, 1911, PP. 1071, 1126.
6 (P. H. R), Vol. 28, Nos. 26 & 34, for the days: June 27 and August 22, 1913, PP. 1374, 1376.
7 (P. H. R), Vol. 28, No. 33, August 15, 1913, P. 1709.

طاعون البصرة (مايس – تموز 1914):

شهدت البصرة اندلاعا خفيفا للطاعون في عـام 1914، حيـث أبلـغ عـن الحالات الاولى يوم 25 مايس[1]. وبلغ المرض اوج نشاطه اثناء النصف الاول من تموز، عندما حصلت عشرة اصابات وست وفيات[2]. ثم بـدأت جـذوة الطـاعون تخبو في البصرة خلال النصف الثاني من تموز، ولم تُسجل في المدينـة سـوى اربـع اصابات ووفاتين. وقد بلغ العدد الاجمالي لاصابات الطاعون 20 اصـابة، فيمـا بلغت الخسائر بالارواح اثنتي عشرة وفاة[3](انظر: جدول-16).

جدول-16 (اصابات ووفيات الطاعون في البصرة من 25 مايس الى 19 تموز 1914)[4]

التأريخ	الاصابات	الوفيات
25 مايس	1	–
26-28 مايس	3	4
24-28 حزيران	2	–
29 حزيران- 12 تموز	10	6
13-19 تموز	4	2
العدد الكلي	20	12

1 (P. H. R), Vol. 29, No. 25, June 19, 1914, P. 1647.
2 (P. H. R), Vol. 29, Nos. 30 & 31, for the days: July 24 and 31, 1914, PP. 1972, 2035.
3 (P. H. R), Vol. 29, No. 33, August 14, 1914, P. 2142.
4 Table data are derived from: (P. H. R), Vol. 29, Nos. 25, 26, 30, 31, 33, for the days June 19, 26, July 24, 31, August, 14, 1914 respectively , PP. 1647, 1715, 1972, 2035, 2142.

عُد هذا الانتشار الوبائي الخفيف للطاعون الاخير من ناحية الترتيب الزمني للاندلاعات الوبائية للمرض في البصرة تحت الحكم العثماني. ففي ذلك الوقت، كانت ولاية البصرة العثمانية على اعتاب غزو بريطاني، فيما كان الفاو، الميناء الجنوبي للولاية، موطئ القدم الاول الذي احتلته القطعات البريطانية في تشرين الاول 1914. ومن هناك واصل البريطانيون لاحقا زحفهم نحو وسط وشمالي العراق.

طاعون بغداد (ايلول 1914 – تموز 1915):

كان هذا التفشي الوبائي المحصور محليا بمثابة "حفلة وداع طاعون" للحكم العثماني في العراق. انها كانت الزيارة الوبائية الاخيرة للداء قبل الانسحاب العثماني من بغداد في آذار عام 1917. لقد جلب الداء شخص مصاب بالطاعون كان على متن مركب بخاري عثماني، ثم حط رحاله في بغداد. ومنذ ذلك الحين بدأت العدوى بالانتشار تدريجيا. وقد تم الابلاغ عن حدوث اصابة واحدة بحلول ايلول 1914[1]، فيما سُجلت في 15 تشرين الاول حالات اصابة اضافية[2]. وكان عدد الاصابات والوفيات لغاية بداية كانون الثاني 1915 منخفض نسبيا، لكنه قفز خلال المدة بين 12 كانون الثاني و6 آذار الى 314 اصابة و178 حالة وفاة، وبمعدل ست اصابات وثلاث وفيات يوميا[3]. وقد

1 (P. H. R), Vol. 29, No. 45, November 6, 1914, P. 2988; Bruce Low, The Progress and Diffusion of Plague, Cholera and Yellow Fever Throughout the World, 1914-1917, Reports on Public Health and Medical Subjects, No. 3, Ministry of Health, (London: Published by His Majesty's Stationary Office, 1920), P. 148.

2 (P. H. R), Vol. 29, No. 46, November 13, 1914, P. 3054.

3 (P. H. R), Vol. 30, No. 19, May 7, 1915, P. 1403.

تواصلت معدلات الاصابة والوفيات المنخفضة تلك لغاية 4 نيسان 1915، عندما بدأت الدوائر الصحية تسجل خمس اصابات واربع وفيات يوميا[1]. وازدادت الارقام على نحو ملفت للنظر في المدة من 5 الى 17 نيسان. اذ سُجلت اثنائها 151 اصابة و121 وفاة، وبمعدل 12 اصابة و10 وفيات يوميا[2]. وازدادت معدلات الاصابات والوفيات ايضا في المدة بين 18 و24 نيسان 1915، اذ أُحصيت 22 حالة اصابة و19 وفاة يوميا [3]. وقد لوحظ ان همة الوباء بدأت بالفتور في المدة من 2 مايس ولغاية 13 حزيران، اذ تراجعت قائمة الاصابات والوفيات الى 16 اصابة و12 وفاة يوميا. وقد سُجل ادنى معدل يومي للاصابات والوفيات في المدة بين 21 حزيران و26 تموز 1915، اذ كان المعدل اليومي للاصابات والوفيات اقل من واحد[4]. وفيما يبدو، ان الطاعون قد توقف تماما في اواخر تموز. وقد بلغ العدد الكلي لاصاباته نحو 1508، فيما بلغت خسائره بالارواح نحو 1096 حالة وفاة (انظر: جدول-17).

1 (P. H. R), Vol. 30, No. 23, June 4, 1915, P. 1715.
2 (P. H. R), Vol. 30, No. 24, June 11, 1915, P. 1772.
3 (P. H. R), Vol. 30, No. 26, June 25, 1915, P. 1950.
4 (P. H. R), Vol. 30, Nos. 34, 36, 38, 39, for the days: August 29, September 3, 17, 24, 1915 respectively, PP. 2507, 2666, 2827, 2900.

جدول-17 (اصابات ووفيات الطاعون في بغداد للمدة من 30 ايلول 1914 – 26 تموز 1915)[1]

التأريخ	الاصابات	الوفيات	المعدل اليومي للاصابات	المعدل اليومي للوفيات
30 ايلول 1914	1	–	1	–
18-24 تشرين الاول	1	1	اقل من واحد	اقل من واحد
28 تشرين الاول	1	1	1	1
1تشرين الثاني-3 كانون الاول	11	9	اقل من واحد	اقل من واحد
26 ك1 1914-5 ك2 1915	12	8	1	اقل من واحد
12 كانون الثاني-6 اذار 1915	314	178	6	3
15 آذار-4 نيسان	116	86	5	4
5 -17 نيسان	151	121	12	10
18– 24 نيسان	133	118	22	19
2 مايس – 13 حزيران	704	520	16	12
14 حزيران – 20 حزيران	35	35	5	5
21 حزيران – 5 تموز	17	11	1	اقل من واحد
6 – 26 تموز	12	8	اقل من واحد	اقل من واحد
العدد الكلي	1508	1096	–	–

1 Table data are derived from:(P. H. R), Vol. 29, Nos. 45, 50, 51, for the days, November 6, December 11, 18, 1914 respectively, PP. 2988, 3341, 3420 ; Vol. 30, Nos. 6, 13, 19, 23, 24, 26, 34, 36, 38, 39, for the days, February 5, March 26, May 7, June 4, 11, 25, August 20, September 3, 17, 24, 1915 respectively, PP. 442, 951, 1403, 1715, 1772, 1950, 2507, 2666, 2827, 2900.

(ثانيا)ـ تفشيات الكوليرا في السنوات 1851ـ 1917:

يُعتقد ان مصطلح الكوليرا مشتق اصلا من كلمة عبرية ذات مقطعين، كولي-را[1]، التي تعني المرض الخبيث او الضار[2]. او من كلمة يونانية تدل على الصفراء، لان المرض هو مقترن بالتقيؤ[3]. وفي كل هجماته ضد العراق واقطار الشرق الاوسط الاخرى في الربع الاخير من القرن التاسع عشر، كانت الاعراض المصاحبة للمرض، على النحو الآتي: تقيؤ، اسهال، كبت البول، تقلصات حادة في عضلات الاطراف، عطش شديد، تسارع في نبضات القلب، كبت الصوت، انخفاض حرارة الجسم، وضعف عام[4].

لم تكن الكوليرا، على ما يبدو، معروفة على نطاق واسع في العراق خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر. فقد وصف المؤرخ العراقي رسول الكركوكلي في كتابه 'دوحة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء' الكوليرا التي ضربت البصرة في عام 1821، بانها مرض خبيث ليس له اسم او علاج معروف[5]. على اي حال، تعرض العراق العثماني تكرارا الى تفشيات كوليرا عديدة منذ عام 1851 ولغاية عام 1917 (انظر: جدول 18). وكانت عدوى الوباء، كما سنلاحظ فيما بعد، تُجلب في الغالب من الهند ومكة وايران واماكن اخرى وبوسائط متنوعة.

---

1 "A Reference Handbook of the Medical Sciences: Embracing the Entire Range of Scientific and Practical Medicine and Allied Science", Edited by Albert H. Buck, Vol. VIII (8), (New York: William Wood and Company, 1904), P. 352.

2 Robert Hooper, Lexicon Medicum; or Medical Dictionary, Vol. II, (New York, J. and J. Harper, 1829), PP. 40, 83.

3 "Progress of the Indian Cholera", P. 450.

4 Macnamara, P. 2.

5 الكركوكلي، ص 298

جدول- 18 (تفشيات الكوليرا الوبائية في العراق العثماني 1851 – 1917)

السنة	المنطقة	تصنيف نوع التفشي	
		واسع الانتشار	محدود الانتشار
1851	البصرة وبغداد ومناطق اخرى	X	
1855	بغداد ومناطق اخرى	X	
1856	بغداد		X
1857	خانقين وبغداد ومناطق اخرى	X	
1858	البصرة	X	
1861-1860	خانقين وبغداد ومناطق اخرى	X	
1866-1865	البصرة وبغداد والموصل	X	
1869	بغداد ومناطق اخرى	X	
1870	الديوانية وخانقين ومناطق اخرى		X
1872-1871	البصرة وبغداد والموصل	X	
1889	البصرة وبغداد والموصل	X	
1890	الموصل ومناطق اخرى	X	
1893	البصرة وبغداد ومناطق اخرى	X	

السنة	المنطقة	تصنيف نوع التفشي	
		واسع الانتشار	محدود الانتشار
1899	البصرة ومناطق اخرى	X	
1903-1904	عانه (ولاية بغداد) والموصل ومناطق اخرى	X	
1908	بغداد وكربلاء		X
1910-1911	البصرة وبغداد	X	
1911	بغداد والبصرة	X	
1915-1917	بغداد والموصل	X	
العدد الكلي	-	16	3

كوليرا البصرة وبغداد ومناطق اخرى (حزيران – تشرين الثاني 1851):

عاودت الكوليرا الظهور في العراق في عام 1851 مع انتشار واسع النطاق. وقد جُلبت العدوى من الهند، حيث كان المرض سائدا هناك. لقد ظهرت الاصابات الاولى في البصرة يوم 10 حزيران 1851، قاتلة تقريبا 800 شخص. وكان هناك اعتقاد بأن الزوار الهنود الذاهبين الى العتبات المقدسة في كربلاء والنجف هم الوكلاء لنقل تلك العدوى [1]. وفي الوقت الذي بدأت فيه

1 Wendt, P. 32.

الكوليرا بالتضاؤل بالبصرة في تموز، وصلت الفرات وهاجمت سوق الشيوخ والنجف والحلة. وقد اندلعت الكوليرا بعد ذلك في بغداد في 11 ايلول، واستمرت هناك لخمسين يوما. وعاودت الكوليرا ظهورها في بغداد في تشرين الثاني وانتشرت منها الى كفري وكركوك[1]، ومن ثم الى تبريز في ايران[2]. وكان التحول اللاحق لهذا التفشي الى وباء عالمي، التطور الاكثر اثارة آنذاك. فبعد توقف مؤقت في ايران، غزا الوباء اجزاءا واسعة من القارة الاوربية، بضمن ذلك جنوبي روسيا، وشمالي المانيا، وهولندا، وانكلترا واقطار اخرى[3].

كوليرا بغداد ومناطق اخرى (للاعوام من 1855 الى 1858):

شهد العراق في السنوات من 1855 ولغاية 1858 اربع تفشيات للكوليرا على نحو متقطع. وفيما تم جلب عدوى اثنين منها، وهما كوليرا عام 1856 و1857، من ايران[4]، جُلبت عدوى الاثنين الاخرين، وهما كوليرا عام 1855 و1858، من مكة. فبالنسبة لكوليرا عام 1855، فقد ظهرت اولا في النجف وكربلاء في تشرين الثاني من العام المذكور. ثم ظهر الوباء لاحقا في بغداد بتأريخ 12 كانون الاول، لكن اصاباته القاتلة كانت محدودة جدا. وضربت الكوليرا بغداد مرة اخرى في 2 تشرين الاول 1856، لكنها توقفت في 5 تشرين الثاني. كان الهجوم بشكل عام خفيفا، ولم يتجاوز معدل الوفيات خمسة اشخاص يوميا. واجتاحت الكوليرا ايضا خانقين في عام 1857، ثم مالبث ان غزت بغداد وكربلاء والنجف في تشرين الاول. ولم يتعد معدل الوفيات اثناء مدة التفشي

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 57.
2 (B. M. J), Vol. 2, No. 300, September 29, 1866, P. 360.
3 Wendt, PP. 32-33.
4 (B. M. J), Vol. 2, No. 300, September 29, 1866, P. 360.

الخمسة اشخاص يوميا. لكن عندما بلغ الوباء ذروته، حصد مئة شخص يوميا في كربلاء، التي كانت آنذاك مدينة بعدد سكان يبلغ نحو 30.000 نسمة. بينما بلغت الوفيات في النجف، التي كانت يومذاك مدينة بعدد سكان يبلغ قرابة 18.000 نسمة، نحو 30 وفاة يوميا. وقد تراجعت الكوليرا كليا في 25 تشرين الثاني. وحفل عام 1858 باندلاع تفشي قاتل للكوليرا على نطاق واسع في مكة. وقد انتقل الوباء عبرالاحساء والكويت والمحمرة (خرمشهر حاليا) الى البصرة في 10 ايلول. وقد تراوحت الخسائر بالارواح في المدينة بين 400 و500 شخص، كان غالبيتهم من البصراويين ذوي الاصول الافريقية. وقد تحرك المرض لاحقا نحو الشمال، ضاربا القرنة وسوق الشيوخ قبل ان يتوقف في منتصف كانون الاول[1].

كوليرا خانقين وبغداد ومناطق اخرى (9 كانون الاول 1860 – 2 كانون الثاني 1861):

لوحظ حدوث حالات محدودة للكوليرا في العراق خلال المدة من اواخر عام 1860 ولغاية مطلع عام 1861[2]. فقد عاودت الكوليرا ظهورها في العراق خلال خريف عام 1860. وقد رافق المرض الزوار الايرانيين على امتداد محطات طريقهم، بدءا من طهران، ومرورا بهمدان، وكرمنشاه، وخانقين، ومن ثم بغداد التي ظهرت فيها الكوليرا يوم 28 ايلول. كان الوباء –الى حد ما– قاتلا، والخسائر بالارواح كانت بمعدل ثمانية اشخاص يوميا. وقد اختفى الداء من بغداد في 6 تشرين الثاني، لكن بعد ان افنى نحو 302 من مواطنيها. كما

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 58-59.
2 (B. M. J), Vol. 1, No. 1531, May 3, 1890, P. 1031.

أبلغت الدوائر الصحية ايضا، بأن عددا كبيرا من الضحايا قد سقطوا في كربلاء والنجف يوم 20 تشرين الثاني جراء اصابتهم بالكوليرا[1].

كوليرا البصرة وبغداد والموصل (آب 1865 – تشرين الثاني 1866):

استهلت هذه الموجة الوبائية فعالياتها في الحجاز، حيث اخذت الكوليرا ارواح الاف الحجاج في مكة والمدينة اثناء موسم الحج[2]. وقد ظهر الوباء لاحقا في مسقط بتأريخ 18 آب 1865، ومنها تسلل الى الاراضي العراقية عبر طريقين: الاول، مسقط، والبصرة، ومن ثم وادي الفرات. والثاني، الاسكندرية، وبيروت، وحلب، وديار بكر، ومن هناك الى العراق. وقد أبلغ عن الاصابة الاولى للوباء في البصرة في 4 ايلول 1865. وقد اشتملت قائمة الوفيات في البصرة على 471 شخصا[3]. وكان من ضمن الضحايا افراد لقبائل بدوية، مثل آل ظفير، التي فقدت شيخها وابنه وآخرين[4]. وتحرك الوباء فيما بعد من البصرة نحو الشمال، ناشرا العدوى بين سكان ضفتي شط العرب، ومن ثم هاجم القرنة. وقد حملت حشود من الزوار الايرانيين صعدوا وادي الفرات عدوى المرض. وعلى طول هذا النهر، تم اصطياد المدن بالكوليرا الواحدة تلو الاخرى، بدءا من سوق الشيوخ، ومن ثم السماوة، والديوانية، والنجف، وكربلاء واخيرا الحلة[5].

---

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 59; (B. M. J), Vol. 1, No. 1531, May 3, 1890, P. 1031.

2 Ibid, P. 60.

3 "Report a la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", Presente par doctors Goodeve, Bikow, Salvatori, and Bartoletti, (Constantinople [Istanbul]: Jullet, 1866), P. 19.

4 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.

5 J. Netten Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, "Reports of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, No. V (5), (London: George E. Eyre and William Spottisw Jode, 1875), PP. 115-116.

وكانت الوفيات في المدن التي ضربها الوباء، على النحو الآتي: في السماوة، كان هناك العديد من الضحايا، لكن لايتوفر رقم محدد؛ في الديوانية، 22 جندي من الحامية العسكرية و125 مدنيا؛ في النجف، ثلاثة جنود و336 مدنيا؛ في كربلاء، جنديين و 1478 مدنيا وزائرا؛ وفي الحلة، اربعة جنود و54 مدنيا[1].

وقد وصلت الكوليرا بغداد في 17 ايلول 1865، حيث قتلت 300 شخص، وبعدها اختفت في 11 تشرين الثاني[2]. وقد ضربت الكوليرا كذلك الكاظمية، حيث تجمع الزوار الايرانيين الذين سبق لهم ان هربوا من الوباء في النجف وكربلاء. لذلك، أجبر هؤلاء على العودة الى بلادهم عبر خانقين. وفي غضون تلك المدة، ظهرت الكوليرا في بعض مناطق اعالي الفرات ودجلة، حيث نقل العدوى قافلة قادمة من حلب في شهر ايلول. وقد انتشر الوباء في مدينة عانه وهيت على الفرات الاعلى، وسامراء على دجلة[3]. ومن هناك، تحركت الكوليرا شمالا وهاجمت الموصل في 23 تشرين الاول[4]. ثم غزا الوباء في الشهر ذاته اربيل وكركوك والسليمانية (انظر: الخارطة في ملحق- 2). وطبقا لتقرير موظف صحة السليمانية، فأن الوفاة الاولى حدثت في 31 تشرين الاول 1865، بينما واصل الوباء نشاطه لغاية 13 شباط 1866. وفي الواقع، ان الاندفاعات القوية للوباء في السليمانية قد حدثت في الفترات من 21-13 تشرين الثاني؛ و23-28 تشرين الثاني؛ و1-29 كانون الاول؛ و31 كانون الاول 1865 الى

1 "Report a la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", P. 20.

2 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60;

العزاوي، ج7: 1831-1872، ص 175

3 "Report a la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", P. 20.

4 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.

22 كانون الثاني 1866؛ بينما حدث الاندفاع الاخير في المدة بين 1-13 شباط 1866. وخلافا للتوقعات، لم يوقف البرد الشديد التفشي السريع للوباء. بل على العكس، بدا وكأن البرد قد اسهم في معاودة المرض. لقد كانت قائمة الوفيات في السليمانية ثقيلة للغاية. فقد تكبدت السليمانية، وهي يومذاك مدينة يبلغ عدد سكانها ما يربو على عشرة آلاف نسمة، نحو 600 اصابة و300 وفاة. وضرب الوباء في السليمانية ايضا الثكنات العسكرية في الضواحي المحيطة بالمدينة. وقُدر ان من بين 900 جندي عثماني مقيمين في تلك الثكنات، أُصيب 34 فردا منهم، فيما لقي 17 آخرين حتفهم[1].

وفي اعقاب هدنة وبائية قصيرة جدا، ضربت الكوليرا السليمانية مرة اخرى في شهر آذار 1866. وفي بغداد، سُجلت بعض الاصابات المتفرقة بين 26 آذار و5 مايس. ولم تُبلَّغ السلطات الصحية في المدينة عن مزيد من الحالات لغاية شهر آب عندما عاود المرض الظهور في بغداد، قاتلا 172 شخصا في 28 تشرين الثاني. وقد تفشت الكوليرا على نحو خفيف في مناطق اخرى من العراق، كالبصرة والنجف والحلة، والموصل وكفري، بينما كان التفشي في الجزيرة وسنجار عنيفا. كما سادت الكوليرا في مندلي وخانقين في تشرين الاول. وقد توقف الوباء تماما في شهر تشرين الثاني 1866[2]، وبذلك اضحى العراق خاليا من الكوليرا، باستثناء حالات معدودة تم الابلاغ عنها في مناطق متفرقة[3].

1 "Report a la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", P. 20.

2 Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, PP.116-117.

3 Ibid, P. 118; A. Proust, La Defense de l' Europe Contre Le Cholera, (Paris: G. Masson, 1892), P. 137.

كوليرا بغداد ومناطق اخرى (آب – كانون الاول 1869):

لقد انتشرت الكوليرا في الهند على نطاق واسع في عام 1869، ثم مالبث ان غزت ايران في منتصف حزيران[1]. وقد جلب عدواها الى العراق في شهر آب زوار ايرانيين كانوا ذاهبين الى المراقد المقدسة في كربلاء والنجف. وقد اندلع الوباء في مواقع عدة على امتداد الطريق الذي سلكه هؤلاء الزوار. وسُجلت حالات متفرقة للاصابة في بغداد في 14 تشرين الاول. ومنذ انفجار الوباء في ولاية بغداد في تشرين الاول، ولغاية انقراضه في كانون الاول، كانت قائمة خسائر الوباء طفيفة في مناطق معينة، وثقيلة في مناطق اخرى. فبينما بلغت الوفيات في مدينة بغداد 39 شخصا، والكاظمية 18 شخصا، كانت الخسائر بالارواح الى الجنوب من بغداد اكبر من ذلك بكثير. حيث سُجلت في كربلاء 210 وفاة، وفي النجف 343 حالة وفاة اخرى[2].

كوليرا الديوانية، خانقين ومناطق اخرى (كانون الثاني – كانون الاول 1870):

شهد عام 1870 حصول اندلاعات خفيفة ومحدودة النطاق والاثر للكوليرا في مناطق متفرقة من العراق. ففي كانون الثاني من العام المذكور، تفشت الكوليرا على نحو خفيف بين القطعات العسكرية العثمانية في الديوانية.

1 James L. Bryden, Epidemic Cholera in the Bengal Presidency: Report on the General Aspects of Epidemic Cholera in 1869, (Calcutta: Office of Superintendent of Government Printing, 1870), P. 37.

2 Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, PP.119-120.

وكان هذا التفشي محليا وسرعان ما انتهى في الشهر ذاته[1]. وفي ايلول من العام ذاته جُلبت الكوليرا من ايران عن طريق خانقين، وانتشرت -الى حد ما- في قزل رباط (السعدية)، التي كانت آنذاك قرية بعدد نفوس يربو على 800 شخص. وقد لقي من خمسة الى ستة مواطنين حتفهم في قزل رباط في غضون عشرة ايام[2]. وسُجلت في النجف ايضا ثلاث حالات اصابة بالكوليرا في كانون الاول. ومنذ ذلك التأريخ، لم تُلاحظ حالات اصابة اخرى بالكوليرا في العراق لغاية ربيع العام التالي[3].

كوليرا البصرة وبغداد والموصل (آذار 1871 – كانون الثاني 1872):

ومع ان هذا الهجوم الوبائي للكوليرا غطى منطقة واسعة من العراق، الا ان خسائره بالارواح كانت نوعا ما معتدلة. كان المصدر للعدوى الوبائية هذه المرة مدينة بوشهر في ايران، حيث انتشرت الكوليرا هناك في بداية عام 1871. ولم يُفلح الحجر الصحي الذي أُقيم في البصرة بتأريخ 2 آذار[4]، في اعاقة تسلل المرض الى القرنة. وقد قتلت الكوليرا هناك عددا قليلا من السكان ثم تلاشت في 15 آذار[5]. وانتشرت الكوليرا في مدينة البصرة على نطاق واسع في 17 آذار، حيث أُبلغ هناك عن وقوع 330 اصابة[6]. وزحف الداء في منتصف مايس بشكل

1 Bryden, PP. 37-38; Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, P. 120.

2 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.

3 Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, P. 121.

4 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.

5 W. H. Colvill, Short Report on Cholera Epidemic in Turkish Arabia in 1870-71, "Transactions of the Medical and Physical Society of Bombay", No. XI (11), For the Year 1871, (Bombay: Education Societies Press, 1872), P. 38.

6 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.

مطّرد نحو الشمال على طول وادي الفرات، ضاربا سوق الشيوخ، والسماوة، والديوانية، وكربلاء، والنجف والحلة. وهاجمت الكوليرا العمارة والكوت في وادي دجلة، وبلغت بغداد في حزيران. وكان المرض هناك قاتلا الى مدى معين[1]. فنادرا ما تجاوزت معدلات الخسائر بالارواح خمس وفيات يوميا، فيما لم تتعد قائمة الوفيات الاجمالية 128 شخصا[2]. وامتدت الكوليرا في تموز نحو الشرق والشمال الشرقي، وبلغت السليمانية حيث قتلت 188 شخصا من اهليها. وفي غضون تلك المدة، سُجلت عشرون حالة وفاة في خانقين بين 2 و11 آب. واندلع الوباء في الشهر ذاته في كركوك، التي كانت آنذاك مدينة بعدد نفوس يبلغ 25.000 نسمة. وقد اهلك الوباء هناك ما لايقل عن 1200 شخص ضمن مدة عشرين يوما. ولوحظ كذلك وقوع حالات اصابة قليلة متفرقة في الموصل وراوندوز في شهر تشرين الثاني. وقد توقفت الكوليرا تماما في ولاية بغداد والمناطق العراقية الأخرى في كانون الثاني 1872[3].

كوليرا البصرة، بغداد والموصل (تموز – كانون الاول 1889):

اجتاحت العراق في عام 1889 واحدة من اعنف موجات الكوليرا في تأريخه الحديث. وكان يُعتقد بان عدوى المرض قد جُلبت من بومبي في الهند، حيث سادت الكوليرا هناك وبلغت معدلات الوفيات فيها اكثر من 600 شخص اسبوعيا. وعُدت مراكب شركة الهند البريطانية، التي كانت تنقل الزوار

1 Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, P. 122; (B. M. J), Vol. 2, No. 556, August 26, 1871, P. 239.

2 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.

3 . Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, P. 123.

الشيعة من الهند الى العراق بانتظام، المشتبه به الرئيسي في نقل العدوى[1]. وقد لوحظ أيضا أن بعض الجثث، التي تم إرسالها من بومبي لدفنها في البقاع المقدسة في العراق، قد أُنزلت في البصرة وأرسلت برا الى كربلاء والنجف مرورا بمنطقة المنتفك (الناصرية)، حيث ظهرت الكوليرا هناك اولا[2]. على اي حال، لقد ضرب الوباء الشطرة في الناصرية يوم 19 تموز 1889 حيث سجلت اصابة واحدة. وقد كانت الشطرة يومذاك بلدة صغيرة تضم اراضي مستنقعات. وقد قُدر عدد نفوسها قبل تفشي الكوليرا بنحو 5 آلاف شخص عاش معظمهم في الصرائف. وقد استولى الرعب على الشطرة عندما ضربت الكوليرا هيئة ادارتها الحكومية في 27 تموز، فقضى القائمقام ورجال الشرطة وموظفين آخرين نحبهم جميعا. وفي اعقاب ذلك، لاذ اهلوها بالفرار وتشتتوا في كل انحاء المنطقة الواقعة بين البصرة وبغداد. ولم يستثن من ذلك حتى الوكيل الذي اعقب القائمقام في ادارة المدينة بعد وفاته، اذ هرب هو الآخر لينجو بنفسه من الوباء[3].

وقد بلغ عنف غارة الكوليرا على الشطرة حدا جعل مجلة امريكية تصفها بانها كانت مثل 'قصف الرعد'[4]. لقد قُدرت الخسائر بالارواح في الشطرة للمدة من 27 تموز ولغاية 25 ايلول بنحو 345 وفاة[5].

1 "A Reference Handbook of the Medical Sciences: Embracing the Entire Range of Scientific and Practical Medicine and Allied Science", Vol. VIII (8), P. 354; Proust, P. 139.

2 (W. A. S. R.), Vol. 5, No. 10, March 7, 1890, P. 102.

3 E. D. Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, "Transaction of the Epidemiological Society of London", Vol. XIII (13): Session 1893-94, (London: Shaw and Sons, 1894), PP. 128-130.

4 "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (24), No. 242, (New York: January 1890), P. 61.

5 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, P. 378.

وقد أُبلغ مفتش صحة بغداد، الدكتور لويز، في مطلع آب ادارة الصحة العثمانية بأن كوليرا فتاكة سادت في الناصرية، التي كان عدد نفوسها يومذاك يربو على 8 آلاف نسمة[1]. وقد تم اتخاذ بعض الاجراءات الوقائية العاجلة لوقف انتشار المرض الى اماكن اخرى. ومن بين تلك الاجراءات، حرق البيوت والصرائف المصابة[2]، وارسال اطباء مثل الدكتور لويز والدكتور غزالة، وهما من دائرة صحة بغداد، للتحقيق في طبيعة واعراض المرض. لقد اثبتت مثل هذه الخطوات عدم جدواها، لانه حالما اندلع الوباء في الناصرية، فأن اهلها انتقلوا الى اكواخ خارج المدينة، او لجأوا الى مخيمات القبائل العربية المجاورة، او فروا بعيدا. وهذا يفسر في الواقع الانتشار السريع والواسع للوباء. وقد سُجلت في الناصرية 87 حالة وفاة في 8 آب، لكن اعداد الوفيات تضائلت تدريجيا في وقت لاحق[3].

اجتازت الكوليرا، التي ظلت محصورة في مناطق الشطرة والناصرية، كل موانع السهول الكبرى للعراق الادنى واظهرت نفسها في البصرة يوم 9 آب[4]. وفي محاولة لوقف تقدم الوباء، تم اقامة نطاق صحي في الكوت لحماية بغداد. وقد مُدّ هذا النطاق لاحقا من السماوة الى الحي، والكوت، وبدرة، وجصّان وزرباطية. علاوة على ذلك، امرت سلطات استانبول الصحية بوقف حركة الملاحة النهرية في دجلة بين الكوت والبصرة، وايضا حركة الملاحة النهرية في الفرات بين السماوة والبصرة. وقد تم تبني تدابير صحية اخرى للسيطرة على

1 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, P. 373.

2 "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (24), P. 63.

3 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, PP. 128-129, 134.

4 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, P. 373.

الكوليرا، بضمن ذلك تأسيس محطات حجر صحي في المسيب والمحاويل ضد الوافدين من مدن الحلة وكربلاء والنجف التي ازدحمت بالهاربين من الوباء في الشطرة والناصرية. وشكلت في غضون المدة ذاتها لجنة صحية في بغداد وضعت تحت رئاسة الوالي[1]. وبالرغم من كل هذه الخطوات الفعّالة، واصلت الكوليرا انتشارها على امتداد كل المناطق الواقعة بين واديي دجلة والفرات، مخترقة كل النطاقات الصحية الصارمة التي أُقيمت لحماية بغداد، التي وصلتها العدوى يوم 14 آب[2]. وقد شخّص الدكتور ادلر، المفتش الصحي المؤقت لبغداد، الاصابة الاولى للكوليرا التي حدثت في المدينة، وكانت لجندي توفي بعدما أُدخل المستشفى لمدة ست ساعات فقط[3]. وقد استمرت الكوليرا باجتياح بغداد لمدة ثلاثين يوما، وقد وجد قاطنوها الاثرياء، بضمنهم اليهود والاعيان وآخرين، طرقا ملائمة لمغادرة المدينة الى القرى المحيطة[4]. وقد قدّرت مجلة امريكية تعنى بالشؤون الصحية، وفيما يبدوعلى نحو مبالغ فيه، الخسائر بالارواح في بغداد للمدة من 20 الى 30 آب، بين 100 و200 حالة وفاة يوميا[5]. وقد وصف القنصل الروسي في بغداد الخسائر البشرية والرعب الذي سببه الوباء، بالقول: غالبا ماكنا نسمع بعد الظهر عن جنازة شخص سبق ان رأيناه في الصباح بصحة تامة، ولهذا

1 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 135.

2 "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (24), P. 63.

3 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, PP. 373-374.

4 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 46, November 15, 1889, P. 390; العلاف، ص 196

5 "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (24), P. 63.

لايعجب المرء من الذعر الـذي حـل بالمدينـة والـذي الهـم كـل واحـد الـتفكير بالفرار[1].

وبعدما اجتاحت الكوليرا بغداد، امر السلطان العثماني عبد الحميد الشاني (1876-1909) باقامة نطاق صحي آخر ليمتد مـن كفـري الى طـوز خورمـاتو وتكريت على دجلة، ومن هناك الى هيت وكبيسة على الفرات. كانت النيـة مـن وراء اقامة هذا النطاق، حماية المنطقة الى الشمال من بغداد[2]. لقد اثارت الكـوليرا رعبا واسعا بين سكان العراق، ناشـرة نفـسها في المدة بـين 20 آب و20 ايلـول على شكل مروحة غطت مناطق شاسعة من العـراق، علـى حـد وصـف تقريـر صحي امريكي (انظـر: الخارطـة في ملحـق- 3). لقـد اكتـسحت الكـوليرا كـل المناطق الواقعة على امتداد شط العرب، بضمن ذلك البصرة. كما ضرب الوبـاء المناطق التي تتبع مجرى نهر دجلة، مـن القرنـة في الجنـوب الى بغـداد في الوسـط، وابرز تلك المناطق كانت العمارة وعلي الغربي والكوت. والى الشرق من بغداد، هاجمت الكوليرا بدره، وزرباطيـة، وبعقوبـة، وقـزل ربـاط (الـسعدية)، ومنـدلي وخانقين. والى الشمال من بغداد، عـصف الـداء بتكريـت، وكركـوك، وكفـري، وطوز خورماتو، والتون كوبري، وطـاووق، وجـمجـمال والـسليمانية. وطالـت الكوليرا ايضا المناطق الواقعة على امتداد وادي الفرات مـن جنـوب العـراق الى غربـه، حيـث ضـرب الـداء الـشطرة، والناصـرية، وسـوق الـشيوخ، وكـربلاء،

1 Pierre Ponafidine, Life in the Moslem East, Translated from the Russian by Emma Cochran Ponafidine, (New York: Dodd, Mead and Company, 1911), P. 63.

2 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 135.

والنجف، والحلة، وطويريج، والمسيب، والصقلاوية، والفلوجة، والرمادي، وهيت وكبيسه[1] (انظر: جدول-19).

جدول- 19 (وفيات موجة الكوليرا الكبرى في العراق في المدة من 27 تموز الى 25 ايلول 1889)[2]

المنطقة	التاريخ		الوفيات
	من	الى	
الشطرة	27 تموز	16 آب	345
الناصرية	1 آب	15 ايلول	486
البصرة	6 آب	23 ايلول	450
الرميثة	8 آب	18 ايلول	82
سوق الشيوخ	12 آب	31 ايلول	93
الحمّار	13 آب	17 ايلول	7
القرنة	13 آب	-	3
بغداد	14 آب	26 ايلول	924
الفاو	18 آب	29 ايلول	5
المسيب	20 آب	6 ايلول	28
البيضاء	20 آب	-	15

1 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, PP. 374-376.
2 Table data are derived from: (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, P. 378.

المنطقة	التاريخ		الوفيات
	من	الى	
الكوت	21 آب	2 ايلول	3
السماوة	21 آب	25 ايلول	76
الحي	22 آب	23 ايلول	5
الكاظمية	23 آب	25 ايلول	218
طويريج	23 آب	–	8
خانقين	23 آب	26 ايلول	53
قزل رباط (السعدية)	23 آب	14 ايلول	9
المدحتية	23 آب	–	1
الشامية	23 آب	23 ايلول	381
الجعارة (الحيرة)	24 آب	13 ايلول	325
بعقوبة	24 آب	26 ايلول	23
مندلي	26 آب	24 ايلول	99
العشائر بين السماوة والديوانية	26 آب	10 ايلول	400
الصقلاوية – فلوجة	26 آب	–	10
الامام الاعظم (الاعظمية)	29 آب	6 ايلول	20
كربلاء	31 آب	26 ايلول	343
علي الغربي	2 ايلول	6 ايلول	40

المنطقة	التاريخ		الوفيات
	من	الى	
الهندية	2 ايلول	6 ايلول	8
العمارة	2 ايلول	25 ايلول	230
هور الدخن	2 ايلول	16 ايلول	78
المجر الكبير	2 ايلول	10 ايلول	217
صلاحية (كفري)	4 ايلول	24 ايلول	143
الكوفة	4 ايلول	–	3
جصّان	6 ايلول	–	6
الشنافية	6 ايلول	13 ايلول	41
الملحة	7 ايلول	15 ايلول	16
الحلة	7 ايلول	26 ايلول	106
الرمادي	7 ايلول	–	2
النجف	7 ايلول	18 ايلول	68
كركوك	7 ايلول	26 ايلول	385
زنـگـنة	9 ايلول	–	1
الاسكندرية	11 ايلول	–	7

المنطقة	التاريخ		الوفيات
	من	الى	
الجربوعية	12 ايلول	-	14
طوز خورماتو	12 ايلول	19 ايلول	8
الجر الصغير	14 ايلول	-	10
تكريت	16 ايلول	-	2
التون كوبري	16 ايلول	25 ايلول	2
طاووق	17 ايلول	18 ايلول	7
جمجمال	20 ايلول	-	2
السليمانية	20 ايلول	26 ايلول	17
بدره	23 ايلول	-	6
زرباطية	23 ايلول	-	2
الزبير	25 ايلول	-	5
مناطق متفرقة اخرى	-	-	340
العدد الاجمالي			6.178

وفي الاخذ بالحسبان حجم الخسائر البشرية، يتبين من الجدول اعلاه ان اكثر المناطق تضررا من الكوليرا كانت، بغداد، والناصرية، والبصرة، والمنطقة

التي كانت تقطنها العشائر بين السماوة والديوانية، وكركوك، والشامية، والشطرة، وكربلاء، والجعّارة، والعمارة، والكاظمية، والجر الكبير، وكفري والحلة.

وضربت الكوليرا الموصل في 9 تشرين الثاني[1]، مما تطلب اقامة نطاق عسكري حول المدينة[2]. لقد قُدرت الوفيات في الموصل منذ بداية الهجوم الوبائي ولغاية انتهائه نحو 200 وفاة[3]. واذا ما قورنت الموصل ببغداد، فلم تكن عدد الوفيات فيها كبيرة جدا. فمثلا، كان عدد الوفيات المسجلة في بغداد في المدة من 14 الى 22 آب نحو 240 حالة وفاة، بينما لم تتجاوز الخسائر في الارواح في الموصل في المدة من 10 الى 18 تشرين الثاني 62 حالة وفاة (انظر جدول-20).

جدول- 20 (وفيات الكوليرا في العراق في المدة من 25 تشرين الاول ولغاية 18 تشرين الثاني 1889)[4]

المنطقة	التأريخ		الوفيات
	من	الى	
اربيل	24 تشرين الاول	2 تشرين الثاني	21
الهندية وجوارها	24 تشرين الاول	4 تشرين الثاني	15
المسيب	25 تشرين الاول	-	2

1 (B. M. J), Vol. 2, No. 1512, December 21, 1889, P. 1416.
2 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 143.
3 Proust, P. 135.
4 Table data are derived from: (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 51, December 20, 1889, P. 454.

المنطقة	التأريخ		الوفيات
	من	الى	
كربلاء	25 تشرين الاول	28 تشرين الاول	18
النجف	25 تشرين الاول	-	1
السليمانية	25 تشرين الاول	15 تشرين الثاني	35
كبيسه	26 تشرين الاول	27 تشرين الثاني	37
راوندوز	26 تشرين الاول	17 تشرين الثاني	75
البصرة	27 تشرين الاول	-	1
هيت	28 تشرين الاول	-	1
التون كوبري وجوارها	29 تشرين الاول	4 تشرين الثاني	5
بعقوبة	5 تشرين الثاني	-	1
بغداد	8 تشرين الثاني	-	1
الموصل	10 تشرين الثاني	18 تشرين الثاني	62
العدد الاجمالي			275

وهاجمت الكوليرا ايضا اربيل وراوندوز والقرى الصغيرة الواقعة بين رافدي الزاب الاعلى والزاب الاسفل في المدة من 14 الى 26 تشرين الاول[1].

1 "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (24), P. 65.

وفي اعقاب اندلاعها في الموصل في منتصف تشرين الثاني، أخذت الكوليرا بالاضمحلال تدريجيا. وعزا دكتور غبازي، عضو ادارة صحة استانبول، في رسالته بتأريخ 5 كانون الاول 1889 هذا الانحطاط في نشاط الوباء الى اسباب عدة، من بينها تأثير البرد، وصعوبة المواصلات، وتأثير الحجر الصحي والنطاقات الصحية، بالاضافة الى تدابير وقائية اخرى[1]. من جانبه أعطى دكتور لوبز، مفتش صحة بغداد، التواريخ النهائية للمرض في مناطق عراقية مختلفة. لقد اكد لوبز ان الكوليرا توقفت في بغداد يوم 17 ايلول؛ وفي السليمانية تقريبا يوم 22 تشرين الثاني؛ وفي الموصل تقريبا يوم 1 كانون الاول؛ وفي راوندوز تقريبا يوم 9 كانون الاول1889[2].

اما بالنسبة للعدد الاجمالي للوفيات، فبالاضافة الى الارقام التي عُرضت في جدولي رقم 19 و20، فقد كان هناك 694 حالة وفاة سُجلت في المدة من 26 ايلول الى 25 تشرين الاول[3]. طبقا لذلك، فان العدد الاجمالي للخسائر في الارواح يقف عند 7.147 وفاة. وهذا الرقم، في الواقع، هو اقرب الى التقدير الذي اعطاه الدكتور لوبز، الذي حسب ان ما مجمله 7.261 وفاة قد حدثت اثناء موجة الكوليرا الوبائية في عام 1889[4]. ويقترب هذا الرقم ايضا مع ما اعلنته مجلة صحية امريكية، استنادا على تقارير سلطات الصحة العثمانية في العراق، بان عدد االخسائر بالارواح كان 7.142 حالة وفاة[5].

1 (W. A. S. R.), Vol. 5, No. 2, January 10, 1890, P. 12.
2 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 144.
3 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 51, December 20, 1889, P. 453.
4 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 145.
5 "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (24), P. 65.

وفي ظل غياب تسجيل نظامي شامل للوفيات من قبل السلطات الصحية العثمانية في العراق، فان كل الارقام المذكورة اعلاه لاتعكس الرقم الحقيقي لضحايا الهجوم الوبائي. اذن، انه من الصعب، بل ومن المستحيل، ان نقرر بشكل دقيق عدد الاشخاص الذين اهلكتهم الكوليرا في عام 1889. وعزا جراح بريطاني ملحق بالمقيمية البريطانية في بغداد الارتباك في الارقام الى حقيقة ان غالبية سكان العراق كانوا يتهربون من النظم الصحية لاسباب عديدة بضمنها، معارضتهم لان يخضعوا لرقابة صحية او ان يتم وضعهم تحت حجر صحي، وتجنبهم الاجور العالية للدفن، وخشية العديد من الفقراء منهم حرق ملابسهم وفرشهم كاجراء وقائي[1].

من ناحية اخرى، اثارت المدة الطويلة لتفشي وباء الكوليرا في العراق الذي استغرق نحو ستة اشهر، بالاضافة الى خسائره الباهظة في الانفس، مخاوف حقيقية بين الاقطار الاوربية من ان يتمدد المرض الى مناطق ابعد من العراق ويتحول الى وباء عالمي[2]. وقد عبر بعض الممثلين الدبلوماسيين الاجانب في بغداد عن مثل تلك المخاوف. فمثلا اعلن القنصل الروسي في تقرير نُشر في شباط 1890، بأن الكوليرا قد توقفت الآن في العراق، لكن تجددها قد يكون امرا متوقعا في اي وقت، لان العراق لديه اوضاع صحية متردية على نحو مريع[3].

1 (B. M. J), Vol. 2, No. 1500, September 28, 1889, P. 741; (B. M. J), Vol. 1, No. 1531, May 3, 1890, P. 1032.
2 Topics of the Week: Influenza and Cholera, "The Journal of the American Medical Association", Vol. XIV (14): January-June, 1890, No. 7, February 15, 1890, (Chicago: 1890), P. 244.
3 (B. M. J), Vol. 1, No. 1524, March 15, 1890, P. 623.

كوليرا الموصل ومناطق اخرى (نيسان – تشرين الاول 1890):

منذ خريف عام 1889 ولغاية بداية عام 1890 انتشرت الكوليرا في مناطق عديدة من الشرق الاوسط، مثل أيران[1]، وحلب، وبيروت واماكن اخرى. وقد اشارت تقارير غير رسمية في استانبول بتأريخ 27 كانون الثاني 1890، الى معاودة ظهور الكوليرا في العراق. وقد تأكدت السلطات الصحية العثمانية من تفشي الكوليرا في الموصل في نيسان من العام نفسه[2]. وقد سُجلت هناك اصابتين غير قاتلة وحالتي وفاة في المدينة في المدة من 25 نيسان الى 3 مايس. ازاء ذلك، اُتخذت تدابير صحية محلية لكبح المرض. وفي قريتي بلد وسميچة في الدجيل، الواقعة شمالي بغداد، تم الابلاغ في 8 مايس عن اشخاص معدودين كانت لديهم اعراض مشابهة للكوليرا، وان بعضهم قد لقي حتفه لاحقا. وفي بلد، التي تم عزلها بنطاق صحي في المدة من 14 الى 19 مايس، تم الابلاغ عن وقوع ست وفيات[3]. وفي الموصل، فأنه بالرغم من ان بيانا صادرا عن الصحة في بداية تموز اعلن ان الكوليرا خامدة في الولاية، وانها لم تمتد لا الى مناطقها الشمالية او الشرقية[4]، فأن التقارير الرسمية لدائرة صحة بغداد افادت بان الكوليرا قد وصلت اربيل في 6 تموز[5]. وقد استمرت الكوليرا في الظهور في الموصل واربيل حتى اواخر آب، بعد ذلك بدأت بالتضائل لغاية ان اختفت تماما

---

1 (A. S. R), Vol. 5, No. 13, March 28, 1890, P. 140.

2 John B. Hamilton, Hygiene and Epidemiology, "Annual of the Universal Medical Sciences", Edited by Charles E. Sajous and others, Vol. 5, Section E, (Philadelphia: F. A. Davis, Publisher, 1891), P. E-37.

3 (W. A. S. R.), Vol. 5, No. 25, June 20, 1890, P. 267.

4 Hamilton, P. E-37.

5 (W. A. S. R.), Vol. 5, No. 36, September 5, 1890, P. 397.

من مناطق العراق كافة في بداية شهر تشرين الاول[1]. ومع ان بعض التقارير الصحية صنّفت هذا التفشي الوبائي على انه محدود النطاق وخفيف الاثر، لكن بالامكان اعتباره واسع الانتشار وقاتل، لانه غطى رقعة جغرافية كبيرة ضمت ثلاثة عشر منطقة عراقية[2]، فضلا عن ان نسبة وفياته كانت مرتفعة نسبيا. ففي الموصل سُجلت بين 50 الى 100 حالة وفاة، وفي اربيل 150 وفاة، وفي مناطق الزاب الاعلى 150 وفاة اخرى [3]. وبعدما توقفت الكوليرا كليا في عام 1890، لم تعاود الظهور ثانية في العراق لمدة عام ونصف تقريبا، باستثناء حالات طفيفة ومتقطعة وقعت في الشطرة والناصرية في عام 1891[4].

كوليرا البصرة وبغداد ومناطق اخرى (مايس – تشرين الثاني 1893):

سادت الكوليرا قبل اندلاعها في العراق في مايس 1893 في العديد من اقطار الشرق الاوسط وشمالي افريقيا. لقد غطى الداء آنذاك منطقة واسعة جدا امتدت من المغرب الى ايران. ومن الجدير بالذكر هنا، ان الكوليرا كانت منتشرة في غربي ايران في شتاء 1892–1893. لذلك، فمن المحتمل ان تكون عدواها قد جُلبت من هناك الى العراق. لقد ظهرت الكوليرا اولا في منطقة العمارة المجاورة للحدود الايرانية في 17 مايس 1893، حيث أُصيب ثلاثة اشخاص بالوباء[5].

1 Hamilton, P. E-37.
2 (W. A. S. R.), Vol. 10, No. 47, November 22, 1895, P. 1035.
3 Proust, P. 135
4 Mordtmann, Die Cholera in der Türkei und Konstantinopel im Jahre 1893, "Hygienische Rundschau", IV. Jahrgang, No. 7, April 1, 1894, (Berlin: 1894), P. 290.
5 F. W. Barry, Report on the Western Diffusion of Cholera During the Year 1893, "Twenty-Fourth Annual Report of the Local Government Board, 1894-95, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1894-95, Presented to Parliament by Command Her Majesty", (London: Eyre and Spottiswoode, 1896), PP. 267-268.

وفي البصرة تم التأكيد رسميا على وقوع اصابتين في 26 مايس[1]. واندلع المرض ايضا في مدينة الشطرة بالناصرية في 27 مايس. وتم الابلاغ كذلك عن حالات اخرى بين افراد من قبيلتي عبدالله بن علي وبني مالك، اللتان كانتا تخيمان يومذاك في منطقة المنتفك بجوار العمارة[2]. ومن اجل وقف امتداد الوباء نحو الاجزاء الشمالية للعراق، امرت السلطات العثمانية بوقف حركة كافة المسافرين القادمين برا من المناطق الموبوءة باتجاه بغداد. وفي الوقت عينه، طلبت تلك السلطات من شركات المراكب البخارية العاملة في دجلة برفض اخذ مسافرين على متنها من المناطق المصابة بالكوليرا[3].

لقد واصلت الكوليرا انتشارها في البصرة خلال الاسابيع الاولى من شهر حزيران، مسببة دزينات من الوفيات يوميا، ومرغمة العديد من اهلها على الفرار الى القرى في المناطق المجاورة. ونتيجة لذلك، تكونت مراكز جديدة للمرض. وقد بين تقرير المفتش الصحي في بغداد، المؤرخ في 19 حزيران، بان الكوليرا دمرت بقوة منطقة ابو الخصيب الواقعة على امتداد مجرى شط العرب، حيث قتلت بحدود هذا التأريخ نحو 293 شخصا[4]. وقد ارتفع هذا الرقم الى 309 اشخاص مع نهاية الموجة الوبائية (انظر: جدول-21).

1 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 28, July 14, 1893, PP. 588-589.
2 Barry, P. 278.
3 Ibid; PP. 278-279.
4 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 31, August 4, 1893, PP. 672; Barry, P. 279.

جدول- 21 (وفيات الكوليرا في المدن والبلدات والقرى وبين العشائر العربية في العراق من مايس ولغاية تشرين الثاني 1893)[1]

المدينة، البلدة، القرية، والعشيرة	التأريخ	الوفيات
العمارة	17 مايس	8
البصرة	26 مايس	365
الشطرة	27 مايس	188
ابو الخصيب	10 حزيران	309
الكوت	16 حزيران	2
شط العرب	16 حزيران	8
الزبير وجوارها	19 حزيران	58
عشيرة حسن خيون (في الناصرية)	20 حزيران	14
مناوي (البصرة)	22 حزيران	3
بني خالد (عشيرة- الفرات الاوسط)	22 حزيران	30
هور الحمار	23 حزيران	1
الناصرية	2 تموز	130
القرنة	2 تموز	22

1 Table data are derived from: Barry, PP. 280-281.

المدينة، البلدة، القرية، والعشيرة	التأريخ	الوفيات
الحي	8 تموز	1
سوق الشيوخ	29 تموز	49
بغداد	24 اب	693
طاووق	7 ايلول	8
مندلي	14 ايلول	142
آل فتلة (في الفرات الاوسط)	19 ايلول	168
الحلة	23 ايلول	178
الهندية	27 ايلول	43
عشيرة بني حسن (قرب الهندية)	30 ايلول	548
النجف	8 تشرين الاول	14
خانقين	9 تشرين الاول	58
القرى بين كفري وكركوك	9 تشرين الاول	29
المسيب	10 تشرين الاول	26
علياوه (قرب خانقين)	12 تشرين الاول	5
قزل رباط (السعدية)	12 تشرين الاول	20
بعقوبة	12 تشرين الاول	32

المدينة، البلدة، القرية، والعشيرة	التأريخ	الوفيات
صلاحية (كفري)	13 تشرين الاول	18
الكاظمية	14 تشرين الاول	1
الكفل	14 تشرين الاول	5
السماوة	15 تشرين الاول	139
الكوفة	25 تشرين الاول	52
الديوانية	28 تشرين الاول	11
كربلاء	9 تشرين الثاني	108
آلتون كوبري	25 تشرين الثاني	3
مناطق متفرقة اخرى	-	831
المجموع العام		4.320

وضربت الكوليرا القرنة ومنطقة شط العرب في المدة من 14 الى 16 حزيران. وظهر المرض ايضا بين عشائر حسن خيون قرب الفرات بين القرنة وسوق الشيوخ في 18 حزيران. وأُبلغ في اليوم التالي عن ظهور الوباء بين عشيرة آل ظفير قرب الزبير. وضربت الكوليرا الناصرية وسوق الشيوخ في 28 حزيران و2 تموزعلى التوالي. وبحلول آب، هاجم الوباء تقريبا اغلب المدن والبلدات المهمة لجنوب العراق، وعانت العديد من عشائر المنتفك بشدة من الداء. وطبقا لبلاغات صحية عثمانية رسمية، تضمنت قائمة الوفيات من

الكوليرا في ولاية البصرة 977 شخصا قضوا نحبهم في المدة بين 17 مايس و5 آب[1].

وبمجرد ان انفجر الوباء، وجهت السلطات العثمانية في استانبول انظارها نحو بغداد، لاحتمال تعرضها للخطر الوبائي، وتدارست السلطات في الوقت ذاته الوسائل اللازمة لوقف مسيرة الكوليرا المحتملة نحوها. وبعث المجلس الصحي في استانبول توصيات الى الباب العالي بهذا الشأن. لكن كان يتوجب على الحكومة المحلية العثمانية ان تتغلب اولا على الصعوبات في التعامل مع عشائر جنوب العراق من اجل تطبيق اية تدابير صحية[2]. وكأجراء وقائي، فان حجرا صحيا قد أُقيم في منتصف الطريق بين بغداد والبصرة، مدعوما بنطاق عسكري ممتد من الحدود الايرانية الى الفرات. على اي حال، فأنه بالرغم من الحذر الحكومي والخط الاحمر، فأن جرثومة الكوليرا اجتازت حراس النطاق العسكري الصحي بسهولة، ومن ثم هاجمت مدينة تقع على دجلة، تماما فوق محطة الحجر الصحي. وبدأ موظفو الحجر الصحي وجرثومة الكوليرا آنذاك سباقا تناوبوا فيه الفوز بعضهم على البعض الآخر، لغاية ان نجحت الكوليرا من دخول بغداد. عندذاك، أُزيلت محطة الحجر الصحي من موقعها السابق وحُركت الى مسافة معينة فوق بغداد، فيما أُعيد تأسيس الاتصالات مع منطقة الخليج العربي[3]. ووفقا لصحيفة ألزوراء' العراقية، فقد ظهرت الكوليرا في بغداد في 1 صفر 1311 هجرية (الموافق 13 آب 1893)، وان الوباء بلغ ذروته يوم 24

---

1 Ibid; P. 279.

2 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 26, June 30, 1893, P. 520.

3 "The Journal of the American Association", Vol. XXIX (29), No. 22, November 27, 1897 (Chicago: American Medical Association Press, 1897), P. 1123

آب[1]، عندما تفشى في ثكنات الجنود، مسببا 12 اصابة وثلاث حالات للوفاة. وانتشر المرض في اليوم التالي سريعا بين السكان المدنيين. وقد اوضح تقرير للقنصل الامريكي في بغداد، بتأريخ 31 آب 1893، انه كان هناك في المدة بين 24 و31 آب، 81 اصابة و32 وفاة[2]. وبلغ العدد اليومي للخسائر في الارواح في بغداد حده الاقصى يوم 6 ايلول، عندما توفي 57 شخصا. وقد اخذ عدد الوفيات بالتناقص التدريجي خلال شهر تشرين الاول، اذ أُحصيت 18 حالة وفاة فقط. وقد قُدرت الخسائر بالارواح المسجلة رسميا في بغداد من جراء الوباء، منذ اندلاعه في منتصف شهر آب ولغاية 28 تشرين الاول، نحو693 حالة وفاة[3]. وعصفت الكوليرا بهياج شديد بمناطق الفرات الاوسط المختلفة، مثل كربلاء والنجف والحلة والهندية خلال شهري ايلول وتشرين الاول 1893. وفي غضون تلك المدة، زحف الوباء نحو الغرب والشمال، بالغا هيت في اعالي الفرات وسامراء على دجلة[4]. وواصل المرض اندفاعه المدمر نحو الشرق والشمال في تشرين الاول وتشرين الثاني، مكتسحا مندلي وخانقين الى الشمال الشرقي من بغداد، وممتدا الى آلتون كوبري وبعض القرى الى الجنوب من الموصل. ويُعتقد ان وباء الكوليرا لعام 1893، قد اتبع الطريق ذاته الذي سلكته كوليرا عام 1889[5]. ان المعلومات المتوفرة بخصوص كوليرا عام 1893، تبين بوضوح انه كان هناك ثلاثة نطاقات جغرافية رئيسة ساد فيها الوباء وفق ثلاثة سياقات زمنية متعاقبة: النطاق الاول، تضمن ولاية البصرة التي اندلعت فيها

1 مقتبس من: العزاوي، ج8: 1872-1917، ص 145

2 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 40, October 6, 1893, PP. 1051.

3 Barry, P. 279.

4 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 42, October 20, 1893, PP. 1061; Barry, P. 279.

5 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 47, November 24, 1893, PP. 1183; Barry, P. 279.

الكوليرا في شهري حزيران وتموز بين العشائر العربية للمنتفك والاخرى التي تقطن بجوار مدينة البصرة؛ والثاني، ضم بغداد وضواحيها التي ضربتها الكوليرا في الاسابيع الاخيرة من شهر آب وبداية شهر ايلول؛ اما الثالث، فاشتمل على الفرات الاوسط، والفرات الاعلى، وشمال شرقي بغداد، واعالي دجلة (انظر: الخارطة في ملحق-4). وقد هاجمت الكوليرا هذه المنطقة في المدة من نهاية ايلول ولغاية نهاية تشرين الثاني. ومع حقيقة ان الكوليرا قد انقرضت في تشرين الثاني، الا ان الاعلان الرسمي لهذا الانقراض كان في 21 كانون الاول، مثلما اشار الى ذلك جون ساندبرغ، القنصل الامريكي في بغداد[1]. وبخصوص اعداد الوفيات، فهنالك اختلاف كبير بين الارقام التي اعطتها القنصليتان الامريكية والبريطانية في بغداد. فبينما احصت القنصلية الامريكية ما مجموعه 1882 حالة وفاة وقعت في العراق من جراء الكوليرا (انظر: جدول-22)، كان الرقم الذي روجت له القنصلية البريطانية اكثر من الضعف بقليل، اذ اشار الى حدوث 4.320 حالة وفاة في العراق عموما[2]. وحتى هذا الرقم عدّه طبيب بريطاني اقل من العدد الفعلي، لانه كان هنالك نقص في البيانات المستلمة من اماكن عديدة ضربتها الكوليرا. فمثلا، صدت العشائر العربية لجنوبي العراق موظفي الصحة الحكوميين ورفضت اعطائهم اية معلومات بخصوص المرض والوفيات[3].

1 (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 5, February 2, 1894, P. 46.
2 Barry, P. 279.
3 Ibid, P. 280.

جدول-22 (وفيات الكوليرا في العراق للفترة من مايس الى تشرين الثاني 1893)[1]

المناطق والمدن	مايس	حزيران	تموز	آب	ايلول	تشرين الاول	تشرين الثاني
الشطرة	35	62	-	-	-	-	-
العمارة	7	1	-	-	-	-	-
البصرة	85	680	215	47	-	-	-
بغداد	-	-	-	71	667	11	1
المجموع للاشهر	127	743	215	118	667	11	1
المجموع العام	1882						

ويبدو جدول الوفيات الذي زودته القنصلية البريطانية في بغداد شاملا ودقيقا الى حد ما، وذلك بسبب ان قاعدة بياناته قد تم استخلاصها بدقة من النشريات الصحية لبغداد، ولانه غطى منطقة واسعة واماكن عديدة، بضمن ذلك قرى وعشائر بدوية.

وقد اصدر الباب العالي في استانبول مرسوما في وقت مبكر من عام 1894، قضي بان لا يتم السماح للكوليرا وباي ثمن بدخول بغداد. ومع ذلك، تجري الرياح بما لا تشته السفنُ، مثلما قال شاعر عربي. فقد جربت بغداد خلال

1 Table data are derived from: (W. A. S. R.), Vol. 9, No.6, February 9, 1894, P.78.

تلك السنة فاجعتين، فيضان ومرض يُشتبه بانه كان كوليرا. لقد فاض نهر دجلة فجأة في ربيع عام 1894، محولا الصحراء المحيطة خارج المدينة الى بركة كبيرة، وبمعدل عمق يتراوح من عشرة الى اثني عشر قدما. وحالما بدأت بغداد تتعافى من كارثة الفيضان، اندلع مرض غامض فيها، اصاب الفلاحين على طول ضفاف النهر وكذلك عرب الصحراء، فمات منهم بالمئات. ومع انه لم يكن بالامكان تفريق المرض عن وباء الكوليرا، الا ان السلطات الصحية الرسمية رفضت الاعتراف بان المرض كان كوليرا[1]. وقد ذكرالقنصل الامريكي جون ساندبرغ في مذكرة له بتأريخ 2 آب 1894، انه قد تم ابلاغه بحدوث عدة اصابات كوليرا في محلة الميدان في اواخر تموز، لكنه، كما اشار، كان مترددا في البداية في القبول بهذه البيانات على انها حقائق، وانه لم يكن بمقدوره الجزم بصحة البلاغ [2]. لكن في تقريره الذي نشره في مجلة صحية امريكية في تشرين الثاني 1894، اكد ساندبرغ حدوث كوليرا في بغداد، وتساءل متعجبا: كم عدد الذين ماتوا هنا (في بغداد)؟ الله يعلم فقط . اضافة لذلك، اشار ساندبرغ في تقريره الى حدوث 336 اصابة قاتلة في غضون اسبوع واحد، لكنه في الوقت عينه بين بأن هذه الارقام لايمكن الوثوق بها، بسبب اخفاء السلطات الصحية المتعمد للمرض[3]. على اي حال، وبما انه لم يُنشر لغاية الآن سوى القليل بخصوص تفشي الكوليرا هذا، فأنه ينبغي ان نفترض، ولغاية ان يُثبت العكس، ان المرض الذي اندلع في صيف بغداد عام 1894، قد كان كوليرا.

---

1 "The Journal of the American Association", Vol. XXIX (29), No. 22, P. 1124.
2 (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 38, September 21, 1894, P. 825.
3 Sundberg, A Letter from Baghdad, P. 648.

كوليرا البصرة ومناطق اخرى (تشرين الاول – كانون الاول 1899):

في عام 1899 كانت الكوليرا منتشرة على نطاق واسع في الهند، احد المراكز التقليدية للاوبئة في الشرق في العصور الحديثة. ففي تلك السنة، قضى نحو 171.410 اشخاص نحبهم من الكوليرا. ولوحظ في الخريف ظهور الوباء على ضفاف شط العرب[1]. واعلنت برقية مرسلة من قبل طبيب صحة البصرة الى اللجنة الطبية الدولية في استانبول، مؤرخة في 7 تشرين الاول، ان حالات وفاة من الكوليرا وقعت يوم 5 تشرين الاول بين الچـراديغ (السقائف) المعمولة من سعف النخيل الواقعة في ضواحي مدينة البصرة [2]. ففي كل عام كان يتم جلب اعداد كبيرة من العمال من كل المناطق ومن كلا الجنسين للعمل في بساتين النخيل على ضفاف شط العرب. وكان هؤلاء يعيشون سوية في تلك الچـراديغ التي كانت فيها ضروريات النظافة، وحتى الحشمة، مهملة تماما[3]. ومنذ الظهور الاول للكوليرا ولغاية يوم 22 اكتوبر تم الابلاغ عن خمس وعشرين حالة وفاة[4].

وعزا المفوض الصحي الامريكي في استانبول في تقريره المؤرخ في 9 تشرين الثاني، انتشار الكوليرا الى اهمال السلطات الصحية في البصرة، التي اعاقت الجهود المخلصة لطبيب الصحة السابق موسشايدز، وحرضت عليه اللجنة الصحية الدولية في استانبول لنقله الى منطقة نائية في البحر الاحمر[5]. وبالرغم من الازدياد الملحوظ في اصابات الكوليرا منذ يوم 25 تشرين الاول في

---

1 Frank G. Clemow, Two Years of Cholera Prevalence in the Turkish Empire, "Transactions of the Epidemiological Society of London" Vol. XXIII (23): Session 1903-1904, (London: William and Norgate, 1904), P. 224.

2 (P. H. R), Vol. 14, No. 46, November 17, 1899, P. 2053.

3 Clemow, P. 225.

4 (P. H. R), Vol. 14, No. 46, November 17, 1899, P. 2053.

5 (P. H. R), Vol. 14, Nos. 48 & 50, December 1 and 15, 1899, PP. 2157, 2270.

مدينة البصرة[1]، الا ان التفشي، مقارنة بما قبله، كان خفيفا، وانتهى في المدينة في غضون الاسبوع الاول من شهر كانون الاول. وفي الواقع، ان انتشار الوباء على نحو اوسع قد حدث عندما فر بدو في الجوار كانوا مصابين بالكوليرا الى الدواخل فاصبحوا وكلاء نشطين في بث العدوى على ضفاف دجلة والفرات وفي اماكن اخرى[2]. وبعدما أُبلغ عن بعض الاصابات في القرنة، هاجم الوباء الاجزاء الجنوبية من العراق. فقد تفشت الكوليرا في ضواحي العمارة في 13 كانون الاول؛ واندلعت ايضا في التأريخ ذاته بين العشائر قرب الشطرة في الناصرية. وضرب الوباء فيما بعد الفاو في 17 كانون الاول، وبلدة الشطرة في 18 كانون الاول، والكوت في 21 كانون الاول[3]. ولغاية هذا التأريخ كانت بغداد قد نجت باعجوبة من الداء[4]. وقد توقفت الكوليرا،على ما يبدو، في اواخر كانون الاول، ولم ترد اية اشارة لمعاودة انتشارها لغاية عام 1903.

كوليرا عانه (ولاية بغداد) والموصل ومناطق اخرى (تشرين الاول 1903 – كانون الاول 1904):

عُدّت هذه الموجة الوبائية امتدادا لكوليرا مكة حيث انتشر فيها الداء في شباط من عام 1902. فقد تحركت الكوليرا فيما بعد برا وبحرا الى مناطق عديدة من الشرق الاوسط العثماني، من بينهما مصر وسوريا اللتان عصف بهما الوباء في شهري تموز وتشرين الاول. وبعد خمود قصير الامد، استأنف الوباء نشاطه في ربيع عام 1903 وظهر في حلب، حيث سلك من هناك طريقين: الاول، الى عينتاب ودياربكر، ومن ثم هبط عن طريق دجلة الى الموصل وكركوك في

1 العزاوي، ج8: 1872-1917، ص 160

2 Clemow, P. 225.
3 (P. H. R), Vol. 14, Nos. 48 & 50, December 1 and 15, 1899, PP. 2157, 2270.
4 Clemow, P. 225.

الشمال. اما الطريق الثاني، فكان على امتداد الفرات[1]. لقد كان التوقف المميت الاول للكوليرا في اعالي الفرات في عانه، التي جلب المرض اليها في اواخر تشرين الاول مسافرون على متن قارب، وكان احدهم مصابا بالكوليرا ومن ثم توفي خلال الرحلة[2]. وطبقا لفرانك كليمو، المفوض البريطاني في اللجنة الصحية الدولية في استانبول، بلغت قائمة الخسائر البشرية في عانه للمدة من 29 تشرين الاول ولغاية 3 كانون الاول 1903، نحو 526 اصابة و281 حالة وفاة. وضرب الوباء لاحقا مناطق اخرى في اعالي الفرات، مثل حديثة، وجبة، وهيت، حيث سُجلت فيها 28 اصابة و13 حالة وفاة[3]. وقد اثبت الوباء بأنه كان فتاكا ايضا في مناطق الفرات الاوسط. ففي كربلاء، التي كانت آنذاك مدينة يبلغ سكانها نحو 11.215 نسمة[4]، الحقت الكوليرا فيها خسائر بشرية كبيرة في كانون الاول 1903[5]. فقد اصاب الوباء 674 شخصا، فيما اهلك 634 شخصا آخرين في المدة بين 9 و23 من الشهر المذكور[6].

وقد تحركت الكوليرا فيما بعد من كربلاء صوب الهندية والمسيب، حيث سُجلت فيهما 34 اصابة و29 حالة وفاة. وكانت الموصل البقعة الاخيرة التي

---

1 (P. H. R), Vol. 18, No. 50, December 11, 1903, P. 2211; (P. H. R), Vol. 20, No. 7, February 17, 1905, PP. 279-280.

2 Bruce Low, Report on the Manifestations of Cholera Throughout the World During 1903, "Thirty-Third Annual Report of the Local Government Board, 1903-04, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1903-04", Presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty, (London: Darling & Son, 1905), P. 314.

3 Clemow, P. 251

4 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", P. 162.

5 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 206, dated December 24, 1903, Subject: Epidemic, Serial number: 275-276.

6 Clemow, P. 251.

ضربها الوباء على نحو خفيف في عام 1903، حيث سُجلت هناك اصابة واحدة وحالة وفاة واحدة (انظر: جدول-23).

جدول-23 (اصابات ووفيات الكوليرا في ولايتي بغداد والموصل في عام 1903)[1]

الولاية	المنطقة	تأريخ الظهور	تأريخ الانقراض	دورة المرض بالايام	الاصابات	الوفيات
بغداد	عانه	29 تشرين الاول	3 كانون الاول	35	526	281
بغداد	حديثة	20 تشرين الثاني	6 كانون الاول	6	18	8
بغداد	جبه	7 كانون الاول	8 كانون الاول	-	2	1
بغداد	هيت	13 كانون الاول	15 كانون الاول	3	8	4
بغداد	كربلاء	9 كانون الاول	23 كانون الاول	14	674	634
بغداد	الهندية	18 كانون الاول	19 كانون الاول	2	2	2
بغداد	المسيب	18 كانون الاول	29 كانون الاول	11	33	28
الموصل	الموصل	26 كانون الاول	31 كانون الاول	-	1	1
العدد الكلي					1264	959

1 Table data are derived from: Ibid, P. 251.

وبينما اختفت الكوليرا من كربلاء في 24 كانون الاول[1]، فانها تفشت ثم تلاشت بسرعة في بغداد في بداية كانون الثاني 1904[2]. وظهر الداء في البصرة في شباط من العام المذكور، حيث تم الابلاغ عن ست اصابات وثلاث وفيات بين 6 و12 شباط[3]. واستأنفت الكوليرا هجمتها الثانية ضد بغداد في 4 آذار فيما واصلت الانتشار على نحو متزامن في البصرة. ووفقا لنشرات صادرة عن دائرة صحة بغداد، كان هناك 36 اصابة و23 حالة وفاة في بغداد في المدة من 4 الى 20 آذار، و34 اصابة و35 حالة وفاة في البصرة في المدة من 5 الى 20 آذار[4]. وازدادت هذه الارقام بشكل طفيف في البصرة خلال العشرة ايام الاولى من شهر نيسان، عندما تم تسجيل 37 اصابة و28 حالة وفاة[5].

وبالرغم من اعلان السلطات الصحية لبغداد يوم 21 نيسان، ان الكوليرا قد اختفت وان المدينة كانت خالية تماما من المرض[6]، الا ان الوباء اندلع للمرة

1 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 210, dated February 18, 1904, Subject: Diseases, Serial number: 290-291.

2 Clemow, P. 237.

3 (P. H. R), Vol. 19, Nos. 13, 15, 21, March 25; April 8; and May 20, 1904 respectively, PP. 545, 649, 998.

4 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatches Nos. 212, dated March 17, 1904, Subject: Epidemic, Serial number: 295-297; (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 215, dated March 24, 1904, Subject: Cholera at Baghdad and Basra, Serial number: 306-308.

5 (P. H. R), Vol. 19, Nos. 13, 15, 21, March 25; April 8; and May 20, 1904 respectively, PP. 545, 649, 998.

6 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 217, dated April 28, 1904, Subject: Cholera, Serial number: 311-312.

الثالثة في بغداد في صيف عام 1904. كان هذا الانفجار الوبائي قاتلا بشكل ملحوظ، وقُدر ان نحو 100 وفاة حدثت يوميا في المدينة[1]. وقد انفجرت تفشيات وبائية شديدة اخرى ضمن منطقتين اخريين. الاولى، تقع الى الجنوب من بغداد، واشتملت على المسيب، والحلة، والهندية، وكربلاء، والنجف، والكوفة، والديوانية، والشامية والعمارة. اما الثانية، فتقع الى الشمال والشمال الشرقي من بغداد، وضمت الكاظمية، وسامراء، وبعقوبة، وشهربان (المقدادية)، وخانقين واماكن اخرى[2]. وقد اوضح تقرير طبي بريطاني ان نحو 1.500 شخص هاجمتهم الكوليرا في بغداد في صيف عام 1904، وان من بينهم 1.100 شخص قد قضوا نحبهم[3].

وامتد الوباء الى الاجزاء الشمالية الشرقية القصية من العراق في تموز 1904. فقد بينت النشرة الصحية الاسبوعية للمدة من 16 الى 23 تموز، والصادرة عن دائرة صحة بغداد، ان الكوليرا قد ضربت السليمانية وان الاصابات فيها بلغت 133 اصابة، فيما بلغت الخسائر بالارواح 33 وفاة. وقفزت قائمة خسائر الكوليرا في المنطقة ذاتها خلال اسبوعين فقط بشكل يُنذر

1 (B. M. J), Vol. 2, No. 2273, July 23, 1904, P. 199.

2 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 220, dated June 30, 1904, Subject: Epidemic, Serial number: 317-318; Clemow, P. 238.

3 Bruce Low, Report on the Manifestations of Cholera Throughout the World in 1904, "Thirty-Fourth Annual Report of the Local Government Board, 1904-05, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1904-05", Presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty, (London: Darling & Son, 1906), P. 291.

بالخطر. ففي المدة من 23 تموز الى 6 آب أُحصيت 568 اصابة و799 وفاة[1]. وعاود المرض ظهوره في مناطق اعالي الفرات في المدة من 18 الى 25 آب، حيث هاجم هيت التي سُجلت فيها 61 اصابة و28 حالة وفاة[2]. وبلغ الوباء ذروته في آب حين غطت هجماته معظم ولايات العراق العثماني الثلاث (انظر: الخارطة في ملحق- 5)، ضاربا في كل الاتجاهات ومسببا خسائر فادحة بالارواح. فمثلا، قتلت الكوليرا 611 شخصا في مناطق عراقية مختلفة خلال المدة من 13 آب ولغاية 3 ايلول (انظر: جدول-24).

جدول-24 (اصابات ووفيات الكوليرا في العراق للمدة من 13 آب ولغاية 3 أيلول 1904)[3]

المنطقة	الاصابات	الوفيات
بغداد	543	382
السليمانية	111	136
مندلي	51	18
الديوانية	3	4
الهندية	1	1
هيت	61	28

1 (P. H. R), Vol. 19, Nos. 37 & 39, September 9 & 23, 1904 respectively, PP. 1859, 1957.
2 (P. H. R), Vol. 19, No. 41, October 7, 1904, P. 2078.
3 Table data are derived from: (P. H. R), Vol. 19, Nos. 41and 44, October 7 & 28, 1904 respectively, PP. 2078, 2233-2234.

المنطقة	الاصابات	الوفيات
شهربان (المقدادية)	42	21
الكوت	5	3
تكريت	3	1
خانقين	10	8
العمارة	18	6
الكاظمية	2	-
سامراء	2	3
المجموع الكلي	852	611

وبينما بدأت سطوة الكوليرا بالتراجع في البصرة في ايلول، واصل الداء قتله الناس بالمئات في بغداد والموصل. وقد بلغت الاصابات والوفيات المسجلة في كلتا المدينتين خلال مدة اسبوعين فقط من شهر ايلول، على النحو الآتي: في بغداد، 439 اصابة و283 حالة وفاة؛ وفي الموصل، 287 اصابة و 209 حالة وفاة[1]. وبدت نهاية الوباء وشيكة بحلول تشرين الاول. فمنذ ذلك التأريخ فصاعدا، مالت ارقام الوفيات والاصابات نحو الانخفاض. على سبيل المثال، حدثت 33 اصابة و39 وفاة في بغداد خلال الاسبوع المنتهي في الاول من تشرين الاول 1904، فيما تم الابلاغ عن ست وفيات فقط في الموصل[2]. وخلال

1 (P. H. R), Vol. 19, No. 45, November 4, 1904, P. 2278.
2 (P. H. R), Vol. 19, No. 49, December 2, 1904, P. 2438.

الاسبوع الثاني من شهر تشرين الثاني بلغت الوفيات والاصابات ادنى معدلاتها المسجلة منذ بداية التفشي الوبائي. اذ لم يُبّلغ حينذاك سوى عن 23 اصابة و24 وفاة في جميع انحاء العراق[1].

وبالرغم من الانحطاط الملحوظ في معدلات الاصابات والوفيات، لم يكن العراق العثماني يومذاك خارج خطر الكوليرا بعد. اذ استمر التفشي الخفيف للوباء في بعض مناطق العراق، ولاسيما الشمالية، في بداية تشرين الثاني 1904. ففي تلك الآونة اصابت الكوليرا السليمانية، حيث جلبت العدوى اليها عشيرة الجاف الكردية التي كانت قد عادت للتو من ربوعها الصيفية في الاراضي الايرانية[2]. ووفقا لنشرة صحية مُعدّة من قبل اختصاصي الجراثيم حمدي عزيز، صادرة في بغداد يوم 21 تشرين الثاني، فقد تم الابلاغ عن 31 اصابة و17 حالة وفاة في السليمانية ورانية[3]. واضحى الاندلاع الخفيف للوباء في تشرين الثاني عنيفا في كانون الاول، واخذت حالات كوليرا تظهر مجددا في مناطق متفرقة من العراق، مثل بغداد، والبصرة (التي كانت نظيفة من المرض منذ آب 1904)، والموصل، والعمارة، والسليمانية، ورانية وراوندوز. واظهرت نشرة صحية صدرت في بغداد يوم 5 كانون الاول تصاعدا كبيرا في معدلات الاصابات، التي حصل معظمها في المنطقة الكردية. وقد سُجلت في ذلك الشهر 313 اصابة و230 حالة وفاة في عموم العراق، منها 203 اصابة و141 حالة وفاة حدثت في المناطق الكردية (في السليمانية 70 اصابة و36 حالة وفاة؛ وفي راوندوز 51

1 (P. H. R), Vol. 19, No. 51, December 16, 1904, P. 2579.
2 (P. H. R), Vol. 20, No. 2, January 13, 1905, P. 61.
3 (P. H. R), Vol. 20, No. 3, January 20, 1905, P. 111.

اصابة و36 وفاة؛ وفي رانية 82 اصابة و69 وفاة)[1]. وشكلت حصة المنطقة الكردية من الارقام الواردة الذكر نحو 65٪ من الاصابات و61٪ من الوفيات. وضربت الكوليرا بحدة راوندوز، التي كانت آنذاك بلدة صغيرة، في منتصف كانون الاول. فبينما سُجلت في عموم العراق 332 اصابة و292 حالة وفاة، كان نصيب راوندوز منها 203 اصابة و185 حالة وفاة[2]، اي بنسبة 61٪ من العدد الكلي للاصابات و63٪ من الوفيات.

وبدأت زيارة الكوليرا غير الرحيمة للعراق في 1903-1904، التي روعت الناس وملئت قلوبهم بالذعر، بالانحسار مرة اخرى في اواخر كانون الاول. لذلك لوحظ تراجع ملفت للنظر في اعداد الاصابات والوفيات في راوندوز، التي سبق وان ضربها الوباء بعنف في كانون الاول 1904[3]، بينما تم اعلان بغداد مدينة خالية من الكولير في 3 كانون الثاني 1905[4]. وقد لوحظ ايضا ان اصابات وحالات الوفيات للكوليرا في عموم العراق اثناء الاسبوع الاخير من شهر كانون الاول 1904 لم تتجاوز 25 اصابة و20 حالة وفاة (انظر: جدول-25).

1 (P. H. R), Vol. 20, No. 4, January 27, 1905, PP. 145, 149.
2 (P. H. R), Vol. 20, No. 6, February 10, 1905, P. 228.
3 (P. H. R), Vol. 20, No. 7, February 17, 1905, P. 280.
4 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 243, dated January 5, 1905, Subject: Disappearance of cholera, Serial number: 388-389.

جدول-25 (اصابات ووفيات الكوليرا في العراق من كانون الاول 1903 الى كانون الاول 1904 استنادا لنشرات صحية منتخبة)[1]

رقم النشرة	تأريخ النشرة	الاصابات	الوفيات
39	كانون الاول 1903	249	196
40	كانون الاول 1903	464	485
41	كانون الاول 1903	20	31
3	كانون الثاني 1904	5	5
5	شباط 1904	11	9
6	شباط 1904	30	253
8	آذار 1904	27	16
10و11	آذار ونيسان 1904	72	73
12	نيسان 1904	38	28
23	حزيران 1904	342	230

1 Table data are derived from: "P. H. R": Vol. 19, Nos. 3, 5, 6, 9, 14, 15, 17, 19, 21, 30, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 44, 45, 46, 48, 52, 53, for the days: January 15, 29, February 5, 2 , April 1, 8, 2 , May 6, 20, July 22, August 5, 12, 19, 26, September 2, 9, 16, 23, 30, October 28, November 4, 11, 18, 25, December 16, 23, 30, 1904 respectively, PP. 98, 172, 207, 337, 588, 637, 749, 881, 998, 1475, 1582, 1630, 1688, 1743, 1799, 1846, 1900, 1945, 2008, 2224, 2278, 2334, 2438, 2579, 2639, 2680; Vol: 20, Nos: 4, 6, 7, for the days January 27, February 10, 17, 1905 respectively, PP. 145, 228, 280.

رقم النشرة	تأريخ النشرة	الاصابات	الوفيات
24	حزيران 1904	481	852
25	تموز 1904	210	355
26	تموز 1904	227	213
27	تموز 1904	518	375
28	تموز 1904	683	541
29	آب 1904	965	950
30	آب 1904	926	964
31	آب 1904	361	363
32	آب 1904	425	327
33	آب 1904	306	242
35	ايلول 1904	580	373
36 و37	ايلول 1904	933	644
38	تشرين الاول 1904	233	106
40	تشرين الاول 1904	56	55
44	تشرين الثاني 1904	23	14
45	تشرين الثاني 1904	84	63

الوفيات	الاصابات	تأريخ النشرة	رقم النشرة
43	72	تشرين الثاني 1904	46
230	313	كانون الاول 1904	47
14	11	كانون الاول 1904	48
292	332	كانون الاول 1904	49
20	25	كانون الاول 1904	50

لاشك في ان هذا الهجوم الوبائي الطويل الامد للكوليرا، الذي استغرق اكثر من عام، سبب خسائر بشرية فادحة لسكان العراق. لقد بلغت الاعداد الكلية لاصابات ووفيات الكوليرا لستة اشهر، من 25 حزيران ولغاية 30 كانون الاول 1904، نحو 2.730 اصابة و3.887 حالة وفاة، بينما بلغت الاعداد الكلية للاصابات والوفيات منذ 1 كانون الثاني ولغاية 29 تشرين الاول 1904 نحو 9.006 اصابة و8.516 حالة وفاة[1]. وارتفعت الاعداد المذكورة، لغاية 26 كانون الاول 1904، الى 10.466 اصابة و9.192 حالة وفاة[2].

كوليرا البصرة وبغداد (ايلول 1910 – كانون الثاني 1911):

كان العراق العثماني لمدة ست سنوات تقريبا خاليا من الكوليرا، باستثناء حالات قليلة ذُكرت في بغداد وكربلاء في ربيع عام 1908[3]. وفي خريف عام

1 (P. H. R), Vol. 19, Nos. 51 & 53, December 16 & 30, 1904, PP. 2588, 2689-2690.

2 (P. H. R), Vol. 20, No. 8, February 24, 1905, P. 324.

3 (P. H. R), Vol. 23, Nos. 10, 15, and 20, for the days: March 6, April 10, and May 15, 1908, PP. 289, 471, 660 respectively.

1910 اكتسحت موجة وباء كوليرا قاتلة الاراضي العثمانية الآسيوية في الآناضول وامتدت ايضا الى العراق، حيث أُبلغ عن المرض في البصرة في ايلول وفي بغداد في تشرين الاول من العام المذكور[1]. وكثّف الوباء هجومه ليتسبب في اصابة 390 شخصا ووفاة 235 شخصا آخرين في ولاية بغداد في المدة من 6 ولغاية 30 تشرين الاول. وقد تسبب الوباء ايضا، لكن بمدى اقل في الخسائر، باصابة 14 شخصا ووفاة عشرة اشخاص آخرين في البصرة في المدة بين 25 ايلول و25 تشرين الاول[2]. وبعد ثلاثة اسابيع، بلغ الوباء ذروته في ولاية بغداد، حيث ازدادت اعداد الضحايا بشكل ملحوظ. فقد سُجلت في الولاية لغاية 19 تشرين الثاني 1910، نحو 645 اصابة و544 حالة وفاة[3]. وقد كانت الاعداد الاجمالية لاصابات ووفيات الكوليرا في بغداد والبصرة، مثلما تم الاعلان عنها من دوائر الصحة في العراق، على النحو الآتي: في بغداد، 819 اصابة و723 وفاة في المدة من 16 تشرين الاول 1910 ولغاية 16 كانون الثاني 1911[4]؛ وفي البصرة، 212 اصابة و164 وفاة في المدة من 20 تشرين الاول ولغاية 30 تشرين الثاني 1910[5]. وقد انحسرت الكوليرا لاحقا في العراق ليدخل البلد بعد ذلك في هدنة وبائية قصيرة لغاية منتصف عام 1911، عندما استأنفت الكوليرا هجماتها ثانية.

1 (P. H. R), Vol. 25, Nos. 43 & 46, October 23 & November 18, 1910, PP. 1546, 1697.
2 (P. H. R), Vol. 25, No. 48, December 2, 1910, P. 1779.
3 (P. H. R), Vol. 25, No. 51, December 23, 1910, P. 1905.
4 (P. H. R), Vol. 26, No. 7, February 17, 1911, P. 191.
5 (P. H. R), Vol. 26, No. 31, August 4, 1911, P. 1184.

كوليرا بغداد والبصرة (مايس – تشرين الاول 1911):

تفشت الكوليرا في ولايات عثمانية عديدة بضمن ذلك بغداد في منتصف عام 1911. وقد نجم عن العودة العنيفة للوباء الى بغداد وقوع 124 اصابة و114 وفاة خلال المدة بين 29 مايس و30 تموز. وقد ضرب المرض البصرة ايضا، حيث تم الابلاغ عن 132 اصابة و91 حالة وفاة في المدة من 17 حزيران ولغاية 9 آب[1]. وامتد المرض كذلك الى سنجق العمارة، وانتشر عند قبر عزرا[2]، حيث سُجلت هناك ست اصابات في 17 حزيران[3]. وبحلول الخريف قفزت قائمة الوفيات على نحو ينذر بالخطر في كل من ولايتي بغداد والبصرة. فقد تم الابلاغ عن 296 اصابة و212 حالة وفاة في بغداد في التاسع من ايلول، فيما سُجلت 291 اصابة و204 حالة وفاة في البصرة في 23 ايلول [4]. وبلغت الكوليرا اوج شدتها في تشرين الاول 1911. وقد أُحصيت في 28 من الشهر المذكور نحو 492 اصابة و345 وفاة في بغداد، بينما قُيدت في البصرة نحو 361 اصابة و257 حالة وفاة في 21 تشرين الاول[5]. وبنهاية شهر تشرين الاول، لم تعد هناك حالات يتم الابلاغ عنها في ولاية بغداد، كما تضائل المرض ايضا في ولاية البصرة، حيث سُجلت فقط 14 اصابة وعشرة حالات للوفاة خلال المدة من 22 الى 28 تشرين الاول[6]. وعلى الارجح ان غياب اشارات لاحقة لوقوع حالات كوليرا في تقارير الصحة العامة الامريكية قد عنى بان المرض انتهى

---

1 (P. H. R), Vol. 26, Nos. 35 & 36, September 1 & 8, 1911, PP. 1336, 1375.
2 بلدة العزير في العمارة
3 (P. H. R), Vol. 26, No. 30, July 28, 1911, P. 1154.
4 (P. H. R), Vol. 26, Nos. 41 & 43, October 13 & 27, 1911, PP. 1594, 1694.
5 (P. H. R), Vol. 26, No. 51, December 22, 1911, P. 2049.
6 (P. H. R), Vol. 27, No. 4, January 26, 1912, P. 142.

بالجملة في ولايتي بغداد والبصرة. وفي الواقع، انه ماعدا اندلاع خفيف حدث في الموصل منذ منتصف تشرين الثاني وحتى بداية كانون الاول 1912، الذي اودى بحياة شخصين في المدينة[1]، كان العراق لغاية عام 1915 نظيفا من الكوليرا.

كوليرا بغداد والموصل (من كانون الثاني 1915 – تشرين الثاني 1917)

الكوليرا في حفلة وداع السيادة العثمانية على العراق:

من سخريات القدر، انه بينما كان الطاعون حاضرا في البصرة قبل نهاية السيادة العثمانية فيها في تشرين الاول 1914، تزامن حضور الكوليرا ايضا مع انسحاب الادارة العثمانية من بغداد في آذار من عام 1917! ذلك الانسحاب الذي انهى 383 عاما من الحكم العثماني للعراق.

فحالما اوقع البريطانيون هزيمة بالجيش العثماني في ولاية البصرة (1914-1915)، هم تقدموا نحو وسط وشمال العراق. وقد جعلت الامراض المعدية، جنبا الى جنب مع المقاومة العثمانية، تقدم البريطانيين محفوفا بمخاطر شتى. لقد كان الزحف البريطاني نحو بغداد مهددا بتنوع غير مسبوق من الامراض والاوبئة. فحيثما تحرك البريطانيون، كان الطاعون، والكوليرا، والجدري، والملاريا، وحمى التيفوئيد، وحبة بغداد، وحمى ذبابة الرمل، والزحار، والاسكربوط، وضربة الحر في انتظارهم[2]. وفي الوقت الذي كان فيه البريطانيون

1 (P. H. R), Vol. 28, Nos. 1 & 8, January 3 & February 21, 1913, PP. 58, 365.

2 Kaushik Roy, The Army in India in Mesopotamia from 1916 to 1918: Tactics, Technology and Logistics Reconsidered, in "1917: Beyond the Western Front", Edited by Ian F. W. Beckett, (Brill: Koninklijke, 2009), P. 152.

يغزون الاراضي العراقية، كانت الكوليرا تضرب بغداد، حيث سُجلت هناك 50 اصابة و15 حالة وفاة في كانون الثاني 1915[1].

وبالاضافة الى الكوليرا، كانت حمى التيفوئيد منتشرة في ربيع وصيف عام 1916 في مناطق عراقية عديدة، بضمنها بغداد وماجاورها[2]. ولم تُستثن ميادين القتال من العدوى الوبائية للتيفوئيد، التي لم تدخر حياة حتى كبار قادة الجيش العثماني. وكان من بين هؤلاء المارشال الالماني ذائع الصيت فون دير غولتز، قائد الجيش العثماني السادس في العراق، الذي فرض حصارا محكما على الحامية البريطانية في الكوت في عام 1916. وبالرغم مما أشيع آنذاك من ان غولتز قد اغتاله بعض الاتراك المستائين من الاملاءات الالمانية على الامبراطورية العثمانية، الا ان اعلانا رسميا اوضح بجلاء ان سبب وفاته في بغداد يوم 19 نيسان 1916 كان اصابته بحمى التيفوئيد[3].

وهاجمت الكوليرا على نحو متزامن بغداد ومناطق عراقية اخرى في عام 1916. وطبقا لدراسة بعنوان أوبئة الحملات الشرقية، اعدها المقدم في الجيش البريطاني جي. أس. بوكانن، والصادرة في 7 كانون الاول 1917، فقد انتشرت

1 (B. M. J), Vol. 1, No. 2838, May 22, 1915, P. 899.

2 (P. H. R), Vol. 31, Nos. 18 & 33, May 5 & August 18, 1916, PP. 1145, 2230.

3 For a brief biography of von der Goltz, and the circumstances of his death, see: Francis W. Halsey, The Literary Digest History of the World War, Vol. 8: August 1, 1914-October,1918, (New York and London: Funk & Wagnalls Company, 1919), PP. 152-153; "The New International Year Book", Edited by Frank Moore Colby, (New York: Dodd, Mead and Company, 1917), P. 284; "The Encyclopedia of World War 1: A Political, Social, and Military History", Edited by Spencer C. Tucker, Vol. 2, (California: 2005), P. 492; Wilfred Nunn, Tigris Gunboats: The Forgotten War in Iraq 1914-1917, New Edition, (London: Chatham Publishing, 2007), P. 225.

الكوليرا في بغداد وما جاورها بالاضافة الى البصرة في بداية نيسان 1916[1]. ومع ان ظروف الحرب جعلت مسالة الحصول على معلومات تفصيلية بشأن تفشيات الكوليرا في الولايات العثمانية امرا ليس هينا، الا ان بعض المصادر الامريكية قدمت تقاريرا تتضمن معلومات ملفتة للنظر عن هذه التفشيات[2]. استنادا لهذه التقارير، لم يكن العراق المكان الوحيد الذي غزته الكوليرا في الشرق الاوسط. فقد كان الوباء سائدا في تلك المدة في استانبول، وازمير، ودمشق، وحلب، ويافا، وادنه، بالاضافة الى بغداد[3]. وقد سُجلت في بغداد وما جاورها 96 اصابة و29 وفاة في المدة من 1 مايس الى 5 تموز 1916[4]. كما اندلعت الكوليرا على نحو متقطع ومحدود في بغداد في المدة من 12 تموز ولغاية 30 تشرين الثاني 1916. وتم الابلاغ آنذاك عن 48 اصابة و14 وفاة[5]. وكان المعدل اليومي للاصابات والوفيات منخفضا بشكل عام مقارنة بموجات سابقة اكتسح فيها الوباء العراق قبل هذا التأريخ. فقد كان معدل الاصابات حالة اصابة واحدة يوميا، اما المعدل اليومي للوفيات فقد كان اقل من واحد (انظر: جدول-26).

1 G.S. Buchanan, Epidemics of the Eastern Campaigns, in "Proceedings of the Royal Society of Medicine", Vol. 11, (London: Longmans, Green & Co., Paternoster Row, 1918), PP. 13-14.

2 See also: Low, The Progress and Diffusion of Plague, Cholera and Yellow Fever throughout the World, 1914-1917, P. 245.

3 (P. H. R), Vol. 31, No. 36, September 8, 1916, P. 2457.

4 (P. H. R), Vol. 31, Nos. 34 & 41, August 25 & October 13, 1916, PP. 2291, 2893.

5 (P. H. R), Vol. 31, Nos. 47, 48, 52, for the days November 24, December 1 & 29, 1916, respectively, PP. 3271, 3330, 3539; Vol. 32, No. 7, February 16, 1917, P. 309.

جدول-26 (اصابات ووفيات الكوليرا في بغداد للمدة من 1 مايس الى 30 تشرين الثاني 1916)[1]

التأريخ	الاصابات	الوفيات	المعدل اليومي للاصابات	المعدل اليومي للوفيات
1 مايس – 5 تموز	96	29	واحد	اقل من واحد
12 تموز – 7 ايلول	13	2	اقل من واحد	اقل من واحد
8 – 12 ايلول	9	4	2	واحد
15 – 24 ايلول	9	2	واحد	اقل من واحد
6 – 30 تشرين الثاني	17	6	اقل من واحد	اقل من واحد
المجموع الكلي	144	43		

1 Table data are derived from: (P. H. R),, Vol. 31, Nos. 34, 36, 41, 47, 48, 52, for the days August 25, September 8, October 13, November 24, December 1, & 29, 1916 respectively, PP. 2291, 2457, 2893, 3271, 3330, 3539; Vol. 32, No. 7, February 16, 1917, P. 309.

وبالاضافة الى ولاية بغداد، انتشرت الكوليرا في الموصل وضواحيها قبل الاحتلال البريطاني. فلقد ظهر الوباء في الموصل في عام 1917، حيث تم الاخطار عن 472 اصابة و97 حالة وفاة[1].

لقد عانت القوات البريطانية الغازية من الكوليرا كثيرا اثناء زحفها من الجنوب الى الشمال. فمثلا، لم يكن بمقدور الكتيبة البريطانية الاولى من فوج هامبشير الرابع ان تحشد سوى 16 ضابطا و289 جنديا لاتقين صحيا[2]. وقد سُجلت في المدة بين نيسان وحزيران 1916، نحو 1700 اصابة بالكوليرا بين القطعات البريطانية. ويمكن ان يُعزى انتشار الكوليرا الى التأخير في التطعيم المنظم للقطعات[3]، ونقص النظافة بين بعض الجنود البريطانيين الذين كانوا يشربون الماء الملوث بجرثومة الكوليرا[4].

وقد واصلت الكوليرا هجماتها الواهنة بعد احتلال البريطانيين بقيادة الجنرال ستانلي مود لبغداد في 11 آذار 1917. وكان للكوليرا دور دراماتيكي في نهاية العراق العثماني المتأخر. فالجنرال مود، الذي هزم العثمانيين في ساحات الوغى، قد هزمته الكوليرا وقضى نحبه في بغداد يوم 17 تشرين الثاني 1917[5].

---

1 Low, The Progress and Diffusion of Plague, Cholera and Yellow Fever throughout the World, 1914-1917, P. 246.

2 Roy, P. 152.

3 Buchanan, PP. 13, 15.

4 (B. M. J), Vol. 2, No. 2950, July 14, 1917, P. 35.

5 (B. M. J), Vol.1, No. 2977, January 19, 1918, P. 95; Nunn, P. 279; Halsey, P. 202.

(ثالثا)ـ تفشيات الجدري في السنوات 1854ـ1915:

يُصنّف الجدري على انه مرض معدي على نحوعام ويتميز بالحمى واندفاع البثور. وينجم المرض في العادة عن عدوى تنتقل من شخص مصاب بالجدري ولديه بثور في الجلد الى شخص آخر سليم. ويمكن للعدوى ان تنتقل ايضا من خلال الهواء. لقد كان الداء سائدا على نطاق واسع في اوربا في العصور الوسطى ولغاية الازمنة الحديثة. وقد ادخلت السلطات الصحية الاوربية برنامج التطعيم ضد الجدري في اواخر القرن التاسع عشر. ولهذا السبب، فأن مكانة الجدري كمرض قاتل قد تضائلت في الغرب[1]، بينما بقيت مكانته بارزة في قائمة الاوبئة التي كانت تفتك بالناس بشدة في الاقطار المتخلفة، مثل ممتلكات الامبراطورية العثمانية السابقة، وبضمنها العراق.

وبسبب تناقص الدور القاتل للجدري في اوربا، لم تعد القنصليات الاجنبية في بغداد تهتم كثيرا بالوباء، واصبحت معلوماتها التي تبلغ عن تفشياته ناقصة، مقارنة بما كانت تعمله القنصليات ذاتها مع امراض وبائية قاتلة اخرى. وفي ضوء النقص في البيانات والاحصائيات والتقارير الارشيفية الامريكية والبريطانية، فانه لايمكن تتبع تفشيات الجدري في العراق بدقة والتحقيق فيها بسهولة على غرار ما فعلنا سابقا مع الطاعون والكوليرا.

على اي حال، أن الدور المميز للجدري في تأريخ العراق الوبائي قد تواصل لغاية اواخر العهد العثماني، ولاسيما قبل مرحلة ادخال التطعيم[2]. لقد

1 Karl Liebermeister, Infectious Diseases, Part 2: Measles, Scarlet, Fever, Small-pox, Varicella, Rubella, Diphtheria, Translated from German by E. P. Hurd, (Detroit: George S. Davis, 1888), PP. 183-184.

2 Hirsch, Vol. 1, P. 131.

شهد العراق اندلاعات للجدري متباينة في قوتها واثرها التدميري خلال السنوات 1854، و1857، و1858، و1860. وقد وصُف الجدري في عام 1870، بأنه زائر منتظم للعراق ازهق ارواح اعداد كبيرة من الناس. وقد ذُكر بأن الجدري ضرب بغداد مرارا في عام 1875. ونتيجة لحدوثه المتكرر، عد احد علماء الاوبئة الجدري وباءا متوطنا في العراق[1].

وقد رصدت بعض التقارير الامريكية تفشيا للجدري في اماكن متفرقة من العراق، وخصوصا مناطق اعالي دجلة، ذهب ضحيته العديد من الوفيات في الفترة من ربيع عام 1893 ولغاية نهاية شتاء عام 1894. وكان الوباء قد بلغ ذروة هجومه في المدة بين آذار وتموز من عام 1893، قاتلا قرابة 39 شخصا. وقد تراجع المرض في الخريف على نحو ملحوظ. وخمّن تقرير صحي امريكي صادر في آب 1894، بأن الوفيات من الجدري في العراق خلال السنة المالية المنتهية في 28 شباط 1894، كانت 47 شخصا (انظر: جدول-27).

جدول-27 (وفيات الجدري خلال السنة المالية المنتهية في 28 شباط 1894)[2]

الشهر	عدد الوفيات
آذار 1893	12
نيسان	8
مايس	6

1 Davidson, Geographical Pathology, P. 280; Evatt, P. 197

2 Table data are derived from: (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 33, August 17, 1894, P. 661; (W. A. S. R), Vol. 9, No. 6, February 9, 1894, P. 80; (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 20, May 18, 1894, P. 315.

الشهر	عدد الوفيات
حزيران	4
تموز	9
آب	1
ايلول	-
تشرين الاول	-
تشرين الثاني	-
كانون الاول	4
كانون الثاني	2
شباط 1894	1
العدد الكلي	47

علاوة على ذلك، ظهر المرض في بغداد في عام 1898. وطبقا لمذكرة ارسلها المفتش الصحي لبغداد بتاريخ 2 كانون الاول 1898، الى وكيل القنصل الامريكي، رودولف هرنر، فأن الجدري كان سائدا في بغداد من 22 تشرين الاول ولغاية 27 تشرين الثاني، حيث أُصيب 96 شخصا بالمرض، تماثل 66 منهم للشفاء التام، وتوفي 20 آخرين، فيما بقي عشرة آخرين تحت العلاج. ومن الجدير بالذكر، انه كانت لدى وكيل القنصل الامريكي شكوك بشأن الارقام التي قدمها له المفتش الصحي لبغداد عن اصابات الجدري. على اي حال، فأنه

استنادا للارقام المأخوذة من الاهالي، قدّر هرنر، لكن فيما يبدو على نحو مبالغ فيه كثيرا، حالات الاصابة بالجدري اثناء المدة المذكورة بما يربو على 10.000 حالة[1]. وفي السنة التالية، اعلن المفوض الصحي الامريكي في استانبول، في تقريره المؤرخ في 2 مايس 1899، ان الجدري قد ظهر في خانقين على الحدود العراقية-الايرانية[2].

على مستوى الصحة العامة في العراق العثماني، يمكن اعتبار سنة 1906 بمثابة سنة استثنائية، لان البلد كان آنذاك خاليا نسبيا من الاندلاعات التقليدية للاوبئة. لكن لسوء الحظ، لم تستمر هذه الهدنة الوبائية طويلا، اذ حفلت السنة التالية بهجمات وبائية متنوعة في العراق، والتي كان الجدري من ابرزها. من الناحية الزمنية، كانت موجة الجدري في ربيع عام 1907، التي تواصلت بشكل متقطع لغاية صيف عام 1910، الاطول في تأريخ العراق الحديث. وقبل انفجاره في العراق، كان الجدري منتشرا في مناطق عديدة من الشرق الاوسط. فمثلا، غزا الوباء خلال اشهر تشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الاول من عام 1906 ستة عشر منطقة ايرانية، بضمنها طهران وماجاورها. كما كان الداء سائدا كذلك في استانبول، وبيروت، ودمشق خلال الاشهر الاولى من عام 1907[3]. وفي الواقع ان تحقيقا موضوعيا عن موجة الجدري في العراق في عام 1907، يتطلب تحريا لظهور الوباء وتطوره من الناحية الزمنية. فمن الواضح ان الظهور الاستهلالي للمرض قد كان في البصرة بتأريخ 10 آذار 1907[4]. اما في

1 (P. H. R), Vol. 14, No. 5, February 3, 1899, P. 175.
2 (P. H. R), Vol. 14, No. 20, May 19, 1899, P. 748.
3 (P. H. R), Vol. 22, Nos. 4, 15, 17, January 25, April 12, April 26, 1907 respectively, PP. 88, 455, 536.
4 (P. H. R), Vol. 22, Nos. 18 & 22, May 3 & 31, 1907, PP. 579, 743.

بغداد، فقد انتشر الجدري في 19 مايس، ثم تصاعدت حدته في الاشهر التالية. وبدأ الوباء يخفت منذ 24 آب لغاية ان توقف في 24 ايلول[1]. ولم يستأنف الجدري هجومه ثانية ضد البصرة لغاية كانون الثاني 1909، حيث تم الابلاغ حينذاك عن حالات اصابة جديدة[2]. وقد توقف الجدري في البصرة في حزيران 1909، لكنه استأنف نشاطه في بغداد[3]، حيث لوحظت حالات جديدة للجدري في بداية عام 1910[4]. وقد سجلت تقارير الصحة الامريكية الاصابات الاخيرة للجدري في بغداد بتأريخ 26 شباط 1910[5]. ومنذ ذلك الحين لم تتضمن تلك التقارير اية حالات جديدة للجدري. ويبدو ان المرض كان قد انحسر تماما عن بغداد والمناطق المجاورة. وفي غضون تلك المدة، جدد الجدري هجماته ضد البصرة في نيسان من عام 1910[6]، ولم يتوقف لغاية منتصف آب، حينما تم الاعلان عن الاصابات الاخيرة للوباء[7].

وبينما لاتتوفر ارقام بشأن اصابات ووفيات الجدري في البصرة، فأن جهدا بحثيا استثنائيا، مستندا على ملاحظة وتصنيف حزمة واسعة ومتنوعة من التقارير الصحية الامريكية التي تتضمن احصائيات واشارات تتعلق بتفشي الجدري في بغداد، قد اثمر في اعداد جدول يتضمن تقديرات نسبية لاصابات ووفيات

1 (P. H. R), Vol. 22, Nos. 44 & 52, November 1 & December 27, 1907, PP. 1588, 1935.
2 (P. H. R), Vol. 24, No. 10, Mach 5, 1909, P. 292.
3 (P. H. R), Vol. 24, No. 53, December 31, 1909, P. 2008.
4 (P. H. R), Vol. 25, No. 10, March 11, 1910, P. 306.
5 (P. H. R), Vol. 25, No. 24, June 17, 1910, P. 872.
6 (P. H. R), Vol. 25, No. 23, June 10, 1910, P. 813.
7 (P. H. R), Vol. 25, No. 38, September 23, 1910, P. 1342

الجدري في مدينة بغداد للمـدة مـن تـشرين الاول 1907 ولغايـة مـايس 1909 (انظر: جدول-28).

جدول- 28 (احصائية اسبوعية وشهرية عن اصابات ووفيات الجدري في بغداد من تشرين الاول 1907 ولغاية مايس 1909)[1]

الوفيات	الاصابات	التأريخ	المنطقة
40	165	16-30 تشرين الثاني 1907	بغداد
10	60	لغاية 28 كانون الاول 1907	بغداد
24	126	لغاية 18 كانون الثاني 1908	بغداد
59	260	لغاية 29 شباط 1908	بغداد
19	119	لغاية 21 آذار 1908	بغداد
13	153	لغاية 25 نيسان 1908	بغداد
7	58	لغاية 6 حزيران 1908	بغداد
25	138	لغاية 21 حزيران 1908	بغداد
107	483	لغاية 18 تموز 1908	بغداد

1 Table data are derived and concluded from: (P. H. R), Vol. 23, Nos. 3, 7, 11, 14, 15, 17, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 29, 32, 34, 35, 36, 38, 39, 42, for the days: January 3, 17, February 14, March 13, April 3, 10, 24, May 15, 22, 29, June 5, 12, 19, 26, July 17, August 7, 21, 28, September 4, 18, 25, October 16, 1908 respectively, PP. 78, 198, 333, 437, 472, 550, 671, 715, 768, 807, 852, 900, 945, 1046, 1155, 1221, 1253, 1283, 1360, 1405, 1524; Vol. 24, No.23, June 4, 1909, P. 800.

المنطقة	التأريخ	الاصابات	الوفيات
بغداد	لغاية 15 آب 1908	287	103
بغداد	لغاية 5 ايلول	183	67
بغداد	6 تشرين الثاني 1908 – 12 مايس 1909	17	7
العدد الكلي		2049	481

طبقا للجدول اعلاه، كان التفشي الوبائي للجدري في بغداد في المدة من 16 الى 30 تشرين الثاني 1907 عنيفا بشكل ملفت للنظر. فقد سُجلت آنذاك، 165 اصابة و40 حالة وفاة في غضون اسبوعين. وقد تضائل الوباء بشكل ملحوظ في نهاية تلك السنة، لكنه استأنف هجومه العاصف في بداية عام 1908. وأحصيت خلال المدة من كانون الثاني ولغاية نيسان 1908 نحو 658 اصابة و115 حالة وفاة. وبلغت الهجمة الوبائية للجدري ذروتها في بغداد في حزيران 1908، وبدأت ارقام الاصابات والخسائر بالارواح تتصاعد تدريجيا منذ ذلك التاريخ. وفي الواقع، ان المرحلة الاكثر فتكا للوباء قد حدثت في المدة الواقعة بين الاسبوع الاول من حزيران و5 ايلول 1908، اذ بلغت الاصابات لغاية ذلك التأريخ 1149 اصابة، والخسائر بالارواح نحو 309 حالة وفاة. ولم تبدأ هذه الموجة الوبائية الكبيرة للجدري بالانحسار تدريجيا عن بغداد الا في النصف الاول من عام 1909، ثم توقفت كليا في عام 1910. وطبقا لتقارير صحية امريكية، فأن التفشي الاخير للجدري في العراق قد حدث في بغداد في

المدة بين 30 نيسان و8 مايس 1915. وكان هذا التفشي، على ما يبدو، خفيفا، ولذلك لم يتم الابلاغ سوى عن حالات اصابة قليلة بالوباء[1].

على اي حال، اثرت العواقب المدمرة للاوبئة، ولاسيما عصبة القتلة الثلاثة، الطاعون والكوليرا والجدري، بعمق في حياة الناس بالعراق طوال الفترات العثمانية المتأخرة. ومما لاينكر ان تدابيرا عديدة كانت قد اتخذتها السلطات العثمانية المركزية في استانبول والمحلية في الولايات العثمانية الثلاث، بغداد والموصل والبصرة، من اجل تفادي كوارث الموجات الوبائية المتلاحقة. لكن من المؤكد ان الادارة العثمانية في العراق لم تعطي اهتماما كافيا للحد من تواتر الاوبئة وكبح جماحها. ففي ذلك الوقت، اظهر العديد من السياسيين والمسؤولين الحكومين رغبة اقل في تبني اجراءات وقائية جذرية وبرامج متطورة بعيدة المدى لاستئصال الاوبئة على نحو شامل. علاوة على ذلك، فان الجهل والتخلف وانعدام المسؤولية كانت عناصر اساسية اعاقت تنفيذ بعض تلك الاجراءات وقللت كثيرا من فاعليتها الايجابية في السيطرة على الامراض المعدية في العراق العثماني.

1 (P. H. R), Vol. 30, Nos. 28 & 29, July 9 & 16, 1915, PP. 2083, 2136.

الفصل الثالث

جهود السيطرة على الأوبئة في العراق في العهد العثماني المتأخر

الفصل الثالث
جهود السيطرة على الأوبئة في العراق
في العهد العثماني المتأخر

الرقابة الصحية في المناطق الحدودية والداخلية

لقد دخلت معظم الاوبئة التي اكتسحت العراق اثناء الفترات العثمانية المتأخرة من خلال منافذ حدوده الدولية. فقد جُلبت عدوى الطاعون في السنوات 1900، و1901، و1902، و1903، و1907، و1910، و1911، و1913 و1914، من ايران واقطار اخرى من خلال معابر الحدود في السليمانية والبصرة[1]. وقد شهد العراق العثماني في المدة بين 1851 و1899، ثلاثة عشر اندلاعا وبائيا للكوليرا. وقد تم توريد عدوى هذه الاندلاعات من ايران ومكة والهند. وبينما تخللت ثمانية من هذه العدوى الوبائية الى العراق عن طريق البصرة، فأن الخمسة المتبقية اجتازت الحدود العراقية-الايرانية عبر منفذ خانقين (انظر: جدول-29).

1 (P. H. R), Vol. 15, Nos. 16 & 18, for the days: April 20 and May 4, 1900, PP. 925, 1100; (P. H. R), Vol. 18, No. 23, June 5, 1903, P. 889; "A.N.A", Roll 2, Vol:2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 165, dated May 2, 1901, Subject: Plague, Serial number: 96-97; (P. H. R), Vol. 22, No. 29, July 19, 1907, P. 101; (P. H. R), Vol. 25, No. 18, May 6, 1910, P. 610; (P. H. R), Vol. 26, No. 26, June 30, 1911, P. 1048; (P. H. R), Vol. 28, Nos. 26 & 34, for the days: June 27 and August 22, 1913, PP. 1374, 1376; (P. H. R), Vol. 29, No. 25, June 19, 1914, P. 1647.

جدول-29 (معابر الكوليرا الى العراق 1851-1899)[1]

السنة	مصدر الوباء	مكان عبور الوباء
1851	الهند	البصرة
1855	مكة	البصرة
1856	ايران	خانقين
1857	ايران	خانقين
1858	مكة	البصرة
1861	ايران	خانقين
1866-1865	مكة	البصرة
1869	ايران	خانقين
1870	ايران	خانقين
1872-1871	ايران	البصرة
1889	الهند	البصرة
1893	ايران	البصرة
1899	الهند	البصرة

1 Table data is derived from: Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 59-60, 64; (B. M. J), Vol.1, No. 1531, May 3, 1890, P. 1031; "Report a la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", P. 19; Bryden, P. 37; "A Reference Handbook of the Medical Sciences", Vol. 8, P. 354; Proust, P. 139; Barry, PP. 267-268; Clemow, P. 224.

ولكون البصرة تـوفر، بحكـم موقعهـا الجغـرافي، مـدخلا ملائمـا للاوبئـة القادمة من الهند وايران والجزيرة العربية، فقد أُعطيت مسألة تعزيز دفاعاتها ضد الامراض المعديـة اولويـة في الـسياسة الـصحية العثمانيـة في العـراق[1]. وعُـدت البصرة ايضا برأي المراقبين الصحيين الغربيين ممرا للاوبئة القادمة من الـشرق الى القارة الاوربية. لهـذا، فانـه كلمـا انـدلع وبـاء فيهـا، كانـت اسـتجابة المفوضـين الصحيين الدولين في استانبول فورية. فمثلا، عندما حـصلت اصـابة طـاعون في البصرة يـوم 10 نيـسان 1898، سـارع العـضو الامريكـي في اللجنـة الـصحية الدولية باستانبول الى الاعلان بان هذا الحدث قد يقود الى وباء عالمي[2].

على اي حال، فانه فور اندلاع وباء في بلد لديه علاقـات تجاريـة او دينيـة مع العراق، كانت السلطات الصحية العثمانية تبادر الى تطبيـق اجـراءات وقائيـة مـشددة في المعـابر الحدوديـة. فعنـدما ضـرب الطـاعون الهنـد في عـام 1897، اصدرت دائرة صـحة بغـداد تعليمـات في 10 شـباط مـن العـام المـذكور، منـع بموجبها الجثث والمسافرين القادمين مـن الهنـد وبلوشـستان وايـران مـن دخـول العراق من خلال المنافذ الحدودية في البصرة وخـانقين[3]. واُتخـذت تـدابير مماثلـة بعدما اندلع طاعون خفيف في بعض القرى الحدوديـة للـسليمانية في ربيـع عـام 1900. فقد أُغلقت آنذاك كل المعابر الواقعة على الحدود العراقية-الايرانية بـين راوندوز وزرباطية، كما مُنـع المـسافرين القـادمين مـن ايـران، بـضمنهم الـزوار الشيعة، من دخول العراق[4].

---

1 (P. H. R), Vol. 12, No. 11, March 12, 1897, P. 261.

2 (P. H. R), Vol. 13, No. 18, May 6, 1898, P. 463.

3 (P. H. R), Vol. 12, No. 15, April 9, 1897, P. 366.

4 "A.N.A", Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Dispatch No. 145, dated April 26, 1900, Subject: Disease, Serial number: 29-31.

لقد اشرفت دائرة صحة بغداد على المكاتب الصحية التي تسجل وتراقب حركة الزوار والجثث في المعابر الحدودية وفي المناطق الداخلية. وكان على كل القادمين من ايران والهند واماكن اخرى ان يخضعوا لرقابة صحية صارمة. ووفقا لذلك، ضمنت -وبقدر ما- الدوائر الصحية في السماوة، والعمارة، وكربلاء، والنجف، والمسيب، والكاظمية، وكركوك والموصل ان يكون هناك التزاما مستمرا بالنظم الصحية، لاسيما في المسائل ذات الصلة بعبور الزوار ونقل الجثث من ايران ومناطق اخرى[1].

وبالرغم من ان الرقابة الصحية قد طُبقت بحزم في المعابر الحدودية، الا ان انتهاكات لقواعدها ونظمها قد حدثت بين الفينة والآخرى. فعلى سبيل المثال، حاول بعض الزوار الايرانيين تفادي اجراءات الحجر الصحي في البصرة في شباط عام 1898. لقد هبط هؤلاء في المحمرة بايران، ومن هناك تسللوا بطريقة غير قانونية الى الاراضي العراقية. وفي الوقت نفسه، فان المرء يمكنه رصد العديد من أوجه القصور في عمليات الرقابة الصحية في المعابر الحدودية. فمثلا، كان ادخال الجثث الى العراق من خلال معبر البصرة الحدودي ينتهك اللوائح الصحية من حين لآخر. ففي هذا الصدد، ذُكر ان العديد من الاجانب تمكنوا من الحصول على تحويلات واذونات غير قانونية لجلب جثث اقربائهم الى الاراضي العراقية[2]. لقد اسهمت مثل هذه العيوب والتقصيرات في عدم احكام نظام الرقابة الصحي الحدودي، وفي ضعف قدرته في منع الاوبئة من دخول العراق من الخارج اثناء العهد العثماني المتأخر.

---

1 Chiha, P. 182.

2 (P. H. R), Vol. 13, No.7, February 18, 1898, P. 159; Vol. 14, No. 10, March 10, 1899, P. 333.

إقامة المحاجر والنطاقات الصحية

لم يكن الحجر الصحي، كنظام وقائي اوربي معتمد ضد الهجمات الوبائية، معروفا في الامبراطورية العثمانية لغاية 23 محرم 1254 هجرية (الموافق 18 نيسان 1838). ففي هذا اليوم اصدر السطان العثماني محمود الثاني (1785-1839) فرمانا (مرسوم) يأمر بتطبيق اجراءات الحجر الصحي[1]. وصدرت النظم العثمانية للحجر الصحي، المعروفة باسم 'الاحكام الاساسية للسفن القادمة الى القسطنطينية (استانبول) والموانئ الاخرى للامبراطورية العثمانية'، في 27 مايس 1840. وطبقا لاحدى هذه الاحكام، فأن السفن المحملة بمواد سريعة التأثر، يجب ان تدخل حجرا صحيا[2]. واوصى حكم آخر السلطات الصحية بان تُخضع لاجراءات الحجر كل المسافرين الذين لديهم وضع صحي مريب[3].

اما في العراق، فقد طُبق نظام الحجر الصحي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد تم تنظيم مؤسساته اثناء عهد الوالي مدحت باشا (1869-1872). ففي ذلك الوقت، اشرفت ادارة المحجر الصحي لبغداد على كافة المحاجر الموزعة في المناطق الداخلية، مثل النجف وكربلاء، وكذلك محاجر المعابر الحدودية. لقد اشتملت ادارة المحجر الصحي لبغداد في المدة بين 1875 و1885، على الموظفين الآتين: مدير، الذي كان طبيبا، مفتش، محاسب، وموظفين اثنين، واحيانا ثلاثة. واشرفت كافة محطات الحجر الصحي التي أُقيمت

---

1 Z. I. Loutfi, La Politique Sanitaire Internationale, (Paris: Arthur Rousseau, 1906), P. 8.

2 See: Article 6, Para. (a), in " The Laws Relating to Quarantine of Her Majesty's at Home and Aboard and of the Principal Foreign States", Edited by Sherston Baker, (London: C. Kegan Paul & Co., 1879), P. 496.

3 See: Article 20, Para. (A), Ibid. P. 503.

بشكل دائم في المعابر الحدودية على دخول الرعايا الاجانب الذين يزورون العراق، وتولت ايضا فحص الجثث الداخلة الى البلاد لتتحقق من انها لم تكن مصابة سابقا بالطاعون او الكوليرا[1]. وكان لدى ولاية بغداد في عام 1913، تسعة محاجر صحية موزعة على المدن المقدسة ومنافذ الدخول ومناطق اخرى (انظر: جدول-30).

جدول-30 (ملاك ادارات الحجر الصحي والتطعيم في ولاية بغداد في عام 1913)[2]

موقع الادارة	طبيب	موظف حجر	حارس حجر	موظف تطعيم	كاتب	مساعدون آخرون
بغداد المركز	-	-	-	2	-	-
الكاظمية	-	1	4	-	-	-
سامراء	-	1	-	-	-	-
مندلي	-	1	3	-	-	-
خانقين	1	-	12	-	3	3
زرباطية	-	1	3	-	-	-
كربلاء	-	1	2	1	-	-

1 النجار، ص ص 444-445

2 بيانات الجدول مستمدة من: 'سالنامة ولاية بغداد' دفعة 22: 1913، ص ص93، 107، 109، 111، 113، 114، 125، 135، 136، 137، 141، 332، 333.

موقع الادارة	طبيب	موظف حجر	حارس حجر	موظف تطعيم	كاتب	مساعدون آخرون
المسيب	-	1	3	-	-	-
النجف	-	1	6	-	-	-
العدد الكلي	1	7	33	3	3	3

وكان في البصرة في عام 1899 ادارة للمحجر الصحي (كرنتينه اداره سي). لقد اشتملت هذه الادارة على الموظفين الآتين: طبيب، مساعد طبيب، موظف صحي، رئيس كتاب (الذي كانت لديه مهارات تحدث باللغات الاجنبية)، مساعدين اثنين لرئيس الكتاب، خمسة حراس حجر صحي، واربعة رجال مراكب[1]. اما في ولاية الموصل، فقد تم تأسيس دائرتين للحجر الصحي في المناطق الحدودية في عام 1890؛ الاولى، في راوندوز، واشتملت على: طبيب، كاتب، وحراس اثنين[2]؛ اما الثانية، فقد تموقعت في السليمانية، وكانت تُدار من قبل مدير واحد[3]. لقد كان لهذه المحاجر الصحية، في الواقع، دور مؤثر في برامج السلطات العثمانية الوقائية لمجابهة الاوبئة في العراق.

وفيما عدا محطات الحجر الدائمة القائمة في المعابر الحدودية، او في بعض المدن والبلدات، فأن النمط الآخر للمحاجر اشتمل على تلك التي كانت تُؤسس مؤقتا، اما قبل او احيانا بعد الاندلاعات الوبائية. هنا نحن نعرض بعض النماذج لاجراءات حجر صحي أُتخذت لمواجهة هجمات وبائية محتملة. فقد، أُقيم حجر

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", P. 81.
2 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", p. 257.
3 Ibid, P. 261.

صحي في البصرة في ايلول 1867 بعدما اندلعت الكوليرا في مدينة ايرانية تقع بالقرب من بحر قزوين[1]. وعندما انفجر الطاعون في بعض القرى الايرانية القريبة من الحدود العراقية في عام 1871، فُرض حجرصحي في السليمانية[2]. وحالما ضرب الطاعون بعض قرى الفرات الاوسط في عام 1876، امر والي البصرة، ناصر باشا، بحجر صحي لكل الناس القادمين من بغداد[3]. وعندما اجتاح الطاعون الهند في عام 1896، تم اخضاع المسافرين الهنود الواصلين الى البصرة لاجراءات حجر صحي صارمة[4]. وفي غضون تلك المدة، فأن كل السفن التي كانت تصل البصرة من مسقط والبحرين والمحمرة قد أُخضعت لحجر صحي أمده عشرة ايام[5]. وأعتمدت التدابير ذاتها عندما ضرب الطاعون بومبي بعنف في عام 1897. لقد امرت ادارة الصحة العثمانية في العراق آنذاك بتأسيس محطة حجر صحي في الفاو على رأس الخليج العربي[6]. علاوة على ذلك، تم اخضاع كل السفن القادمة الى البصرة لحجر صحي امده عشرة ايام[7]. وبعد ان تفشى الطاعون في بعض المناطق الحدودية الايرانية المحاذية لشمالي العراق، اصدرت دائرة صحة بغداد منشورا في نيسان 1900، الزم المسافرين الايرانيين بالخضوع لحجر صحي نظامي[8]. وتم ايضا فرض حجر صحي أمده عشرة ايام على كل المنتجات المصدرة من الاراضي الايرانية الى المناطق الحدودية العراقية المتاخمة

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 64.
2 Ibid, P. 54.
3 (B. M. J), Vol. 1, No. 797, April 8, 1876, P. 452.
4 (P. H. R), Vol. 11, No. 48, November 27, 1896, P. 1110.
5 (P. H. R), Vol. 12, No. 6, February 5, 1897, P. 143.
6 (P. H. R), Vol. 12, No. 20, May 14, 1897, P. 480.
7 (P. H. R), Vol. 13, No. 4, January 28, 1898, P. 84.
8 "A.N.A", Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 145, dated April 26, 1900, Subject: Disease, Serial number: 29-31.

الواقعة بين راوندوز وزرباطية. وقد بقي هذا الحجر ساريا لنحو ثلاثة اشهر وأُلغي في 22 تموز[1]. وعندما انتشرت الكوليرا في ايران في عام 1904، أُتخذت اجراءات حجر مماثلة في العراق. لقد فرضت السلطات العثمانية في بغداد آنذاك حجرا صحيا أمده خمسة ايام على خانقين، وشمل كل القادمين من كرمنشاه في ايران[2].

وبسبب نقص المؤسسات الصحية العثمانية وطبيعة التفشيات الوبائية، كان يتم احيانا تنصيب او تحريك المحاجر الصحية على نحو عاجل. فمثلا، خلال الهجمة الوبائية للطاعون في 1880-1881، أقيمت العديد من المحاجر الصحية بشكل نظامي، فيما جري اقامة اخريات على جناح السرعة باستخدام الخيام او الحصير[3]. وبعدما سادت الكوليرا في العراق على نطاق واسع في عام 1889 وغطت معظم ارجاء البلاد، تعززت جهود الدوائر الصحية من خلال اقامة ما يمكن تسميته بـ"محاجر صحية متنقلة". لقد كان بالامكان تحريك مثل هذا النوع من المحاجر بسهولة من مكان لآخر في محاولة لتعقب الاوبئة ووقف انتشارها. ان واحدة من محطات الحجر هذه قد تم تأسيسها في الكوت. لقد ضمت هذه المحطة اثناء تفشي الكوليرا لعام 1889 نحو 800 نزيل[4]. وبسبب نقص المحاجر، أقيمت على نحو عاجل احيانا مستشفيات مؤقتة. وقد تم تأسيس اثنتين من هذا النوع من المستشفيات في بغداد بعدما ضربها طاعون خفيف في عام 1901. وكان على

---

1 "A.N.A", Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 153, dated July 26, 1900, Subject: Disease, Serial number: 53-55.

2 (B. M. J), Vol. 1, No. 2269, June 25, 1904, P. 1508.

3 (B. M. J), Vol. 1, No. 1058, April 9, 1881, P. 566.

4 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889. P. 374.

المسافرين ان يخضعوا في هذه المستشفيات لحجر أمده خمسة ايام، علاوة على تطهير امتعتهم كيمياويا وتعريضها لاشعة الشمس يوميا[1].

واشتملت اجراءات الحجر الصحي في بداية القرن العشرين على ابادة الفئران، الوكلاء الفاعلين في نقل الطاعون. ففي كانون الثاني 1902، وكذلك في اواخر ايلول 1914، تطلبت اجراءات الحجر الصحي في بغداد لمواجهة الطاعون ان تخضع كل المراكب الذاهبة الى بغداد او البصرة الى تفتيش صحي عند الوصول، والى عملية اجتثاث فئران كذلك. ومما يجدر ذكره بهذا الشأن، ان السلطات الصحية لاستانبول قد تبنت بعد تردد طويل النظرية التي اعتبرت الفئران احد العوامل الفاعلة في نشر عدوى الطاعون[2].

بالاضافة الى المحاجر، تم استخدم نظام النطاقات الصحية على نحو واسع من قبل سلطات الصحة العثمانية في العراق لوقف انتشار الاوبئة. وبخلاف المحاجر التي كانت مؤسسات دائمة اومؤقتة، فأن النطاقات كانت خطوط دفاع صحي تمتد لمسافات بعيدة. تألفت النطاقات احيانا من خليط من الحراس الصحيين والقطعات العسكرية. وهي كانت تشكل في الغالب حاجزا لمنع حركة الناس من بقعة ضربها وباء الى بقعة اخرى. وغالبا ما تم تعزيز هذه النطاقات بمحطات صحية ومحاجر. وكان النطاق الذي تم تأسيسه في عام 1876 لوقف تقدم الطاعون في بعض مناطق العراق انموذجا بارزا لتلك النطاقات. عُد هذا النطاق متعدد الاغراض من الناحية العملية، وقد اشتمل على المناطق الآتية: الكفل، لمنع نقل الجثث من الحلة الى النجف؛ وكفري، لايقاف المسافرين

1 (P. H. R), Vol. 16, No. 24, June 14, 1901, PP. 1350-1351.
2 (P. H. R), Vol. 17, Nos. 3 & 9, January 17 & February 28, 1902, PP. 148, 488; Vol. 29, No. 47, November 20, 1914, P. 3130.

الذاهبين الى كردستان العراق واخضاعهم لنظام حجر صحي؛ وتكريت، لايقاف المسافرين الذاهبين الى الموصل[1]. ويجسد نطاق عام 1881 بجلاء بناء وآلية عمل هذه الانواع من الخطوط الدفاعية الصحية. فعندما تفشى الطاعون في العراق في هذه السنة، هيأ مفتش صحة بغداد الخطط لتأسيس نطاق من القطعات العسكرية حول البقع المصابة. وامتثالا للامر الصادر من الباب العالي في استانبول، وضع عزت باشا، القائد العام للجيش العثماني في بغداد، القطعات في الولاية تحت تصرف السلطات الصحية. ووجهت كذلك دعوات الى اطباء خانقين والبصرة ومناطق عراقية اخرى للذهاب الى الاماكن التي ضربها الطاعون. كما قدم الاطباء العاملين في الجيش العثماني خدماتهم ايضا في هذا المجال. كان هذا النطاق، في الواقع، مقسم الى جزئين: الاول، قام بعزل المنطقة المصابة؛ الثاني رسم خطا حول الجزء الاول وتم ربطه بمحجر صحي وضع في الخلف. وبغية قطع العدوى عن خط بغداد ودجلة، فأن هذه الرقعة الجغرافية الواسعة وضعت تحت رقابة قوات الفرسان، التي اوقفت كل انواع الحركة ذهابا وايابا. وقد تم ممارسة التطهير على قدم وساق في داخل الجزء الاول، كما أحرقت الاسرّة والفرش والملابس والخيم وكذلك المساكن في الاماكن المصابة. وفي غضون تلك المدة، تم نقل سكان القرى التي ضربها الوباء الى اماكن اخرى خالية منه، وقُدمت لهم شتى اشكال المساعدات الحكومية[2].

وكان النطاق الذي أقيم في عام 1889 الاكبر في تأريخ العراق العثماني. ففي تلك السنة اجتاحت موجة كوليرا جميع انحاء البلاد، ولذلك أتخذت تدابير

1 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 294.

2 (B. M. J), Vol. 1, No. 1058, April 9, 1881, P. 566.

استثنائية لاعاقة تقدم الوباء. وبغية فرض عزلة مطلقة على المناطق غير المصابة، فقد تم تأسيس نطاق في 18 آب يقع على مسافة ابعد من المنطقة المنكوبة بالكوليرا. وقد تم مد النطاق فيما بعد الى شمالي وغربي بغداد، ليبدأ من صلاحية (كفري) الى تكريت على دجلة، ومن هناك الى الصقلاوية على الفرات. كما أُقيم نطاق آخر في ميناء الفاو، الى جنوب البصرة، لحماية رأس الخليج العربي. وقد استحث الانتشار السريع للوباء وفشل النطاقات في وقف زحفه السلطات الصحية لمد او تعديل النطاقات القائمة. وانسجاما مع ذلك، تم تحريك المحطة الغربية لنطاق الصد في الصقلاوية الى هيت في اعالي الفرات. كما تم تغيير تصميم خط هذا النطاق ليصبح شبه دائري يبدأ من ديالى، قرب الحدود العراقية-الايرانية، مارا بكفري، وطوز خورماتو، وتكريت، ومنتهيا في هيت. كذلك تم تأسيس نطاق مراقبة الى نقطة ابعد في شمالي العراق، مارا من خلال مناطق السليمانية، والتون كوبري، والزاب الاسفل، ومنتهيا عند دير الزور في الاراضي السورية. وفي ايلول 1889 تم تمديد النطاق على نحو اوسع من اجل ايقاف تقدم الكوليرا نحو الموصل وجنوب شرقي الاناضول. فمن دير الزور في سوريا، اجتاز النطاق خابور، وتل كوكب، وسنجار، وتلعفر، وكلك، وحرير، ومن ثم انتهى عند مجرى الزاب الاعلى[1]. وفي الواقع لم يكن بمقدور كل تلك النطاقات ان توقف تقدم الكوليرا بشكل مُطّرد نحو الشمال، اذ اجتازت كل الدفاعات الصحية، وارغمت الموصل على ان تدفع ثمنا باهظا. وبالرغم من حقيقة عجز النطاقات والمحاجر عن منع كوليرا عام 1889 من غزو ثلاثة ارباع العراق، الا انها -على الاقل- كانت قادرة على ابطاء سرعة التفشي الوبائي[2].

1 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889. PP. 374-377.
2 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 51, December 20, 1889. P. 453.

وتم تأسيس نطاق صحي مهم آخر في العراق في عام 1893 بعدما ضربت الكوليرا العمارة والبصرة. لقد صُمم هذا النطاق لحماية بغداد من اولئك الناس الفارين من الاماكن المصابة بالداء. وتم تمديد النطاق فيما بعد الى زرباطية على الحدود العراقية-الايرانية، مارا ببدره، وجصّان، والكوت، حيث سار من هناك، عن طريق محيرجة، على امتداد الغرّاف، والحي، والشطرة، وانتهى في الناصرية على الفرات. واشتمل النطاق ذاته على ثلاث محطات صحية: في الناصرية، كانت تدار من قبل الدكتور ورتز؛ في الكوت، بادارة الدكتور ايكومونس؛ وفي بدرة، بادارة الدكتور بلاو. بالاضافة الى ذلك، تضمن النطاق فرض حجر صحي أمده خمسة ايام على كل القادمين برا[1]. وعندما فشل النطاق في منع الكوليرا من غزو بغداد، الغت الادارة الصحية المحلية النطاق الواقع عند الغّراف ونصّبت واحدا جديدا لحماية الموصل. لقد كانت بداية النطاق في السليمانية، بينما كانت نهايته في الصقلاوية. كما تم احاطة الحلة وكربلاء ايضا بنطاق عسكري[2].

لم تكن التفشيات الوبائية الداخلية في العراق العثماني الوحيدة التي كانت تحفز السلطات فيه لفرض نطاقات صحية. فقد كان من المعتاد ان تستحث اية تفشيات وبائية، حتى لو كانت محدودة، تندلع في المناطق التركية او الايرانية المجاورة للعراق الادارة الصحية لاتخاذ اجراءات وقائية شتى، ومن بينها فرض النطاقات. فمثلا، عندما انتشرت الكوليرا في ديار بكر في تشرين الثاني من عام 1894، تم تأسيس نطاق لحماية الموصل والعراق الادنى[3]. كما أُقيم نطاق آخر

1 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 28, July 14, 1893. P. 589.
2 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 40, October 6, 1893. P. 975.
3 (W. A. S. R.), Vol. 10, No. 4, January 25, 1895. P. 67.

بعدما اندلع الطاعون في بعض المناطق الايرانية القريبة من الحدود مع العراق في ربيع عام 1900[1].

وبالرغم من كل الجهود والتقدم الذي عمله العثمانيون في هذا المجال، فأن اداء المحاجر والنطاقات تعرض لانتقاد شديد. فمثلا، عندما كان الجراح البريطاني كولفيل في طريقه الى العراق في خريف عام 1870، امضى عشرة ايام في منفذ خانقين، الحدودي العراقي مع ايران. لقد انتقد كولفيل عمل المنفذ، مشيرا بأنه لم يكن يحوي سجلا تُحفظ فيه اسماء القادمين ولا رعاية تُقدم للمسافرين. اما المحجر، فقد اوضح كولفيل بان الناس كان تميل لاعتباره اضحوكة، لكنه بين ان ذنب ذلك لا يقع على كاهل الموظفين الصحيين العاملين فيه، لانه لم تتوفر لديهم يومذاك الوسائل اللازمة لتحسين عمل المحجر[2]. من جانبه، انتقد الدكتور كابيادس، الذي ارسلته استانبول للتحقيق في اسباب تفشي الطاعون في العراق في عام 1877، اداء النطاقات التي كانت تقيمها دوائر الصحة المحلية. لقد اتهم كابيادس الحراس بالسماح لبعض المسافرين بالتهرب من النطاق، سواء من خلال اهمال الواجب، او من خلال التاثير المغري للرشاوي. كما شجب كابيادس بقوة الحجر الصحي الذي أقيم آنذاك في بغداد. فتنفيذا لاحكام هذا الحجر، صدرت اوامر بابقاء الاشخاص المصابين بعدوى الطاعون في بيوتهم جنبا الى جنب مع افراد عوائلهم الآخرين، ووُضع الحراس حول البيوت لمنع اتصال اهلها ببقية الناس. وبين كابيادس كيف ان هذه التدابير غير المعقولة حفزت الآخرين على اخفاء وجود المرض. كما اعتقد كابيادس ان هذا النوع من

---

1 (W. A. S. R.), Vol. 15, No. 4, April 20, 1900. P. 952.

2 Colvill, Short Report on Cholera Epidemic in Turkish Arabia in 1870-71, PP. 40, 42.

الحجر الصحي هدد حياة العوائل عموما، ولاسيما عندما اضطر بعضها لدفن الجثث المصابة بالطاعون في باحات البيوت[1].

ولاسباب عدة، تم انتقاد محجر البصرة الصحي في عام 1897. فبعدما تفشى وباء الطاعون في الهند في اواخر عام 1896، اعلن سبردين زافتزيانو، المفوض الصحي الامريكي في استانبول، في تقريره في كانون الثاني 1897، ان البصرة ليس لديها خط دفاع فاعل ضد الاوبئة، لان المدينة ليس لديها محجر صحي حديث الطراز[2]. وبين زافتزيانو ايضا في تقرير آخر له بتأريخ 28 تشرين الاول 1897، ان محجر البصرة لديه العديد من نقاط الضعف الناجمة عن الاختيار السيء للموظفين الصحيين والاطباء. اذ لم يتم تعيين هؤلاء الموظفين لقدرتهم وكفاءتهم وتعليمهم، بل لاعتبارات مستندة على الدين او الصفة القومية، على حد قول المفوض الصحي الامريكي[3]. واكد زافتزيانو في تقرير آخر مؤرخ في 17 تشرين الثاني 1897، بان هؤلاء الموظفين قد طُردوا من مناصبهم، وعلق على هذا القرار بالقول: لاشك ان جزءا كبيرا من المسؤولية يقع على عاتق اللجنة التي تتولى تعين مسؤولين في الخدمة الصحية، ومن بينهم اطباء، كانوا على درجة كبيرة من الجهل. "فأذا هؤلاء هم ببساطة مستخدمين، فأن عليهم ان يعرفوا معنى الاحساس بالواجب" مثلما اشار زافتزيانو[4]. بالاضافة الى ذلك، ارسل الوكيل القنصلي الامريكي في البصرة، هاملتون، رسالة بتأريخ 20 كانون الاول 1898، الى اللجنة الصحية الدولية في استانبول

1 (B. M. J), Vol. 1, No. 949, March 8, 1879, P. 340; Grattan, P. 131.
2 (P. H. R), Vol. 12, No. 6, February 5, 1897, P. 142.
3 (P. H. R), Vol. 12, No. 47, November 19, 1897, P. 1277.
4 (P. H. R), Vol. 12, No. 50, December 10, 1897, P. 1360.

تضمنت شكاوى ضد الخدمات الصحية للمدينة عموما، والمحجر الصحي على وجه التحديد. لقد بين هاملتون برسالته ان محجر البصرة هو اسم على غير مسمى، موضحا كيف ان عددا من المسافرين قد تعرضوا فيه الى مضايقات كثيرة ومخاطر للاصابة بشتى انواع الامراض. واستشهد هاملتون باقوال عدد من السيدات الامريكيات اللاتي اجتزن محجر البصرة الصحي في الشهر المذكور، ووصفنه بانه كان في وضع غير صحي تماما ومقزز للغاية[1].

من جانب آخر، اعتقد بعض علماء الاوبئة والمراقبين الصحيين أن اجراءات المحاجر والنطاقات الصحية في العراق العثماني قد تضمنت تقصيرات عديدة في التخطيط والتطبيق. فقد لوحظ ان تأسيس تلك المحاجر والنطاقات لم يكن يتماشى مع سرعة زحف الاوبئة. فقد اتضح عمليا انه كلما تم اقامة حجر او نطاق صحي، كان الوباء يتخطاه ويواصل تقدمه في الجانب الآخر. لقد حدث هكذا خطأ في الحسابات عندما قررت السلطات الصحية في العراق ان تقيم حجرا صحيا مؤقتا على دجلة بعدما تفشي وباء الكوليرا في عام 1871. فقبل تأسيسه، كانت الكوليرا قد مضت بسهولة نحو الفرات وليس دجلة![2]. وكذلك عندما اندلعت الكوليرا في العراق في عام 1889، فأن الثكنات في ديالى، التي أقيمت لكبح مسيرة الوباء، قد فشلت تماما في وقف تقدمه صوب خانقين[3]. وبينما عدت السلطات الصحية الاوربية في اواخر القرن التاسع عشر المحاجر والنطاقات مؤسسات لا جدوى لها، فأن الحكومة المركزية العثمانية واصلت تشبثها بالنظم التقليدية للمحاجر والنطاقات لمواجهة الاوبئة. ان وجهة النظر

---

1 (P. H. R), Vol. 14, No. 10, March 10, 1899, P. 333.
2 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 63.
3 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889. P. 375.

الاوربية الجديدة هذه بشأن مفهوم المحاجر قد تضمنتها توصية اللجنة التقنية للمؤتمر الصحي الدولي الذي انعقد في روما في مايس 1885[1]. ان تحديث مؤسسات الصحة واشاعة الثقافة الصحية هي الوسائل الانسب التي كان يتوجب على العثمانيين تبنيها لمحاربة الاوبئة. لقد كان هذا بالضبط مافعلته الحكومات الاوربية لبلدانها وشعوبها في هذا المجال.

تبني اجراءات وقائية متنوعة

في محاولة لتفادي الانتشار الواسع النطاق للاوبئة في المناطق التي سبق وان هاجمها الطاعون او الكوليرا، تبنت السلطات الصحية العثمانية في العراق تدابير وقائية متنوعة، بما في ذلك التطهير بالمواد الكيمياوية والحرق بالنار. وفي هذا الصدد، فان هناك بعض الامثلة التي يمكن ان يُشار اليها. فعندما ضرب الطاعون العراق في عام 1877، فأن الوسائل الاكثر فاعلية التي أُعتمدت لحماية الناس من العدوى الوبائية، كانت عزل المرضى، وحرق امتعتهم الشخصية بالنار، وتهوية المواضع المصابة، وتطهير الاماكن التي ضربها الطاعون بالمحاليل الكيمياوية. لقد اثبتت هذه الاجراءات، ولحد معين، فاعليتها. فمن مجموع 350 بيتا تم تطهيره كيمياويا، هاجم الطاعون واحدا فقط من تلك البيوت مرة ثانية. بينما تعرضت البيوت التي لم تُطَّهر الى اصابات متكررة بالوباء. ولم تُعطي وسائل التطهير الاخرى، مثل التبخير بالكبريت ورمي محلول كبريت الحديد في اماكن الصرف الصحي وغيرها، النتائج المأمولة[2]. لقد اشتملت عملية تطهير البقع المصابة بالوباء احيانا على الاشخاص والبيوت معا. وتم تطبيق مثل هذه

1 (B. M. J), Vol. 1, No. 1531, March 3, 1890, P. 1032.
2 (B. M. J), Vol. 1, No. 949, March 8, 1879, P. 340.

الاجراءات في الكوفة والنجف بعد تفشي الطاعون فيهما عام 1881[1]. وقد أتخذت اجراءات وقائية مماثلة في الناصرية والشطرة بعدما ضربتهما الكوليرا بعنف في عام 1889. ففي كلا المنطقتين، تم تطهير البيوت وتدميرها، فيما أحرقت بالكامل الاكواخ التي شكلت جزئين رئيسيين من المدينتين[2]. وعلى الغرار ذاته، فعندما ساد الطاعون في الحجاز في عام 1898، فأن الاجراءات الوقائية التي أعتمدت لمنع تسلل العدوى الى العراق، اشتملت على التفتيش الصحي وتطهير امتعة الحجاج الشخصية[3]. وأتخذت الخطوات الوقائية ذاتها بعدما داهمت الكوليرا البصرة في عام 1899، اذ تم احراق اكواخ وملابس الاشخاص الذين قضوا نحبهم من الوباء[4].

وكان قطع طرق المواصلات النهرية والبحرية اجراءا تحوطيا آخر تم تبنيه لكبح تقدم الاوبئة في العراق العثماني. فمثلا، اثناء انتشار الكوليرا في العراق سنة 1889، قُطعت المواصلات فى دجلة عند الكوت وفي الفرات عند السماوة لوقف تقدم الوباء نحو مناطق اخرى[5]. وعلى نحو مماثل، عندما تفشت الكوليرا في جنوبي العراق في عام 1893، مُنعت كل المراكب القادمة من البصرة من الرسو في العمارة، ولم يُسمح لها بأن تمضي عاليا في نهر دجلة لمسافة ابعد من الكوت[6]. وبالطريقة ذاتها، فأنه عندما اندلع الطاعون في جدة في عام 1898،

1 (B. M. J), Vol. 1, No. 1057, April 2, 1881, P. 525.
2 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889. PP. 372-373.
3 (P. H. R), Vol. 13, No. 33, August 19, 1898, P. 889.
4 (P. H. R), Vol. 14, No. 46, November 17, 1899, P. 2053.
5 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889. P. 373.
6 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 27, July 7, 1893. P. 557.

امرت الادارة الصحية في البصرة بحزم كل السفن التي على متنها اشخاص مصابين بالطاعون بمغادرة الميناء[1].

وبغية السيطرة على الاوبئة القادمة من الخارج الى العراق، منعت او قيدت السلطات الصحية العثمانية دخول الحجاج والجثث اليه من حين لآخر. فعلى سبيل المثال، مُنع الزوار الايرانيين من دخول العتبات المقدسة في النجف وكربلاء بعد تفشي الكوليرا في عام 1893[2]. وفُرض منع آخر في عام 1897 على الرعايا الاجانب القادمين من الهند لزيارة الاضرحة المقدسة[3]. وكانت القيود المفروضة على توريد الجثث الى العراق تصبح اكثر صرامة اثناء التفشيات الوبائية. وطبقا لذلك، فأنه عندما ضرب الطاعون الهند في شباط من عام 1897، مُنع نقل الجثث من ايران الى العراق[4]. ومن اجل تفادي انتشار الطاعون، قررت السلطات الصحية في العراق في عام 1898، ان يتم دفن كل الجثث القادمة من ايران عند خط الحدود الايرانية مع العراق. ويمكن بعد مضي ثلاث سنوات، عندما تتحول هذه الجثث الى عظام، نقلها لتُدفن في الاراضي العراقية. وقد أستثني من هذا القرار الاسرة الايرانية الحاكمة فقط، اذ سُمح لها بدفن موتاها الى جوار الاضرحة الشيعية المقدسة في العراق[5].

وقد تبنت الادارة الصحية العثمانية في العراق ايضا اجراءات لتعزيز دفاعات ومناعة المدن والبلدات العراقية ضد الهجمات الوبائية. ففي هذا الشأن، اعلن المفتش العام لادارة الصحة العثمانية، العميد بنكاوسكي باشا، في شباط

1 (P. H. R), Vol. 13, No. 22, June 3, 1898, P. 568.
2 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 27, July 7, 1893. P. 550.
3 (P. H. R), Vol. 12, No. 9, February 26, 1897, P. 216.
4 (P. H. R), Vol. 12, No. 12, March 19, 1897, P. 283.
5 (P. H. R), Vol. 13, No. 49, December 9, 1898, P. 1459.

1897، أنه ينبغي تزويد ولاية البصرة بوسائل دفاع كافية ومناسبة لصد هجمة محتملة للطاعون من الهند. ولتحقيق هذا المسعى، تم ارسال العديد من الاطباء التابعين لفرق بغداد العسكرية الى البصرة، فيما اشرف المفتش الصحي للبصرة، الدكتور لويز، على كل انواع الرعاية الطبية في الولاية[1]. وقد أتخذت خطوات تحوطية مماثلة ايضا في بغداد فور اندلاع الطاعون في البصرة في حزيران 1907. فلتعزيز المناعة الصحية للمدينة ضد هجوم وبائي محتمل، فانها قُسمت الى ثلاثة اجزاء، ووُضع كل جزء تحت مسؤولية اثنين من الموظفين الصحيين الخاصين، الذين أوكلت لديهم اوامر بفحص المرضى ورفع تقرير عن الاعراض المشتبه بها. وفي الوقت ذاته، تم تجنيد مجموعة كبيرة من عاملي النظافة في الشوارع (الكنّاسين) ، كما فُرضت ايضا خطوات صحية أخرى[2].

وبالرغم من كل التدابير الوقائية المذكورة سابقا، كانت هناك العديد من التقصيرات في هذا المضمار. فمثلا، عندما اندلع الطاعون في بعض المناطق الحدودية العراقية في عام 1884، وصفت الطرق التي اتبعتها الادارة الصحية المحلية يومذاك على انها عشوائية وعديمة الجدوى[3]. علاوة عل ذلك، لم تكن بعض الجهود الوقائية ضد الاوبئة علمية على الاطلاق، وعُدت احيانا مثيرة للسخرية. فعندما ضربت الكوليرا بغداد في صيف عام 1893، فأن الاجراء الوقائي الرئيسي الذي أتبع في يوم 30 آب، ركز على حظر بيع الرقي بزعم ان له صلة بالكوليرا! وخلال يوم واحد من هذا الموسم، القى جنود صعدوا على متن عشرين گفة (قارب دائري) بحمولاتها من الرقي في نهر دجلة. وفي الوقت

1 (P. H. R), Vol. 12, No. 11, March 12, 1897, P. 261.
2 (P. H. R), Vol. 22, No. 29, July 19, 1907, P. 1013.
3 (B. M. J), Vol. 1, No. 1224, June 14, 1884, P. 1162.

عينه، كان هناك مئات من الرجال والاطفال الذين تجمعوا على الضفة، حيث خلع البعض ملابسهم وقفزوا الى الماء لالتقاط ثمرات الرقي[1].

من ناحية اخرى، اسهم اخفاء وتشويش المعلومات بشأن الاندلاعات الوبائية في ارباك خطط السياسة الوقائية ضد الاوبئة. كمثال على ذلك، عندما تفشى الطاعون في بغداد وبعض المناطق العراقية في عام 1884، اخفى المسؤولون الصحيون هذا التفشي لمدة طويلة[2]. في السياق ذاته، شكا القنصل الامريكي في بغداد، جون ساندبرغ، بقوة في كانون الاول 1893، من تصرف المفتش الصحي لبغداد، متهما اياه بتزويد القنصليات الاجنبية ببيانات مشوشة وغير موثوقة عن اوضاع العراق الصحية[3].

لقد تبنت الاقطار الاوربية المتقدمة في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وسائل فعالة للتصدي للاوبئة وبالاخص الطاعون. فمن اجل استئصال هذا الوباء، وجدت السلطات الصحية الاوربية انه من الضروري ابادة القوارض، ولاسيما الفئران، الوكلاء الانشط في نقل عدوى الطاعون. وخلال العقد الاول من القرن العشرين شنت الولايات المتحدة حملة بلا هوادة للتخلص من القوارض. ففي تلك الفترة، تم اصطياد الآلاف منها وابادتها وفحص عينات منها في المختبرات. وطُبقت مثل هذه الاجراءات الوقائية في بريطانيا العظمى ايضا في سنتي 1914 و1915[4].وبالرغم من حقيقة ان السلطات الصحية في استانبول قد قبلت بهذه الطريقة الوقائية، الا أن العثمانيين عموما اعوزتهم

1 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 40, October 6, 1893. P. 975.
2 (B. M. J), Vol. 1, No. 1225, June 21, 1884, P. 1215.
3 (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 5, February 2, 1894. P. 64.
4 (P. H. R), Vol. 30, No. 11, March 12, 1915, PP. 776-777, 792.

الخبرات في مجالات الصحة العامة والدراسات الوبائية. لقد اسهمت مثل هذه العيوب في نظام الصحة العثماني، والى حد ما، في تأخير شطب اسم الطاعون من قائمة الاوبئة الاشد فتكا في العراق ولغاية نهاية الحكم العثماني.

التطعيم ضد الامراض المعدية

لم يكن هناك لغاية مطلع القرن التاسع عشر تطعيما رسميا في العراق يمكنه المساعدة في احتواء الامراض المعدية. وتبدو هذه المسألة طبيعية اذا ما اخذنا بعين الاعتبارامرين: الاول، ان التطعيمات ضد الاوبئة الفتاكة، وخصوصا الطاعون والكوليرا، لم تكن قد أكتشفت بعد. فبالنسبة لوباء الطاعون، فأن شكلا اوليا للتطعيم قد عُرف في عام 1897، لكن انتاجه للاستخدام البشري لم يحدث في الولايات المتحدة لغاية عام 1946. وقد جرت محاولات منذ اواخر القرن التاسع عشر لانتاج لقاح ضد الكوليرا. الا ان النتائج الطبية بشأنه لم تتحقق الا لغاية العقدين الاول والثاني من القرن العشرين[1]. وكان لقاح الجدري الوحيد الذي أنتج على نطاق واسع في اوربا والولايات المتحدة في اوائل القرن التاسع عشر. وبحلول عام 1812، بدأت الادارة الامريكية بتعميم التطعيم ضد الجدري، فيما اصبح هذا التطعيم اجباريا في بريطانيا في عام 1853[2]. اما الامر الثاني، فأن الامبراطورية العثمانية لم ترع برامج نظامية عالية الكفاءة للتطعيم حتى وقت متأخر جدا. فلم تكن التطعيمات ضد الطاعون والكوليرا مدرجة اصلا في برامج الصحة العثمانية، بينما كان لقاح الجدري معروفا على نطاق

1 Stanley A. Plotkin (etal), Vaccines, Fifth Illustrated Edition, (The U.S: Elsevier Health Sciences, 2008), PP. 131, 523.

2 Andrew W. Artenstein, Smallpox, in "Vaccines: A Biography", Edited by Andrew W. Artenstein, (New York: Springer Science & Business Media, 2010), PP. 18-19.

محدود جدا بين الاطباء في استانبول. فقد تبنى ثلاثة اطباء من اصول غير تركية بشكل شخصي وحماسي قضية التطعيم ضد الجدري في عام 1800. كما تُرجمت في غضون تلك المدة بعض الملاحظات والتعليمات عن التطعيم الى اللغة التركية[1].

وعلى غرار ولايات عربية عثمانية اخرى، لم تكن التطعيمات ضد الامراض المعدية قد أدخلت بعد الى بغداد والموصل والبصرة. وحتى لقاح الجدري لم يتم جلبه الى العراق من خلال جهود الحكومة العثمانية المركزية في استانبول، او من خلال السلطات المحلية للعراق، بل من خلال مبادرات ومساعدة بعض العلماء والدبلوماسيين ورجال الاعمال الاوربيين. وكقضية للحقيقة، فأن اثنين من العلماء الاوربيين الكبار الذين اهدوا الانسانية اللقاح ضد الجدري، هم من وقفوا وراء ادخاله الى العراق العثماني. انهما الطبيبان المبجلان، البريطاني ادوارد جينر (1749-1823)[2]، والنمساوي جون دي كارو (1770-1857)[3]. لقد كان هذان الطبيبان مفعمين بالامل لارسال جرعات صغيرة من اللقاح التجريبي لمناطق مختلفة من الشرق، من بينها استانبول وبغداد وبومبي. فبالاضافة الى انهما كان يسعيان من منطلق انساني لتزويد المناطق

1 John Baron, The Life of Edward Jenner, (London: Henry Colburn, 1827), PP. 414-416.

2 For details about the early life of Edward Jenner, see: Baron, PP. 1-18, 236-289. On his opinions concerning the origin of smallpox and its vaccine, see: Edward Jenner, On the Origin of the Vaccine Inoculation, Reprinted, (London: B. Black, 1863).

3 For details about the life of John de Carro, see: (B. M. J), Vol. 1, No. 24, June 13, 1857, PP. 504-505. Regarding his efforts for introducing the smallpox vaccination into the Ottoman Empire, see: Jean de Carro, Histoire de la Vaccination en Turquie, en Grece, en aux Indes Orientales, (Vienne: 1804).

المصابة بالجدري باغاثة طبية عاجلة، لكنهما ارتأيا ايضا اختبار تأثير لقاحهما ميدانيا.

لقد ارتبط تأريخ لقاح الجدري في العراق العثماني في اوائل القرن التاسع عشر بشكل غير مباشر بتطور الوباء في الهند. لقد كان الجدري يفتك آنذاك بارواح الناس بقسوة في هذا البلد الآسيوي[1]. ولذلك، قدم الحاكم البريطاني لبومبي التماسا بتأريخ 21 آذار 1801، الى السفير البريطاني في استانبول، اللورد الجين، يطلب فيه تعاونه في ارسال لقاح من الدكتور ادوارد جينر الى بومبي عن طريق بغداد والبصرة[2]. وفي تلك الاثناء، لم تدخر اللجنة الطبية لبومبي اي جهد للحصول على لقاح للهند، لكن جهودها تلك ذهبت ادراج الرياح[3]. وقد حوّل اللورد الجين اللقاح ومستلزماته الى بومبي في 8 ايلول 1801. وبالمثل، هو ارسل امدادات من اللقاح الى وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة، مستر مينسني، مع ارشادات عن كيفية انتاج اللقاح في البصرة ومن ثم تحويله الى بومبي[4]. وفي اوائل عام 1802، كتب المقيم البريطاني في العراق، هارفورد جونز، الى الدكتور دي كارو يسأله بأن يبعث له بلقاح الجدري. وفي الواقع، ان جهود دي كارو لقيت في العراق نجاحا اكبر من تلك التي لزميله البريطاني ادوارد جينر. لاغرو، اذن، ان برز اسم دي كارو بشكل كبير في قصة لقاح الجدري في العراق. على اي حال، فانه في نهاية آذار من عام 1802، استلم المقيم البريطاني اللقاح سوية مع التعليمات بخصوص طرق استخدامه المناسبة[5]. حال وصول اللقاح، حاول

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 67.
2 Baron, P. 418.
3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 68.
4 Baron, P. 419.
5 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 68; Baron, P. 421.

الدكتور شات، الطبيب الملحق بالقنصلية البريطانية في بغداد، بأن يعثر على طفل لتطعيمه بشكل تجريبي، ومن ثم كان عليه ان يُعلم الدكتور دي كارو بنتائج التطعيم[1]. في هذه الاثناء، رحب البغداديون بحرارة بالانباء التي تحدثت عن وصول شحنة اللقاح الى مدينتهم[2]. وفي يوم 18 نيسان، تحدث هارفورد جونز بتفاؤل عن ان التطعيم قد تم اجراءه في بغداد[3]. وارسلت المقيمية البريطانية في بغداد في 30 نيسان لقاحا جديدا الى ميلن، الجراح الملحق بالقنصلية البريطانية في البصرة. وقد لقح ميلن اربعين شخصا لغاية منتصف حزيران، كان من بينهم طواقم مراكب مغادرة الى بومبي[4]. لقد شجعت النتائج الايجابية الواعدة لهذا اللقاح في بغداد والبصرة ومدن الشرق الاخرى الدكتور دي كارو والهمته كثيرا لمواصلة ابحاثه العلمية عن لقاح الجدري[5].

وبالرغم من حقيقة ان بغداد كانت حقلا لاختبار وتقييم فعالية لقاح الجدري، الا ان الاطباء البريطانيين والملاك الطبي العثماني لم يستفيدوا من هذه الفرصة لتأسيس نظام تطعيم في المدينة. وبسبب غياب البرامج الحكومية للتطعيم ضد الجدري، فأن المبادرات الشخصية في هذا الشأن هي التي كانت سائدة في العراق. فقد ظهرت في عام 1810 شخصية دراماتيكية في المشهد الوبائي العراقي، وسلطت الضوء على قضية لقاح الجدري مرة اخرى. ففي تلك السنة جلب جي. دي مراد او جون مراد، وهو تاجر فرنسي كان متزوجا من ابنة

---

1 de Carro, P. 23.
2 Ibid, PP. 26-27.
3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 68.
4 Baron, P. 421.
5 "London Journal of Medicine", Vol. III, No. XXXIII (33), (London: September, 1851), P. 837.

ترجمان القنصلية الفرنسية في بغداد، لقاح الجدري معه. وبسبب المعتقدات الدينية، جوبه اللقاح بمعارضة على اساس انه ضد الايمان بالقضاء والقدر! وقد تطلبت هذه المعارضة تدخل مفتي بغداد الاكبر يومذاك، احمد افندي. وفقط بعد موافقة المفتي، كان مراد قادرا على تلقيح عدد من اطفال بغداد[1]. لقد قُدّر ان نحو ستة وتسعين طفلا تم تلقيحهم من قبله، اغلبهم كانوا اطفال افراد النخبة الحاكمة، مثل الدفتردار (المسؤول عن الادارة المالية)، وصهر باشا بغداد، والمفتي. ومن جانبه، اعرب والي بغداد عن رضاه لهذه الجهود من خلال ارساله هدية ثمينة الى مراد[2]. وبسبب عدم اكتفائه بالنجاح الذي حققه في بغداد، توجه مراد الى ولاية الموصل وما جاورها. وقد اعلن مراد بأنه لقح هناك اكثر من 4.500 طفل رضيع لغاية عام 1819، وقد تم تلقيح ثلثيهم تقريبا مجانا. وعندما غادر مراد العراق الى ايران، تولت زوجته مسؤولية التطعيم ضد الجدري. وقد جابهت السيدة مراد لاحقا بعض العقبات والمشاكل التي اجبرتها على مغادرة بغداد وانهاء عملها هناك[3].

اظهرت الهجمات الفتاكة المستمرة للجدري في بغداد ومناطق عراقية اخرى خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الحاجة الماسة الى لقاح ضد هذا المرض. وفي ذلك الوقت، غدت اسرار اللقاح شائعة بين الممارسين الصحيين له، الذين كان اغلبهم من النساء. وبينما لم تُعر الحكومة المحلية العثمانية انتباها رسميا للقاح الجدري، فأن ممارسته في بغداد بقيت محصورة ضمن

---

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 68.
2 "The Medical and Physical Journal", Vol. XXXI (31), No. 184, (London: June 1814), P. 520.
3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 69.

المبادرات الفردية النسوية لغاية الربع الاخير من القرن التاسع عشر. وكانت هيلاني واحدة من البغداديات المسيحيات التي نالت شهرة كبيرة في مجال التطعيم ضد الجدري منذ عام 1822 فصاعدا. وقد تقاعدت هيلاني في عام 1832 وسلمت مهنتها الى مساعدتها المسيحية لوسي. لقد احتكرت لوسي التطعيم ضد الجدري في بغداد لغاية ان تقاعدت عن العمل في عام 1871، بعدما جمعت ثروة كبيرة من الاجور التي استحصلتها من عملها. لقد تراوحت الاجور يومذاك من ربع روبية عثمانية الى عشرين روبية. وكانت عملية التحصين ضد الجدري تجري من خلال وخز الجلد بقطعة حادة فضية ومن ثم وضع اللقاح فيه بواسطة ريشة. ومثلما اخبرت لوسي الجراح البريطاني كولفيل، فأن نسبة فشل التطعيم كان من 1٪ الى 3٪. بمعنى آخر، تراوح النجاح بين 97٪ و99٪. وفي غضون المدة ذاتها بدأ عدد الملقحين الخاصين بالازدياد بشكل ملحوظ. ووفقا لكولفيل، فقد وصل عددهم في عام 1871 الى عشرين ملقحا، كلهم من النساء. وخشية من الاندلاعات المتكررة للجدري، كان البغداديون تواقين جدا للتلقيح، لكن الاجور العالية للقاح كانت مسألة تعني الكثير لغالبيتهم، ولاسيما الفقراء. لقد اعتقد كولفيل بان تلقيحات مجانية ضد الجدري قد تلقى مباركة كبيرة من هؤلاء الناس الفقراء[1].

وقد زار جراح بريطاني العراق في عام 1874، واوضح بأن التطعيم ضد الجدري كان يقوم به موظفون صحيون عسكريون[2]. وتظهر هذه المعلومة ان التطعيم كان يستخدم رسميا، لكن فقط بين القطعات العسكرية العثمانية المرابطة

1 Ibid, PP. 69-70.
2 Evatt, P. 197.

في بغداد، وانه قد أستعمل على نطاق محدود جدا بين المدنيين. ومثلما تذكر السالنامات العثمانية، فأن ملقحا واحدا كان يعمل ضمن ملاك مستشفى الغرباء في بغداد في عام 1876[1]. وكان لدى المستشفى ذاتها ملقح واحد فقط في السنوات 1897، و1898، و1899، و1901، و1902، و1903، و1905، و1907، و1908[2]. واستنادا لهذه السالنامات، لم يتخط عدد الملقحين في كل ارجاء ولاية بغداد في عام 1913، ثلاثة ملقحين، كان اثنان منهم في مركز مدينة بغداد والآخر في كربلاء[3]. ولم يكن في مدينة الموصل في عام 1907، التي هي العاصمة الاقليمية لولاية واسعة جدا بضمن ذلك شمالي العراق، سوى موظف تلقيح واحد[4]. وفي البصرة، كان قسم التطعيم ملحقا بمستشفى الغرباء. وقد ضم هذا القسم في عام 1900 الملاك الآتي: مدير، كاتب، موظف تحضير ادوية، واثنين من عمال الخدمة[5].

وبالرغم من كل الجهود المذكورة اعلاه، تواصلت التقصيرات العثمانية في مجال تزويد لقاح الجدري وتقديم برنامج نظامي للتحصين ضد المرض. ففي مذكرته المرسلة الى الحكومة المركزية العثمانية في شهر مايس 1899، اشار المفوض الصحي الامريكي في استانبول الى عواقب نقص لقاح الجدري في العراق. فقد نصح المفوض السلطات الصحية العثمانية بانشاء مؤسسة صحية في بغداد تتولى انتاج هذا اللقاح[6]. وفي الواقع، ان التلقيح ضد الجدري مورس على

---

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", PP. 237-240.
2 Ibid, PP. 237-238.
3 "سالنامة ولاية بغداد" دفعة 22: 1913، ص ص 93، 136
4 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", P. 319.
5 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", P. 75.
6 (P. H. R), Vol. 14, No. 20, May 19, 1899, P. 748.

نطاق محدود في المدن العراقية الكبرى لغاية نهاية العهد العثماني. وتم تنفيذه باسلوب نظامي آنذاك بين القطعات العسكرية العثمانية فقط[1]. لقد ترك المستوى المتدني للصحة العامة والخدمات الوقائية في العراق العثماني المتأخر شعبه فريسة سهلة للاوبئة لمدة طويلة من الزمن. ومع ان اجراءات وقائية اخرى قد أتخذت للسيطرة على الاوبئة في هذا البلد، الا انها اثبتت ايضا عدم جدواها في قطع دابرها تماما.

تشكيل لجان طبية محلية

كانت اللجان الطبية تؤسس احيانا من قبل سلطات الصحة في العراق العثماني كمسعى اولي لاحتواء الهجمات الوبائية. وقد انصب عمل هذه اللجان على التحقيق في اسباب التفشيات الوبائية، واعداد توصيات وتقارير تُقدم الى الحكومة المحلية او المركزية او كلاهما، وتقديم مساعدة طبية ممكنة للمناطق التي تتضرر بالاوبئة. فمثلا، عندما ضرب الطاعون بعض قرى الهندية في عام 1867، امر والي بغداد نامق باشا بتشكيل لجنة طبية يوم 9 مايس. وقد ضمت اللجنة مدير دائرة صحة بغداد، وموظف صحي، وجراحين اثنين من كتائب الجيش العثماني، وجراح بريطاني. وقد زارت اللجنة القرى، واجرت تحقيقا في ظروف التفشي الوبائي، وشخصت طبيعة واعراض المرض. وبعد زيارات ميدانية للبقع المصابة بالطاعون في يومي 20 و21 مايس، اكدت اللجنة في تقريرها أن المرض كان طاعونا محققا[2]. وقد شُكلت لجنة مماثلة مكونة من سبعة اطباء وجراحين

1 "Health and Sanitary Conditions in Turkey", P. 72.

2 E. D. Dickson, On the Reported Outbreak of Plague at Kerbela, "Transactions of the Epidemiological Society of London", Vol. III (3): Sessions 1866 to 1876 (London: Hardwicke and Bogue, 1876), P. 143; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 49-50; "The Lancet", Vol.2, For July 27, 1867 (London: 1867), P. 111.

بعدما تفشى الطاعون في بغداد في آذار 1876. كانت مهام اللجنة تحديد وتنظيم التدابير الوقائية الضرورية لكبح جماح تقدم الوباء[1]. وتشكلت لجنة طبية اخرى في عام 1884 بعدما اندلع الطاعون في بدره ومناطق اخرى على الحدود العراقية-الايرانية. وقد ضمت اللجنة اربعة اطباء، هم: المفتش الصحي لبغداد، والمفتش الصحي لخانقين، والمفتش الصحي للبصرة، وطبيب رابع. وقد زارت لجنة الاطباء هذه، التي رافقها مجموعة من الموظفين الصحيين المدنيين والعسكريين، المنطقة المتضررة بالداء، وحققت في اسباب التفشي، وقدمت خدمات صحية للناس المصابين[2]. ان انموذجا بارزا لهذه اللجان يعرضه لنا جهد مشترك قام به الدكتور لويز، مفتش صحة بغداد، والدكتور غزالة، مفتش صحة الحلة، اثناء تفشي وباء الكوليرا في الناصرية في عام 1889. لقد غادر هذان الطبيبان مقار عملهما في بغداد والحلة وشكلا لجنة طبية عملت بروح الفريق الواحد. لقد شخصت هذه اللجنة طبيعة المرض في المناطق المصابة وقدمت الرعاية الطبية المتيسرة لمواطنيها[3]. وفي السنة ذاتها ايضا، بُذلت جهودا مشتركة مماثلة من قبل لجنة اطباء شُكلت في الموصل. لقد كانت المهمة الرئيسة لهؤلاء الاطباء، محاولة ايقاف زحف الكوليرا نحو المدينة[4].

وكانت اللجان الطبية تُشكل احيانا من اجل مواجهة تفشي وبائي محتمل في منطقة معينة. فمثلا، كان هناك في اواخر عام 1896 مخاطر محتملة من وصول طاعون قادم من الهند الى البصرة. ولتعزيز الدفاعات الصحية للمدينة، عُينت

1 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 294; (B. M. J), Vol. 1, No. 797, April 8, 1876, P. 452.
2 (B. M. J), Vol. 1, No. 1220, May 17, 1884, P. 964.
3 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889. PP. 372, 374.
4 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 51, December 20, 1889. P. 453.

لجنة باشراف والي البصرة، وبمساعدة طبيب صحي. وقد ركزت جهود اللجنة على تنظيم مهام الاطباء المدنيين والعسكريين الذين وُضعوا تحت تصرفها، واعداد التدابير الوقائية، وابلاغ المجلس الاعلى للصحة في استانبول بآخر تطورات التفشي المحتمل[1]. وأُعطيت مهام مماثلة الى لجان طبية اخرى شُكلت بعد وقوع حالات اصابات طفيفة بالكوليرا اوالطاعون في مناطق عراقية مختلفة، كالدجيل، في اطراف بغداد، في مايس 1890[2]؛ والعمارة في 1893[3]؛ والبصرة في تشرين الاول 1899[4]؛ والحدود العراقية-الايرانية عند السليمانية في ربيع عام 1900[5]؛ وبغداد في مايس 1901[6].

وبسبب النقص الحاد في الملاك الطبي، كانت السلطات الصحية العثمانية في العراق تلجأ احيانا الى المناورة في عمل اللجان الطبية في حال حدوث تفشي وبائي هائل. فمثلا، عندما انتشرت الكوليرا على نطاق واسع في العراق اثناء صيف وخريف عام 1904، ظهرت هناك حاجة ماسة لملاك طبي كبير. ولتفادي هذا الوضع الحرج، امرت الحكومة المحلية في بغداد لجنتها الطبية بأن تتنقل بالسرعة الممكنة بين بقعة مصابة واخرى. طبقا لذلك، كان بمقدور اللجنة آنذاك ان تنفذ مهاما في كل المناطق التي حول بغداد[7].

وبالرغم من اهمية اللجان الطبية، فقد اقترن ادائها ببعض العيوب، خصوصا وصولها المتأخر احيانا للمناطق التي كان يضربها الوباء. لقد كان هذا

1 (P. H. R), Vol. 12, No. 11, March 12, 1897, P. 263.
2 (W. A. S. R.), Vol. 5, No. 25, June 20, 1890. P. 267.
3 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 26, June 30, 1893. P. 527.
4 (P. H. R), Vol. 14, No. 46, November 17, 1899, P. 2053.
5 (P. H. R), Vol. 15, No. 4, April 20, 1900, P. 952.
6 (P. H. R), Vol. 16, No. 24, June 14, 1901, P. 1351.
7 (P. H. R), Vol. 19, No. 43, October 21, 1904, P. 2174.

التأخير يستغرق احيانا اشهر، تماما كما حدث في واحدة من قرى الهندية في عام 1867. لقد ضُربت هذه القرية بالطاعون في كانون الثاني، بينما زارت اللجنة الطبية القرية في مايس![1] بالاضافة الى وصولها المتأخر، فقد وُجه اللوم الى اللجنة المذكورة لجمعها حقائق محدودة عن المرض، ولتقصيرات في تشخيصها[2]. وفي حالات معينة، ولاسيما بعد اندلاع اي وباء، كان هناك غياب غير مبرر للجان الطبية التي كان بامكانها اسعاف الناس وانقاذ حياتهم. كأنموذج لذلك، حينما اندلعت حمى قاتلة بين الفلاحين في بعض القرى الواقعة الى الجنوب من بغداد في عام 1894، لم تتخذ السلطات الصحية المحلية التدابير الطارئة، وتُرك الناس المرضى هناك يموتون من دون ان يحظوا باية مساعدة طبية اوعلاج يُذكر[3]. على اي حال، لم يكن لتلك اللجان اية قواعد تُنظم عملها، كما لم تكن واجباتها مبرمجة او مدعمة بمعدات طبية عالية المستوى، وهذا ما ادى الى الاخلال بمهام عملها والتقليل من فاعلية جهودها.

جهود خبراء الحكومة المركزية العثمانية

في كل مرة اندلع فيها الوباء في العراق العثماني كانت الحكومة المركزية في استانبول تبادر غالبا بارسال خبراء لتحري اسباب التفشي، وتقديم توصيات الى سلطاتها الصحية. لقد لوحظ ان معظم هؤلاء الخبراء انحدروا من اصول قومية مختلفة، وكان جلّهم من الاوربيين. ويمكن ان يُعزى هذا الحضور الكبير للخبراء الاوربيين في القطاع الصحي العثماني الى جهود السلطان العثماني محمود الثاني،

1 Dickson, On the Reported Outbreak of Plague at Kerbela, P. 144.
2 "Dr. Dobell's Reports on the Progress of Practical and Scientific Medicine in Different Parts of the World", Vol. II, P. 552.
3 (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 31, August 3, 1894. P. 600.

الذي حاول ان يجعل امبراطوريته نظيفة من الاوبئة والامراض. ففي عام 1838، قرر السلطان تشكيل مؤسسة تضم اختصاصيين في الطب. وعندما هو لم يجد اشخاصا كفوئين من بين مواطنيه لهذه الغاية، استخدام خبراء طبيين اجانب. بعد ذلك التأريخ، تم تأسيس المجلس الصحي الاعلى في استانبول ليخدم الرعايا العثمانيين وليتحول فيما بعد الى مؤسسة صحية دولية[1].

ومع ان اسماء بعض هؤلاء الخبراء الذين بعثت بهم استانبول خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر للتحقيق في بعض التفشيات الوبائية في العراق العثماني قد وردت في فصول وصفحات سابقة، الا ان بالامكان ادراجهم هنا ايضا في سياق هذا المبحث. طبقا للمعلومات المستمدة من مصادر ارشيفية متنوعة، فأن الدكتور نارانزي ياتي من الناحية الزمنية في طليعة هؤلاء الخبراء. لقد انحدر الدكتور نارانزي من اسرة يونانية. وقد ولد في جزيرة زانتي (زاكينثوس) في اليونان، واقام لمدة طويلة في استانبول[2]. لقد خدم نارانزي في ادارة الصحة العثمانية كأختصاصي في الامراض المعدية، ولاسيما الطاعون والكوليرا. وعندما انعقد مؤتمر في استانبول عن الكوليرا في 8 آذار 1866، أنتخب نارانزي سكرتيرا له[3]. وقد كرمه الامبراطور الفرنسي مع اعضاء آخرين في المؤتمر[4]. لقد ارسلت الحكومة العثمانية نارانزي الى العراق واماكن اخرى للتحقيق في التفشيات الوبائية هناك. وكانت تقاريره على درجة عالية من الاهمية، واسهمت كثيرا في مجال علم الاوبئة. وبسبب خدماته المميزة، تمت

1 Loutfi, PP. 88, 102.
2 (B. M. J), Vol. 1, No. 849, April 7, 1877, P. 435.
3 (B. M. J), Vol. 1, No. 274, March 31, 1866, P. 349.
4 (B. M. J), Vol. 2, No. 310, December 8, 1866, P. 648.

ترقيته في المنصب واصبح سكرتيرا للمجلس الصحي الاعلى في استانبول. وللاسف، لم يحل تألقه وسيرته المهنية الناجحة جدا من ان يلق نهاية مفجعة في ربيع عام 1877، عندما هو اطلق النار على نفسه. هذا ولم يعرف الدافع الحقيقي وراء انتحاره[1]. على اي حال، فلقد سبق للحكومة العثمانية وان ارسلت نارانزي الى العراق ليتحقق من اسباب وطبيعة المرض الذي ضرب بعض مناطق المستنقعات في الهندية في عام 1867. لقد زار نارانزي مسرح التفشي بعد اشهر عدة من توقف الطاعون، وقام آنذاك بجمع المعلومات من شيوخ العشائر في المناطق الموبوءة، وكذلك من اللجنة الطبية المحلية التي زارت المنطقة قبل وصوله[2]. لقد استنتج نارانزي بأن المرض لم يكن طاعونا، بل حمى التيفوئيد التي تتضمن بعض اعراض الطاعون الدمّلي[3]. وقد دعم دكتور دائيكل، الذي كان آنذاك طبيبا صحيا في بغداد، افتراضات نارانزي، وبين ان حمّى من النوع الفعّال كانت قد ضربت المنطقة عينها منذ عام 1856، وانها اقترنت بتورمات غدّية في الرقبة واماكن اخرى من الجسم. لقد لقي تقرير الدكتور نارانزي المثير للجدل انتقادا لاذعا من قبل الجراح البريطاني كولفيل، الذي حقق بنفسه في المرض موقعيا، وكذلك من قبل عالم الاوبئة الفرنسي ثولوزن. فبخلاف نارانزي، اكد كلاهما بان المرض في الهندية كان طاعونا محققا[4]. لقد كان تقرير

1 (B. M. J), Vol. 1, No. 849, April 7, 1877, P. 435.

2 "Dr. Dobell's Reports on the Progress of Practical and Scientific Medicine in Different Parts of the World", Vol. II, P. 547.

3 "From the Report of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board for 1875" in, Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague, Presented to Both Houses of Parliament of Common of Her Majesty, 1879, (London: George Edward Eyre and William Spottiswoode, 1879), PP. 10-11.

4 "Dr. Dobell's Reports on the Progress of Practical and Scientific Medicine in Different Parts of the World", Vol. II, P. 547.

نارانزي محاولة عثمانية، على ما يبدو، لتجنب الضغوط الاوربية من اجل تبني تدابير صحية وقائية بعد اندلاع الطاعون في الهندية. لذا ليس من المستغرب ان علق كولفيل على تقرير نارانزي بالقول: أنا لدي سبب للاعتقاد بأن هذا لم يكن رأيا علميا، بقدر ما هو نفعية سياسية[1].

وكان كستالدي خبيرا آخرا سبق وان انتدبته السلطات الصحية العثمانية في استانبول لاجراء تحقيق عن اندلاع الطاعون في العراق. فعندما ضرب هذا الداء الدغّارة ومناطق اخرى في الفرات الاوسط من كانون الاول 1873 الى حزيران 1874، زار كستالدي اغلب المناطق المصابة. لقد شخّص كستالدي اعراض المرض، وجمع معلومات شاملة عن المدن والمناطق المتضررة بالوباء وكذلك الاشخاص المصابين، ودورة المرض، والوفيات. وبعد نهاية مهمته، غادر العراق وقدم تقريرا الى السلطات الصحية العثمانية في استانبول[2]. وعمل كستالدي لاحقا في طهران موظفا صحيا ومندوبا عن الصحة العثمانية لدى ادارة الصحة الايرانية، وكان له دور بارز في النقاشات عن تأسيس نظام حجر صحي وخدمة صحية دائمة في ايران[3].

وكان الدكتور ارناؤوط خبيرا عثمانيا آخرا تم ارساله الى العراق في مهمة صحية. لقد حظي ارناؤوط بسمعة طيبة في مجال التحقيق عن تفشيات الطاعون التي حدثت في ولاية طرابلس الغرب (ليبيا)، ولاسيما تفشي بنغازي في عام

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 54.

2 “From the Report of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board for 1875”, P. 14.

3 Cyril Elgood, A Medical History of Persia and the Eastern Caliphate: From the Earliest Times until the Year A.D. 1932, Digitally Printed Version, (New York: Cambridge University Press, 2010), P. 519.

1874[1]. وعندما ضرب الطاعون العراق في عام 1876، كان الدكتور ارناؤوط وكيلا صحيا عثمانيا في جدة[2]. وقد انتدبته سلطات استانبول الصحية مع توجيهات خاصة بأن يحقق في هذا التفشي الوبائي، وان يقدم تقريرا صحيا بشأنه[3].

وعُين ايضا الدكتور سي. ميلنغن، الذي كان منسبا الى الادارة العامة للصحة العثمانية، في لجنة صحية أرسلت للعراق. وقد سبق للدكتور ميلنغن ان خدم في منتصف عقد الستينيات من القرن التاسع عشر كطبيب حجر صحي في بغداد[4]. وقد أنتدب ميلنغن للتحري عن الطاعون الذي اندلع في شوشتر بايران في وقت مبكر من عام 1876[5]. وعندما ساد الطاعون في العراق في ربيع عام 1876، أرسل ميلنغن وبمعية اثنين من الاطباء للتحقيق في اسباب وطبيعة هذا التفشي الوبائي[6].

ان ارسال خبراء صحيين من الحكومة المركزية العثمانية الى مناطق التفشيات الوبائية لم يكن في الواقع حكرا على اولئك الاطباء الذين رابطوا في استانبول. لقد شمل ذلك ايضا اطباء آخرين عملوا في ولايات مختلفة. فمثلا،

1 "From the Report of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board for 1875", P. 14.

2 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 294.

3 (B. M. J), Vol. 2, No. 809, July 1, 1876, P. 19.

4 E.D. Dickson, On Cholera in Persia, 1866-68, in "Transactions of the epidemiological Society of London", Vol. III: Sessions 1866 to 1876, (London: Hardwicke and Bogue, 1876), P. 260.

5 "From the Report of the Medical Officer for 1876" in, Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague, Presented to Both Houses of Parliament of Common of Her Majesty, 1879, (London: George Edward Eyre and William Spottiswoode, 1879), P. 27.

6 (B. M. J), Vol. 1, No. 797, April 8, 1876, P. 452.

عندما تفشى الطاعون في العراق في عام 1881، تم استدعاء اطباء صحيين من مناطق عثمانية مختلفة للذهاب الى المناطق المصابة بالداء، وكان من بين اولئك اطباء قدموا من الحُدَيدة في اليمن[1].

إسهامات الاطباء والدبلوماسيين الغربيين

لقد كان هناك العديد من الاطباء والخبراء الصحيين الاجانب الذين خدموا مع اقرانهم العثمانيين في العراق في فترات مختلفة. وقد تم الحاق بعض هؤلاء بالدوائر الصحية في المدن الرئيسة والبلدات، بينما عمل آخرون في محطات الحجر الصحي الحدودية. ونسب الجراح البريطاني كولفيل ازدياد عدد الخبراء الغربيين العاملين في القطاع الصحي العثماني في العراق الى تسريح الحكومات المحلية بعض المسؤولين الصحيين الذين تنقصهم المعرفة العلمية من الخدمة واستبدالهم بملاك اجنبي كفوء[2]. لقد تكثف وجود هؤلاء الخبراء في قطاع الصحة في العراق منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فمثلا، سبق للدكتور ميلنغن ان خدم خلال تلك المدة كطبيب حجر صحي في بغداد[3]، كما حقق في طاعون بغداد في آذار 1876[4]. وكان الايطالي المولد الدكتور بادوان ايضا احد الخبراء الغربيين الذي تولى ادارة صحة بغداد وخدم في العراق لمدة طويلة[5]. وعندما اجتاح الطاعون الهندية في عام 1867، ترأس بادوان اللجنة الصحية

1 (B. M. J), Vol. 1, No. 1058, April 9, 1881, P. 566.
2 Colvill, Short Report on Cholera Epidemic in Turkish Arabia in 1870-71, P.39.
3 Dickson, On Cholera in Persia, 1866-68, P. 260.
4 "From the Report of the Medical Officer for 1876", P. 26.
5 Joseph J. Malone, Surgeon Colvill's Fight Against Plague and Cholera in Iraq, 1868-1878, "American University of Beirut Festival Book", Edited by Fuat Sarruf and Suha Tamim, Beirut, 1967, P. 164.

التي زارت هذه المنطقة لتتولى التحقيق بشأن اسباب وطبيعة المرض[1]. في السياق ذاته، كان هناك في عام 1870 مفتشين صحيين اوربيين موزعين على محطات الحجر الصحي النائية في البصرة والسليمانية وخانقين ومندلي[2]. اضافة الى هؤلاء، كان هناك الطبيب النمساوي ادلر الذي شارك في اللجنة التي حققت في طاعون عام 1876[3]. لقد خدم ادلر في المجال الطبي في العراق لسنين عدة، وكان معروفا لدى العراقيين بولعه بجمع العملات القديمة[4]. وعمل الايطالي المولد جيوفاني كابيادس في العراق اثناء التفشيات الوبائية. فعندما انتشر الطاعون في الحلة وبغداد في 1876-1877، زار كابيادس مع اطباء ومساعدين طبيين آخرين المناطق التي ضربها الوباء. لقد عالج كابيادس وقتذاك قرابة الفين مريض بدون ان يُصاب بالطاعون[5]. وحظيت ملاحظاته الميدانية عن هذا التفشي الوبائي بتقييم كبير[6].وقد خدم كابيادس لاحقا في اليمن حيث انتشر هناك التهاب الكبد وحمى الملاريا. ان هذا الموظف الصحي المتقد الذهن، المتحمس، والذي عمل بلا كلل في خدمة ادارة الصحة العثمانية، كما وُصف في نعيه، توفي في بوشهر بايران في 26 ايلول 1881[7]. وخلال عقد السبعينيات من القرن التاسع عشر، كان الطبيب اليهودي الالماني، برنهارد بك، يقيم في بغداد. وعندما اندلع الطاعون في المدينة في ربيع عام 1876، اعتقد هذا الطبيب بان المرض لم يكن طاعونا، وانما

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 49, 51.
2 Colvill, Short Report on Cholera Epidemic in Turkish Arabia in 1870-71, P.39.
3 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 294.
4 العزاوي، ج8: 1872-1917، ص 126
5 Hirsch, Vol.1, PP. 536-537.
6 (B. M. J), Vol. 1, No. 949, March 8, 1879, P. 339.
7 "The Medical Times and Gazette: A Journal of Medical Science, Literature, Criticism, and News", Vol. 2, (London: October 22, 1881), P. 503.

نوع من حمى الملاريا التي سمّاها الحمّى الدمّلية. لقد توصل برنهارد بك الى هـذا الاستنتاج بعدما عاين 200 اصابة في بغداد[1]. على اي حال، لقي تقييم دكتـور برنهارد بك عن هذا الاندلاع انتقادا قويا من لدن كولفيل وآخرين[2].

وعمل عدد آخر من الاطباء الاوربيين ايضا خلال ثمانينيات القرن التاسع عشر في مناطق مختلفة من العراق. فقد عُين طبيب الماني في محطة الحجر الـصحي في خانقين في عام 1881. وخدم في السنة ذاتها الدكتور زيـترر في بغـداد مفتـشا صحيا[3]. وعُدّ الدكتور لويز مفتشا صحيا مرموقا لبغداد في عام 1884، وبقـي في منصبه لغاية اواخر القرن التاسع عشر. لقد اسهم لويز في اللجان الـصحية الـتي حققت في العديد مـن التفـشيات الوبائيـة، مثـل طـاعون بـدرة في عـام 1884، وكـوليرا الناصـرية في عـام 1889[4]. وسـاهم لـويز ايـضا في مهـام ذات صـلة باجراءات الحجـر الـصحي وبالتـدابير الوقائيـة في عـامي 1892 و1897[5]. وفي غضون تلك المدة، خدم اطباء اجانب آخرين في مناطق عراقية متفرقة بـضمنهم،

1 "Views of Dr. Bick on Nature of Baghdad Disease", in, Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague, Presented to Both Houses of Parliament of Common of Her Majesty, 1879, (London: George Edward Eyre and William Spottiswoode, 1879), P. 36.

2 Malone, P. 171.

3 "Health and Sanitary Conditions in Turkey", in "Reconstruction in Turkey: A Series of Reports Compiled for the American Committee of Armenian and Syrian Relief", P. 77; (B. M. J), Vol. 1, No. 1058, April 9, 1881, P. 566.

4 (B. M. J), Vol. 1, No. 1220, May 17, 1884, P. 964; (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, P. 374.

5 "Annual Report of the Supervising Surgeon-General of the Marine-Hospital Service of the United States for the Fiscal Year 1893", Vol. II, (Washington: Government Printing Press, 1895), P. 295; (B. M. J), Vol. 1, No. 1887, February 27, 1897, P. 551.

ملاكيس وفورس، اللذان كانا طبيبين صحيين للبصرة؛ وهامبورغ، المفتش الصحي للسليمانية، ونيكوليدس، المفتش الصحي لخانقين[1].

ويُعد وليم هنري كولفيل الطبيب الاكثر تألقا بين اقرانه الغربيين الذين عملوا في العراق خلال الفترات العثمانية المتأخرة. لقد مُنح كولفيل، البريطاني المولد، شهادة الدبلوم في الجراحة من كلية الجراحين الملكية في لندن في نيسان 1855[2]. وقبل ذهابه الى العراق، عمل جراحا في الادارة الطبية لحكومة الهند. وقد واتت كولفيل الفرصة لاحقاً لتحديث معلوماته عن الاوبئة عندما هو أُلحق بالمقيمية البريطانية في بوشهر بايران. ووفقا لدراسة عن جهوده الطبية اعدها جوزيف جي. مالون في عام 1966، فأن الجراح البريطاني كولفيل بدأ خدمته في العراق في عام 1868[3]. لكن بعض المصادر الارشيفية، وبضمنها تقاريره الخاصة، تؤكد تماما بأن كولفيل كان جراحا ملحقا بالمقيمية البريطانية في بغداد في منتصف حزيران 1867. علاوة على ذلك، اوضحت مجلة بريطانية صادرة في تموز 1867، بأن كولفيل ترأس اللجنة الطبية التي زارت المناطق التي ضربها الطاعون في الهندية في السنة المذكورة[4]. على اي حال، فبسبب اسهامه الفاعل في التحقيق عن الطاعون في الهندية، فأن حكومة بغداد المحلية استعانت بخدمات كولفيل ايضا عندما انتشر الطاعون في بغداد ومناطق عراقية اخرى في عام

1 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, PP. 127, 141-142, 144; (P. H. R), Vol. 12, No. 11, March 12, 1897, P. 263.

2 "Association Medical Journal", Vol. 3, No. 119, (London: April 13, 1855), PP. 357-358.

3 See: Malone, PP. 163-177.

4 "The Lancet", Vol. 2, (London: For July 27, 1867), P. 111; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 49, 54.

1876[1]. ومع ان الطب كان المجال الرئيسي لاختصاصه، الا ان كولفيل وجد نفسه احيانا في مسؤولية بعض المهام الدبلوماسية والقنصلية. لاغرو والحال كذلك، ان وصفته دراسة بانه كان "رجلا لكل المواسم"[2].

وفيما يتعلق بدراساته عن الاوبئة في العراق ومناطق اخرى، فقد قدم كولفيل اربعة تقارير مهنية ثمينة على نحو بارز. وبسبب القيمة العلمية العالية لهذه التقارير، فأن العديد من علماء الاوبئة والاطباء الغربيين استقوا معلومات مهمة منها. لقد تعاملت اغلب هذه التقارير، التي صدرت في المدة بين 1867 و1877، مع موضوعات ذات صلة بتفشيات الطاعون والكوليرا التي حدثت في ولايات العراق ومناطق عثمانية اخرى. لكن بعض من تقاريره ودراساته الاخرى اخذت مسارات مختلفة وناقشت موضوعات ليست على صلة بالصحة او الطب. فمثلا، تضمن احد تقاريره الذي كتب في عام 1874 ملاحظات عن الانتاج النباتي والاقتصاد الريفي لولاية بغداد. وحتى في تقريره هذا اظهر كولفيل جدارة لاتضاهى[3].

لقد ركزت وجهات نظر كولفيل على الخطوات التي كان يجب ان تتبعها السلطات العثمانية في العراق لمكافحة الاوبئة، وعلى الاصلاح في مجال الصحة العامة. لقد دعم كولفيل وبقوة مسألة تطوير الاجراءات الصحية وحماية السكان في المناطق الموبوءة. كما حث كولفيل ايضا حكومة بغداد العثمانية على تبني

---

1 (B. M. J), Vol. 1, No. 797, April 8, 1876, P. 452.
2 Quoted in: Malone, P. 164.
3 For details on this report, see: William Henry Colvill, Some Observations on the Vegetable Productions and the Rural Economy of the Province of Baghdad, "The Journal of the Linnean Society. Botany", Vol. XIV (14), (London: 1875), PP. 399- 409.

مشاريع تجفيف المستنقعات ودعم الاشغال العامة. اضافة لذلك، هو دعا لزيادة الوعي العام بالصحة والنظافة الشخصية[1].

وخلال مدة خدمته في العراق، زود الدكتور كولفيل، كمراسل طبي قدير، المجلة اللندنية الشهيرة والمرموقة المجلة الطبية البريطانية بآخر الاخبار عن الاندلاعات الوبائية في العراق العثماني[2]. وحالما انهى كولفيل عمله في العراق في عام 1878، عاد الى بلده حيث تم انتدابه لمهام تتعلق بالتحقيق في اندلاعات وبائية حدثت في بعض مناطق العالم. فعندما تفشى الطاعون في استراخان في روسيا في عام 1879، ارسلت معظم الحكومات الاوربية مندوبين عنها لهذا البلد لاجراء تحقيق عن الوباء. من جانبها، اختارت الحكومة البريطانية كولفيل والدكتور جوزيف فرانك بين لهذه المهمة[3]. ولتسهيل عملهما، اوصت لجنة الطاعون في كلية الاطباء بلندن بان يمنح كلاهما مبلغ عشرة جنيهات استرلينية يوميا ونفقات سفر، وان تضمن الحكومة البريطانية حياتهما[4]. ونظير خدماته الجليلة والمرموقة في مجال مكافحة الاوبئة، أنتخب كولفيل في 14 حزيران 1876، عضوا بارزا في الجمعية الوبائية البريطانية[5]، كما رقي في عام 1881 الى رتبة اعلى في مجاله تخصصه الجراحي[6].

ومن واشنطن، المدينة النائية في العالم الغربي المتقدم، قدم جون سي. ساندبرغ الى بغداد ليخدم كقنصل للولايات المتحدة. وبخلاف قناصل غربيين

---

1 Malone, PP. 166-167.
2 (B. M. J), Vol. 2, No. 811, July 15, 1876, P. 83.
3 (B. M. J), Vol. 2, No. 2604, November 26, 1910, P. 1749.
4 (B. M. J), Vol. 1, No. 948, March 1, 1879, P. 320.
5 (B. M. J), Vol. 1, No. 808, June 24, 1876, P. 799.
6 (B. M. J), Vol. 2, No. 1079, September 3, 1881, P. 420.

آخرين، لم يمثل ساندبرغ بلده دبلوماسيا فحسب، بل عمل كدبلوماسي ومقاتل اوبئة في آن واحد. ولد الدكتور ساندبرغ في النرويج في عام 1843. لقد كان ساندبرغ نرويجيا مثاليا، واستهل سيرته المهنية كبحار. لقد جاء ساندبرغ الى الولايات المتحدة وهو شاب يافع، ودرس الطب في كلية شيكاغو الطبية، حيث تخرج فيها بمرتبة الشرف. وقد مارس الطب في ولايات امريكية عدة لغاية ان قاده بحثه عن العمل الى اوربا، التي شد رحاله اليها ودرس فيها ايضا. عاد ساندبرغ فيما بعد الى الولايات المتحدة واستقر في مدينة سياتل، عاصمة ولاية واشنطن. وفي ذلك المكان، مارس ساندبرغ مهنته في المدة من 1881 ولغاية 1886، ثم أُنتخب آنذاك سكرتيرا للجمعية الطبية الاقليمية. ومن سياتل، غادر ساندبرغ الى كاليفورنيا ليعمل ويعيش هناك[1]. وقبل تعيينه قنصلا في العراق، خدم ساندبرغ لسنوات عدة في الهند. ان مدة خدمته في بلاد الشرق قد منحته الفرصة لان يلم ويتحدث بالعديد من اللغات الشرقية. فبالاضافة الى مهارات ساندبرغ السابقة في التحدث بطلاقة باللغات النرويجية، والسويدية، والدانماركية، والالمانية، والفرنسية، كانت لديه القدرة في التحدث بالفارسية، والعربية، والهندية، والبنغالية[2]. وطبقا للسجل الرسمي لوزارة الخارجية الامريكية الصادر في 1893، تم تعيين جون ساندبرغ قنصلا في بغداد بتأريخ 29 ايلول 1892[3]. وكطبيب، فأن اختياره لهذا المنصب الدبلوماسي لم يكن من قبيل الصدفة او من

1 "The Medical Sentinel", Vol. 20, No. 12, "(Portland, Oregon: December 1912), P. 696.

2 "Pacific Medical Journal", Vol. XXXV (35), No. 10, (San Francisco: October 1892), PP. 621-622; "Medical Record: A Weekly Journal of Medicine and Surgery", Vol. 42, No. 19, (New York: November 5, 1892), P. 544.

3 "Register of the Department of State", Corrected to July 1, 1893, (Washington: Government Printing Office, 1893), P. 45.

دون سابقة. لقد كـان مـن المعتـاد في ذلـك الوقـت ان تُمـنح التعيينـات لـبعض العلماء الذين رغبوا بدراسة احوال بلاد الشرق[1]. على اي حال، وصل ساندبرغ بغداد في 21 آذار 1893، كثاني قنصل للولايات المتحدة، ليخلف بذلك مواطنه جون هنري هيتز، الـذي خـدم مـن 1888 ولغايـة 1892[2]. لقـد اثنـت بعـض المجلات الطبية الامريكية على تعيين ساندبرغ، وبالاخص "المجلـة الطبيـة للمحـيط الهادي"، التي ضمت ساندبرغ سابقا كرئيس مـشارك لهيئـة تحريرهـا. لقـد علقـت المجلة على هذا التعيين بالقول: "ان الهجمات المتكـررة للاوبئـة في الـشرق تعطينـا سببا كافيـا لان نحـث حكوماتنـا المتحـضرة لارسـال هكـذا رجـال مثـل دكتـور ساندبرغ لان يشغلوا منصبا قنصليا في كل مدينـة مهمـة مـن بـلاد الـشرق، لان نفوذهم ومعرفتهم بالعلوم الصحية قد تجعل مثل تلـك الاوبئـة غـير معروفـة في المستقبل". وبينت الصحيفة، ان المنصب ليست له اهمية تجارية فقـط، بـل علميـة كذلك، لان ساندبرغ سوف يعمل تحقيقات عن الاوبئة والامراض المعديـة تحـت اشراف معهد سميثسونيان في واشنطن[3].

حالما تولى سـاندبرغ منـصبه في بغـداد، شـرع في ممارسـة مهمتـه الانـسانية كطبيب. وطبقا لاحدى مراسلاته المبكـرة المؤرخـة في 27 نيـسان 1893، عـالج ساندبرغ مجانا من ستين الى ثمانين مريضا فقيرا كـل يـوم، والـذين كـان اغلـبهم مصابا بـامراض العيـون. ولم يُـستثن حتـى اغنيـاء واعيـان بغـداد مـن خدماتـه

1 "The Medical Sentinel", Vol. 20, No. 12, P. 696.
2 "The American Educational Review", Vol. XXXI (31), No. 11, (Chicago: American Educational Co., August 1910), P. 705.
3 "Pacific Medical Journal", Vol. XXXV (35), No. 10, PP. 621-622.

الانسانية، وبضمنهم نقيب اشراف بغداد[1]، الرجل الاكثر نفوذا وتـأثيرا يومـذاك في المدينة[2]. كان سجل ساندبرغ المهني، في الواقـع، حـافلا بالمبـادرات الانـسانية والاخلاقية التي جسدها اما من خلال مناقشته للحلول المناسبة لمشاكل الـصحة العامة، او من خلال تقديمه للآخرين مساعدات طبية مجانية. فطوال مدة اقامته في بغداد، عبر ساندبرغ عن قلقه العميـق بـشأن شـرب اهـالي المدينـة مـاءا ملوثـا. وكانت مخاوفه هذه تتجلى بوضوح في بعـض مـن مراسـلاته. ومـن اجـل تلـك الغاية، هو التقـى الـوالي في عـام 1894 محـاولا اقناعـه بادخـال الاصـلاحات المطلوبة، لكن دون جـدوى[3]. وكـان سـاندبرغ يخـاطر احيانـا بحياتـه في مـساعيه الانسانية لمساعدة الناس في بعض المناطق التي ضربها الوباء. فمثلا، عنـدما غمـر نهر دجلة بغداد في عام 1894، تفشت حمى خبيثة وقاتلـة بـين الفلاحـين الـذين عاشوا على طول ضفة النهر بمسافة نحو 30 الى 40 مـيلا (تقريبـا بـين 48 و64 كم) الى الجنوب من مدينة بغداد. لقد كـان اغلـب هـؤلاء المرضـى مـن الفقـراء الذين حُرموا انذاك من اية معونة طبية. وعندما أُبلغ سـاندبرغ يـوم 19 حزيـران بالاوضاع الصحية المزرية في هذه المناطق، صعد بنفسه، وقبل شروق شمس يـوم العـشرين مـن حزيـران، الى گـفة متأبطـا اوقيـتين مـن مـادة الكيـنين، وبعـض الكالوميل[4]، ومسحوق الدوفرز[5]، وملح الابـسوم[6]. ولمسافة نحو اربعة اميال (ستة

1 هو رئيس الاعيان من اسرة الكيلاني في بغداد الذين انحدر اغلبهم من الشيخ الصوفي عبد القادر الكيلاني

2 Proceedings of the American Oriental Society at Its Meeting in New York, March 29-31, 1894, "Journal of the American Oriental Society", Vol. 16, (New Haven: Tuttle, Morehouse & Taylor, 1896), Appendix, P. 1.

3 Sundberg, A Letter from Bagdad, P. 648.

4 يستخدم كمسهل

5 يستخدم كمسكن للآلام

6 يستخدم كمسهل وله استعمالات طبية اخرى

كيلومترات تقريبا) الى اسفل النهر من بغداد، هبط ساندبرغ بين الاكواخ المحاصرة بالمياه، حيث اخبره الفلاحون ان جميعهم تقريبا مرضى. وعندما اوضح القنصل الامريكي للفلاحين بأنه هو طبيب، وانه جاء ليعطيهم الدواء، اخبره هؤلاء الفقراء بانهم لايملكون نقودا يدفعونها اليه. لكن عندما اكد لهم القنصل بانه جاء ليعالجهم ليس من اجل المال، بل من اجل الله، اخذت اصوات الابتهاج تتعالى بينهم[1].

وقد كتب ساندبرغ اثناء فترة خدمته في العراق رسائل وبرقيات تتضمن تعليمات ونظم وتقارير ...الخ. لكن ملاحظاته عن التفشيات الوبائية في العراق، والتي أستخدمت في فصول هذا الكتاب، لها مكانة اكاديمية واخلاقية كبيرة. وبالاضافة الى اهتماماته الدبلوماسية والطبية، نشر ساندبرغ مراسلات وكتابات عديدة عن العراق في المجلات الامريكية. فمثلا، ان دراسته الابداعية المميزة المسماة "رسالة من بغداد"، تقدم للقارئ ملاحظات متنوعة عن الصحة العامة، والمناخ، والاخلاق، والممارسات الشاذة، والجرائم في بغداد ومناطق عراقية اخرى[2].

لقد خدم ساندبرغ في العراق لمدة عام واحد في عهد ادارة الرئيس الامريكي بنيامين هاريسون (1889-1893)، وثلاث سنوات في عهد الرئيس كروفر كليفلاند (1893-1897). وقد استقال ساندبرغ من منصبه في عام 1895، وانكب مرة اخرى على دراسة المشاكل الاجتماعية. لقد امضى ساندبرغ السنتين الاخيرتين من القرن التاسع عشر في روما في الدراسة، والقاء

1 (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 31, August 3, 1894. P. 600.
2 See his sketch: Sundberg, "A Letter from Bagdad", PP. 647- 652.

المحاضرات، وجمع بيانات من اجل النشر. وفي عام 1907، عاد ساندبرغ الى سياتل واستأنف مهنته وابحاثه. وقد عانى لبعض الوقت من تصلب في الشرايين. وخلال اجتماع لاحدى الجمعيات الطبية المنعقد في سياتل ليلة 18 تشرين الثاني 1912، نُقل ساندبرغ الى المستشفى بعد ان أُصيب بالدوار، حيث توفي هناك في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي[1].

بالاضافة لهؤلاء الخبراء المذكورين سابقا، كان هناك آخرين من جنسيات بريطانية وفرنسية، الذين بالرغم من انهم لم يُعينوا لاي منصب طبي او دبلوماسي في العراق، لكنهم كتبوا دراسات وتقارير رصينة عن التفشيات الوبائية التي حدثت في هذا البلد اثناء الفترات العثمانية المتأخرة. ويُعد جون رادكليف الاكثر تألقا بينهم. ولد رادكليف في يوركشاير ببريطانيا في عام 1830. وتلقى فيما بعد تمرينه الطبي في كلية الطب في ليدز. وعندما اندلعت حرب القرم (1853-1856)، أُلحق رادكليف بمقر قيادة الجيش العثماني ليقدم مساعدة جراحية للقطعات العثمانية المرابطة في ميادين القتال. وخلال خمسينيات وسبعينيات القرن التاسع عشر، انصبت اهتمامات رادكليف البحثية على التفشيات الوبائية في الشرق الاوسط، وبالاخص تفشيات الطاعون والكوليرا. ان مقدرته الفائقة في جمع ودمج معلومات متناثرة عن الامراض المعدية من مصادر مختلفة، قد جعلت منه مؤرخا بارزا في ميدان الاوبئة. وفي عام 1879، بدأ رادكليف يعاني من بعض المشاكل الصحية، وتوفي في ايلول 1884[2]. لقد تضمنت تقارير رادكليف الصحية عن العراق معلومات ذات قيمة عليا بشأن تفشيات الطاعون

---

1 "The Medical Sentinel", Vol. 20, No. 12, P. 696.
2 (B. M. J), Vol. 2, No. 1238, September 20, 1884, P. 588.

والكوليرا التي حدثت في هذا البلد في السنوات 1853، و1875، و1876، و1877[1].

وكان الطبيب البريطاني، اي. دي. ديكسون، هو الآخر خبيرا متميزا قدم اسهامات بناءة لحقل الاوبئة في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر. وكان ديكسون قد أُلحق اصلا بالسفارة البريطانية في استانبول. وبذلك أُتيحت له الفرصة من خلال هذا المنصب لان يكون على مقربة من مناطق الاوبئة في الشرق الاوسط، بضمن ذلك العراق. لقد ركزت تقارير وكتابات ديكسون عن اوبئة العراق على طاعون عام 1876-1877، وكوليرا عامي 1889 و1890[2].

وقدم عالم الاوبئة الفرنسي ثولوزن ايضا دراسات مهمة في مجال الاوبئة في العراق. لقد عمل ثولوزن جراحا في الجيش الفرنسي، وبعد ذلك بروفيسورا في مستشفى فال دي كريس بباريس. وقد وصل ثولوزن الى طهران في عام 1864، ورقي في المناصب لغاية ان اصبح كبير اطباء الشاه ومستشارا مرموقا للصحة العامة في ايران[3]. وعندما اندلع الطاعون في الهندية في عام 1867، كتب ثولوزن دراسة بعنوان 'وباء الطاعون في بلاد الرافدين في عام 1867'، التي ضمنها وجهات نظره الخاصة بشأن الاسباب والاعراض وطبيعة المرض[4].

---

1 لقد أُستخدمت اربع من دراسات رادكليف في الكتاب

2 لقد أُستخدمت دراستين لديكسون في الكتاب

3 J. Netten Radcliffe, A Short History of Plague from Its Reappearance in 1853, "The Medical Times and Gazette: A Journal of Medical Science, Literature, Criticism, and News", Vol. 1, for 1879, (London: J & A. Churchill, 1879), PP. 251-252; Elgood, P. 511.

4 See his distinguished monograph: "Une Epidemie de Peste en Mesopotamie en 1867", (Paris: Victor Masson Et Fils, 1869).

اجمالا يمكن القول ان التدابير الصحية العثمانية، وكـذلك جهـود الخـبراء الصحيين الاجانب وعلماء الاوبئة قد فشلت جزئيا في القضاء على الاوبئـة، ولم يمكنها التقليل من حـدة الانـدلاعات الوبائيـة المتكـررة. لاغرابـة، اذن، ان نـرى تداعياتها الخطيرة بوضوح في المجالات المختلفة للدولة والمجتمـع في العـراق اثنـاء العهد العثماني المتأخر.

الفصل الرابع

تداعيات الأوبئة في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر

الفصل الرابع
تداعيات الأوبئة في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر

التداعيات السكانية

خلافا لغيرها من الكوارث، كانت الاوبئة الاكثر فتكا تقضي على الناس ولكن ليس على الملكية. وهكذا عُد التدمير السكاني للهجمات الوبائية امرا محتوما بوجه عام. لقد مثلت الأوبئة تهديداً وجودياً لسكان العراق العثماني وترتبت عليها عواقب وخيمة للغاية. لقد حصدت آفة الطاعون المروعة، مثلا، ارواح العديد من الناس في المدن والبلدات والقرى. وقد شخص عالم الاوبئة الفرنسي ثولوزن محنة اهالي بغداد الطويلة مع هذا الوباء بدقة، حين وصف البغداديين بانهم سكان السكرافيولا[1] على نحو بارز[2].

ونتيجة للنقص الحاد في البيانات الرسمية عن الوفيات بسبب الاوبئة في العراق للفترة من النصف الثاني للقرن السابع عشر ولغاية النصف الاول من القرن التاسع عشر، فأن تتبعا دقيقا لآثار الاوبئة السكانية يبدو المهمة الاصعب لهذه الدراسة. ولتعويض هذه العيوب، فأن الأرقام والنسب –التي هي كلها قابلة للتعديل لمدى معين– سوف نستخدمها هنا لتوضيح التكلفة السكانية الباهظة الثمن للأوبئة. لقد قُدرت كلفة موجات الطاعون الخمس التي اكتسحت بغداد في السنوات 1689، 1690، 1772، 1773، و1831، بنحو 520.000

1 تورمات الغدد الليمفاوية

2 Tholozan, P.31.

نسمة[1]. وقد اباد طاعون عام 1831 وحده مالايقل عن ثلثي او 66.6٪ من سكان بغداد[2]. وسلب الطاعون في الموصل في عامي 1772 و1831، ارواح نحو 80٪ و71.5٪ من السكان على التوالي[3]. وقُدر العدد الكلي للوفيات التي سببها الطاعون والكوليرا في البصرة، في السنوات 1691، 1773، 1780، و1821، بما يربو على 553.000 نسمة[4]. وعندما زار وباءا الطاعون والكوليرا البصرة في عام 1821، قضيا على ما يقرب من 40٪ من سكانها[5].

وسلطت دراسات وتقارير الاطباء الاجانب، والقناصل، والملحقين القنصليين العاملين من حين لآخر في العراق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الضوء على البعد الكارثي للاوبئة الفتاكة. فللمرة الاولى يمكن ان نعثر على جداول واحصائيات هي، الى حد ما، دقيقة في تسجيلها لاعداد الوفيات والاصابات الناجمة عن الاوبئة.

في اثناء دراستنا للتداعيات السكانية للاوبئة، نحن يجب ان نضع في الاعتبار مسألتين اساسين: اولا، كثافة السكان في البقع التي يضربها الوباء؛ ثانيا، النسب العالية جدا للوفيات الناجمة عن هجمات الاوبئة الاكثر فتكا، كالطاعون والكوليرا. ان نسب الوفيات هذه ضرورية لاعطاء فهم افضل للتدمير السكاني

---

1 انظر: جدول- ا، الفصل الاول

2 Fraser, P. 245; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 46-47.

3 الصائغ، ص 293. Southgate, P. 241 ;

4 انظر: جدول- ا، الفصل الاول.

Sticker, P. 210.

5 انظر: جدول-ا، الفصل الاول

Keith, P. 273.

الذي تحدثه الاوبئة. ولدينا في هذا المجال بعض النماذج الجديرة بالذكر بشأن نسب الوفيات التي نعتقد انها دقيقة الى حد معقول. فعندما ضرب الطاعون الديوانية والمناطق المحيطة بها في 1873-1874، كانت نسبة الوفيات 5٪ من العدد الاجمالي للسكان[1]. وحالما عاود الطاعون ظهوره مرة اخرى في الديوانية في 1874-1875، بلغت نسبة الوفيات 16٪ من عدد السكان الاجمالي[2]. وعندما هاجم الطاعون بغداد والمناطق المجاورة في عام 1876، ازهق ارواح نحو 2.616 من مواطنيها، او ما يعادل نسبة 4٪ من العدد الكلي للسكان المقدر آنذاك بنحو 60.000 نسمة[3]. وتبدو الخسائر بالحياة التي يسببها الطاعون احيانا كارثية بكل المقاييس، خصوصا عندما تكتسح الهجمات الوبائية المميتة البلدات والقرى العراقية الصغيرة. فمثلا، عندما اندلع الطاعون في بعض قرى الهندية في عام 1867، قتل قرابة 9.5٪ من سكانها[4]. واكتسح الوباء ذاته الجعارة (الحيرة) في 1880-1881، التي كانت آنذاك ناحية بعدد سكان يبلغ 1.200 نسمة. لقد كانت الفاجعة السكانية مريعة في هذا المكان، لان الطاعون افنى مايقرب من 29٪ من السكان[5]. ولوحظ تأثير آخر مدمر للاوبئة بوضوح في عفج، البلدة الصغيرة التي تقع الى الجنوب من بغداد. لقد انتشر الطاعون هناك في 1880-1881، وبلغت نسبة الوفيات الناجمة عنه بين السكان 15.5٪[6].

1 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme, P. 169; Sticker, P. 333.

2 Colvill, Report on Plague in Mesopoptamia 1874-1875, PP. 20-21.

3 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", PP. 289, 292.

4 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 51-52, 54.

5 "Gazette Hebdomadaire de Medecine et de Chirurgie", P. 243.

6 "Revue Scientifique", Tome V (5), No. 19, Mai 9, 1896 (Paris: 1896), P. 604.

وبالامكان تطبيق طريقة النسب المئوية المعتمدة مع وفيات الطاعون على ضحايا الكوليرا ايضا. فمثلا، عندما هاجمت الكوليرا السليمانية في عام 1865، التي كانت آنذاك مدينة بعدد نفوس يقدر بنحو 10.000 نسمة، بلغت نسبة الوفيات 3٪ من السكان، بينما بلغت النسبة المئوية للوفيات والاصابات مجتمعة 6٪[1]. وحينما ضرب الوباء ذاته كركوك في عام 1871، التي كان عدد نفوسها آنذاك يبلغ نحو 25.000 نسمة، بلغت نسبة الوفيات جراء هذا الهجوم الوبائي 4.8٪ من السكان[2]. وعندما زارت الكوليرا البصرة وضواحيها في عام 1893، التي قدرت السالنامة العثمانية عدد نفوسها يومذاك بنحو 43.458 نسمة[3]، قتل الوباء ما يربو على 1770 شخصا، وهو رقم يمثل تقريبا 4٪ من السكان[4]. ويمكن رؤية الضرر السكاني الذي الحقه تفشي الكوليرا في البصرة في عام 1893 بجلاء ايضا في ابي الخصيب. ففي هذه المنطقة الصغيرة، التي قُدر عدد قاطنيها بنحو 8.505 نسمة[5]، كانت نسبة الوفيات فيها 3.6٪[6]. وضربت الكوليرا ايضا عانه في اعالي الفرات في عام 1903. لقد جلب الوباء لهذه المدينة الصغيرة، التي كان تعداد نفوسها يومذاك نحو 3.000 نسمة، كارثة سكانية موجعة. فبينما كان العدد الكلي للاصابات 526 حالة اصابة، وقفت قائمة

1 "Report a la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", P. 20.
2 Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, P. 123.
3 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", P. 108.
4 Barry, PP. 280-281; (W. A. S. R.), Vol. 9, No.6, February 9, 1894, P. 78.
5 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", P. 108.
6 Barry, PP. 280-281.

الخسائر بالأرواح عند 281 حالة وفاة[1]. لقد بلغت نسبة الوفيات في عانه وما جاورها 9.3٪ من السكان، فيما كانت النسبة المئوية للاصابات والوفيات مجتمعة 26.9٪. وفي السنة ذاتها، حدثت فاجعة سكانية مماثلة في كربلاء، التي قدرت سالنامة ولاية بغداد عدد نفوسها يومذاك بنحو 11.215 نسمة[2]. وقد بلغت الخسائر بالارواح من الكوليرا في المدينة 634 حالة وفاة، او تقريبا 5.6٪ من العدد الاجمالي للسكان[3].

ومع ان الهجمات الوبائية استهدفت كل الفئات العمرية بالتساوي، فأن الوفيات كانت تتصاعد من حين لآخر بين الاطفال والشباب الذين كانوا عناصر حيوية في ابقاء التوازن السكاني لمصلحة الاجيال العراقية التالية. فمثلا، عندما اندلع الطاعون في الحلة في الفرات الاوسط في عام 1876، كان هناك 1.826 حالة اصابة مسجلة بالطاعون. وقد تماثل للشفاء 865 شخصا، بينما لقي 961 شخصا مصرعهم. وفي جدول يقدم بيانا تحليليا لهذه الحالات، فأن المجموعات الرئيسية الثلاث للمضيّفين البشريين لعدوى الطاعون، كانوا: اطفال، وشبان، وشابات باعمار تتراوح بين شهرين و29 سنة. ان عدد المجموعة الاولى، التي ضمت الاطفال حديثي الولادة والاطفال من شهرين الى تسع سنوات، كان 277؛ وعدد المجموعة الثانية، التي تضم اشخاصا بعمر من 10 سنوات الى 19 سنة، كان 617؛ وعدد المجموعة الثالثة، التي تضم اشخاصا من عمر 20 سنة الى

1 Bruce Low, Report on the Manifestations of Cholera throughout the World during 1903, P. 314.

2 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", P. 162.

3 "A. N. A", Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 206, dated December 24, 1903, Subject: Epidemic, Serial number: 275-276; Clemow, P. 251.

29 سنة، كان 432[1]. وطبقا لهذه الارقام، كونت المجموعة الاولى 15.1٪ من العدد الكلي للحالات؛ بينما الفت المجموعة الثانية 33.7٪؛ والمجموعة الثالثة 23.6٪. وكونت كل هذه المجموعات مجتمعة 72.4٪ من العدد الاجمالي للحالات. وبالامكان ايضا ان نستمد أنموذجا آخر من مسرح مختلف لذات الدراما الوبائية لعام 1876. ففي تلك السنة، زار الطاعون بغداد، حيث تم الابلاغ عن 534 حالة اصابة. وتعود 368 حالة من هذا العدد لمجموعتين رئيسيتين: الاولى، تضم اشخاصا باعمار تتراوح بين سنة واحدة و12 سنة؛ اما المجموعة الثانية فتضم اشخاصا تتراوح اعمارهم بين 12 سنة و30 سنة. وكونت المجموعة الاولى مانسبته 32.9٪، بينما كونت الثانية مانسبته 35.9٪ من الحالات. وبلغت النسبة المئوية لكلا المجموعتين 68.8٪ من العدد الكلي للحالات المسجلة[2].

وقد تبدو قائمة الوفيات في النماذج المذكورة اعلاه انتقائية اكثر مما هي عشوائية، لانها اشتملت على حالات تعود في الغالب لفئات عمرية اصغر سنا. لكن لم تُثبت الهجمات الوبائية للطاعون طوال تاريخ العراق العثماني انها كانت لديها افضليات في اختيار الضحايا وفق معايير عمرية. فلم يدخر الطاعون احيانا حياة احد من ضحاياه الا لاسباب ذات صلة بمفاهيم الثقافة والوعي الصحي، وبالتحديد النظافة العامة. وفيما عدا ذلك، جغرافيا، هو كان يضرب في كل الاتجاهات وفي كل الاماكن؛ اجتماعيا، فأن ضيوفه البشريين كانوا من كل الاصناف والشرائح الاجتماعية، وبالاخص الفلاحين والفقراء في الطبقة المتدنية،

1 انظر: جدول- 12، الفصل الثاني

2 انظر: جدول- 13، الفصل الثاني

وبدرجة اقل بكثير افراد النخبة الحاكمة والطبقة العليا في المجتمع. وربما يكمن تفسير كون الطاعون يركز هجماته ضد الفئات العمرية الاصغر سنا في طبيعة الهدف المهاجم. فكما يُلاحظ في النماذج المذكورة آنفا، فأن البقع المضروبة بالطاعون، التي تواجدت في مركزين حضريين هما الحلة وبغداد، ضمت كثافة سكانية عالية. ففي هاتين المدينتين، احتشدت العوائل جنبا الى جنب في احياء وازقة فقيرة وبيوت اعوزتها التهوية والنظافة بوجه عام. لقد اعطى هكذا نمط من المعيشة غير الصحية الطاعون الفرصة لان يفتك باعداد كبيرة من افراد هذه العوائل، وبالاخص اولئك الذين كانوا من الفئات العمرية الاصغر سنا.

وفي ضوء نقص قاعدة بيانات علمية واحصائيات كاملة ذات صلة بوفيات الاوبئة، وبالاخص الطاعون والكوليرا، فأن من العسير، بل وحتى من المستحيل، حساب اثرهما التدميري على الناحية السكانية بدقة. ففي حين أن بعض الموجات الوبائية غطت ولايات العراق العثماني الثلاث بالكامل، فان الجداول والأرقام المتاحة، المستندة على المنشورات والبيانات العثمانية المتنوعة بشأن الخسائر في الأرواح، لا يمكن أن تُعد موثوقة تماما. على اي حال، نحن نعلم بأن الهجمات المتكررة للطاعون والكوليرا وامراض معدية اخرى كان لها عواقب سكانية بعيدة المدى على العراق العثماني، لانها خفضت باستمرار عدد سكانه وهددت مستقبل اجياله القادمة. لكن في الوقت ذاته استنزفت تلك الاوبئة الى حد كبير امكانيات وقدرات البلاد الاقتصادية والحقت اضرارا فادحة بالانشطة والفعاليات التجارية المتنوعة.

التداعيات الاقتصادية

يمكن ملاحظة وتقييم التداعيات الاقتصادية للاوبئة في العراق العثماني في قطاعات انتاجية مختلفة. وتبدو الزراعة اكثر تلك القطاعات تضررا بالاوبئة. ففي كل مرة ظهر فيها الطاعون او الكوليرا، كانت هناك في الغالب اعداد غفيرة من الفلاحين يُقتلون في الريف العراقي. ويمكن ان تُعزى هذه الحصلية المفجعة لثلاثة عوامل رئيسية: الاول، ان الفلاحين شكلوا غالبية الناس في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر. ويمكن استنتاج هذه الحقيقة من حجم المساحة الكلية للأراضي الزراعية. ففيما عدا الاراضي التي تعتمد بشكل رئيسي على الامطار، كان في العراق في منتصف ثمانينيات القرن التاسع عشر ما يربو على 66 مليون دونم[1] من الاراضي المروية[2]. ثانيا، انعدام شروط ومستلزمات النظافة والصحة العامة في قرى الفلاحين، وبيوتهم، وحقول عملهم. فمثلا، عاش معظم الناس في قرى الهندية، وهي المنطقة الاولى التي ضربها الطاعون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفي كل الفصول في أكواخ بائسة مصنوعة من القصب والحصير[3]. ثالثا، معاناة الريف العراقي في العهد العثماني من النقص الحاد في الخدمات الصحية الحكومية. وكمثل على ذلك، كان غالبية سكان الدليم، الذي كان في عام 1877 قضاءا بعدد نفوس يربو على 45.000 نسمة[4]، يعملون في زراعة

1 الدونم، الذي هو ايضا معروف باسم المشارة، يعادل 0.25 من الهكتار .See: Issawi, P. 480.

2 Gökhan Çetinsaya, Ottoman Administration of Iraq, 1890-1908, 1st Published, (New York: Routledge, 2006), P. 27.

3 Tholozan, P. 32.

4 سالنامة ولاية بغداد، دفعة 2: 1877، ص 127

مناطق واسعة تقع على امتداد نهر الفرات[1]. لقد حُرم كـل اهـالي هـذا القـضاء تماما، ولغاية عام 1913، من اية مستشفى، او عيـادة صـغيرة، وحتـى مـن اي طبيب بلدية، مثلما توضح ذلك السالنامة العثمانية لولاية بغداد للعام المذكور[2]. ويمكـن للمـرء ان يلحـظ مثـل هكـذا ظـروف في نـواحي كويـسنجق ورانيـة في كردستان العراق اثناء العهـد العثمـاني المتـأخر[3]. ولتوضـيح آثـار الأوبئـة علـى مختلف الجوانب الاقتصادية في الريف العراقي في ظل الحكم العثماني، من المهـم جدا اعطاء أمثلة تتعلق بالخـسائر في الأرواح الناجمـة عـن التفـشيات الوبائيـة في مناطق زراعية معينة. هنا تبرز الهندية مرة اخرى مثالا مناسبا. كانت اراضي هذه المنطقة، التي وصفتها السالنامات العثمانية، بأنها منبسطة، خصبة جـدا، وتـصلح لنمو كل انواع الحبوب[4]، تُزرع من قبل عشائر عربيـة، كـآل فتلـة، وبـني حـسن، وبني طرف، وبني اسد وغيرهم[5]. لقد فتك الطاعون بثلاث قرى في تلـك المنطقـة في عام 1867. ومن بين 1150 شخـصا، لقـي 110 اشـخاص مـصرعهم مـن الوباء، او مايعادل نسبة 9.5٪ من السكان الذين كان معظمهم مـن الفلاحـين[6]. انموذج آخر يأتينا من ناحية الدغّارة والقرى المحيطـة بهـا. حيـث عملـت معظـم عشائر هذه الناحية في الزراعة طوال العهـد العثمـاني [7]. لقـد ضـرب الطـاعون

---

1 للتفصيل عن النشاطات الاقتصادية لعشائر الدليم في الزراعة، انظر: "سالنامة ولاية بغـداد" دفعة 22: 1913، ص ص 248-253

2 "سالنامة ولاية بغداد" دفعة 22: 1913، ص ص 126-131

3 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", PP. 195, 201.

4 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", P. 114.

5 "سالنامة ولاية بغداد" دفعة 22: 1913، ص ص 266-267

6 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 51-52, 54.

7 سالنامة ولاية بغداد" دفعة 22: 1913، ص 278 "

الدغّارة، التي قُدر عدد سكانها في العقد الثاني من القرن التاسع عشر بنحو 35.000 نسمة، من كانون الاول 1873 ولغاية حزيران 1874. وبلغ العدد الاجمالي للوفيات نحو 2.000 شخص او 5.7٪ من السكان[1]. وجسدت منطقة زراعية واسعة على شكل مثلث منحصر بين الكوت الى الجنوب الشرقي من بغداد، والشنّافية في الفرات الاوسط، وسوق الشيوخ في جنوبي العراق، انموذجا مثاليا للتدمير الاقتصادي للاوبئة. لقد ضرب الطاعون نصف القرى الواقعة ضمن هذا المثلث في عام 1875، حيث لقي نحو 13٪ من السكان حتفهم بسبب الوباء[2]. على اي حال، عندما نأخذ بعين الاعتبار أن إيرادات القطاع الزراعي في العراق في ظل الحكم العثماني كانت تسهم بشكل رئيسي في الدخل القومي، ندرك فورا المدى الحقيقي للعواقب الاقتصادية المدمرة للهجمات الوبائية في الريف العراقي، التي تنطوي على خفض كبير لعدد العاملين في الزراعة، واختلال مستويات الإنتاج العامة للبلاد.

وكان للاوبئة ايضا تأثير كبير على اقتصاد العراق العثماني من خلال النسب المرتفعة للوفيات والاصابات بين الناس الذين هم في سن العمل في قطاعات الانتاج المختلفة. مثلا، عندما اجتاح الطاعون مدينة الحلة في عام 1876، بلغ العدد الاجمالي للاصابات والوفيات 1.826 شخصا. وكان من بين هؤلاء 847 شخصا في سن العمل، اذ تراوحت اعمارهم من 20 الى 50 سنة[3]. ويمكن اقتفاء اثار وفيات مماثلة بين اشخاص بسن العمل من خلال موجة

1 انظر: جدول-11، الفصل الثاني

2 Colvill, Report on Plague in Mesopoptamia 1874-1875, PP. 20-21.

3 انظر: جدول-12، الفصل الثاني

الطاعون التي اجتاحت بغداد في 1876-1877. لقد جاء اكثر من 50٪ من ضحايا هذا الهجوم من فئات عمرية تراوحت بين 12 و40 سنة[1].

لقد تضررت بشدة ايضا القوة العاملة الماهرة في المراكز الحضرية العراقية، وخاصة في مجالات الحرف اليدوية والأنشطة التجارية في الأسواق المحلية. فقد قتل طاعون بغداد لعام 1831، على سبيل المثال، اغلب التجار والحرفيين في المدينة. لذا لاغرابة ان اختفت بشكل مؤقت بعض الحرف المشهورة في بغداد بعد الكارثة الوبائية، بسبب موت غالبية الحرفيين المهرة[2]. علاوة على ذلك، فقد حرم الطاعون ذاته كل العمال والعاملين بالاجور اليومية، مثل البنائين، النجارين، الحاكة، الخ، من عملهم[3].

ولطالما تضائلت الاسواق واضمحل دورها الاقتصادي بشكل كبير نتيجة للتفشيات الوبائية. فبحسب القنصل الامريكي في بغداد، جون هنري هينز، فانه عندما انتشرت الكوليرا في بغداد في عام 1889، أغلقت تسعة اعشار المحلات، والاسواق، والمكاتب ابوابها، وانه كان من الصعوبة بمكان الحصول على ابسط ضروريات الحياة[4]. ولوحظ جانب آخر من الاضطراب الاقتصادي الناجم عن الأوبئة في صيف عام 1904. فقد تفشت آنذاك الكوليرا في بغداد، وكانت النتيجة المباشرة لذلك، فرار عام للناس، وتعطيل النشاط التجاري، وركود اقتصادي[5]. وقد يؤدي تفسير غير علمي ومبسط للأمراض احيانا الى حظر تجارة

1 انظر: جدول-13، الفصل الثاني

2 الوردي، ج2: 1831-1872، ص 85

3 Groves, P. 234.

4 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 43, October 25, 1889, P. 336.

5 (P. H. R), Vol. 20, No. 8, February 24, 1905, P. 322.

بعض السلع في السوق العراقية. على سبيل المثال، عندما ضرب وباء الكوليرا بغداد في صيف عام 1893، وجدت آنذاك علاقة غير منطقية بين الرقي والوباء!. ونتيجة لذلك، أمرت السلطات المحلية كل القوارب بالتخلص من حمولاتها من الرقي في نهر دجلة[1].

وبسبب نقص السلع والمواد الاساسية في الاسواق اثر الموجات الوبائية، كانت اسعارها ترتفع بشكل ملحوظ، لتضيف عبئا جديدا على الناس المفجوعة في المدن والبلدات. فبعدما اجتاح الطاعون والفيضان بغداد في عام 1831، ازدادت اسعار ضروريات الحياة الاساسية في السوق وتضاعفت عدة مرات. فلم يكن بالامكان الحصول على القمح، مثلا، في الاسواق باي ثمن في منتصف نيسان من العام المذكور. وحتى بعد خمسة اشهر من هذا التاريخ، تم بيعه بسعر مرتفع للغاية. فقد بيع في بغداد في 14 ايلول بسعر 250 قرشا[2].

وبينما اسهمت الاوبئة مؤقتا في تراجع نشاطات اقتصادية مختلفة، انعشت اجواء الموت نشاطات اخرى. ففي خضم اية محنة وبائية، تزداد المتطلبات لمواد معينة ذات صلة بطقوس الموت وتتضاعف اسعارها. ان هذا 'الاقتصاد الجنائزي'، اذا جاز التعبير، المستند على التفشيات الوبائية، جلب عائدات كبيرة للتجار.فمثلا، باع احد التجار اثناء طاعون عام 1773 كميات كبيرة من القماش المستخدم في الاكفان، قُدرت قيمتها بنحو 20.000 قرش. وحصل الشيء ذاته اثناء طاعون عام 1831. فقد شوهد آنذاك العديد من الناس في الشوارع وهم يحملون القطن ولوازم دفن الموتى الاخرى. وقد تم استهلاك كل

1 Sundberg, A Letter From Bagdad, PP. 647-648.
2 Groves, PP. 234, 259

القطن تقريبا في بغداد، وكان الناس يطوفون ارجاء المدينة املا في الحصول على بعض منه. وقد ارتفع سعر القطن في 24 نيسان 1831، من 54 الى 95 قرشا. وحتى الماء الذي كان ضروريا لغسل الموتى، جرى الطلب عليه باي سعر كان، ولذلك كان من النادر يومذاك رؤية السقا (حامل الماء) في شوارع بغداد[1].

لم يكن التجار المنتفعون الوحيدون من تكرار حصول الاوبئة. فقد جنت الادارات الصحية المحلية عوائد مالية مهمة من الاجور والضرائب المفروضة على الخدمات الصحية في الحدود العراقية، او على الجثث التي يزداد ارسالها الى المراقد الشيعية المقدسة اثناء التفشيات الوبائية. فقد جُمعت، على سبيل المثال، عوائد مالية كبيرة في البصرة على شكل رسوم نظير الخدمات الصحية في الحدود العراقية-الايرانية من عام 1868 فصاعدا[2]. وبلغت العوائد المالية في الادارة الصحية لولاية بغداد، والمتراكمة عن الضرائب المفروضة على الجثث للاعوام 1889 و1890، مايربو على 3.610 و5.797 ليرة عثمانية على التوالي[3].

وكان للاوبئة ايضا تأثير كبير على التجارة الخارجية. هنا تجدر الاشارة الى أن التحسينات الثورية في النقل والمنافسة التجارية المحتدمة كانت مظاهر دولية هامة خلال سبعينيات القرن التاسع عشر. طبقا لذلك، شُجبت بقوة اية نظم او اجراءات صحية كان من شأنها ان تعرقل التبادل السريع والمربح للبضائع. وعلى خلاف ذلك، كانت القيود ذات الصلة بالصحة تُمارس على نطاق واسع في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر. ففور الاعلان عن اي تفشي وبائي في اية

1 "Travels of Doctor and Madame Helfer in Syria, Mesopotamia, Burmah and Other Lands", Vol. 1, P. 262; Groves. PP. 113, 115, 118, 120.

2 George Young, Corps de Droit Ottoman, Vol. III, (The Clarendon Press: Oxford, 1905), PP. 134-135.

3 Vital Cuinet, Tome Troisieme, P. 16.

منطقـة، كانـت الـسلطات المحليـة العراقيـة، والبعثـات الدبلوماسـية واحيانـا حكوماتها، بالاضافة الى الشركات التجارية، تسارع بتبني انماط مختلفة من التدابير الوقائية العاجلة. ان اجـراءات مكافحـة الاوبئـة، كـالحجر الـصحي، والتـبخير، والتطهير، قيدت كثيرا حركة السفن، والمسافرين، والشحن التجاري. واسـهمت هذه الإجراءات، قليلا او كثيرا، في تعطيل حركة التجـارة الخارجيـة في مـساريها للتصدير والاستيراد. والامثلة التي لدينا هنا تُخبر بذلك. فبعدما ظهـر الطـاعون في ولاية بغداد اثناء خريف عام 1880، قـررت الحكومـة الايطاليـة في آذار مـن العام المذكور بان لاتسمح لكل السفن التي تـصل ايطاليـا مـن المـوانئ العثمانيـة بالمرور مالم تخضع لتفتيش صحي. فيما كان يتوجـب علـى الـسفن القادمـة مـن الخليج العربي ان تخضع لحجر صحي امده سبعة ايام[1]. وبصدد اثر الاوبئة علـى النشاط التجاري ايضا، افاد تقرير بريطاني صادر في عام 1890 بخصوص تجـارة البصرة للسنوات 1888 و1889، ان وصول الكـوليرا الى ولايـة البـصرة اثنـاء موسم التمور قد اثر كثيرا على تجارتها. واكد التقريـر ايـضا، بـأن قيـود الحجـر الصحي المفروضة من قبل السلطات الصحية كانت عديمة الجدوى عمليا، وانهـا كانت بمثابة "رادع جوهري للتجارة"، على حد وصف التقرير[2].

في السياق ذاته، جوبه التبادل التجـاري بـين الولايـات المتحـدة والعـراق العثماني، الذي كان على نطـاق محـدود، بمـشاكل مـن حـين لآخـر ناجمـة عـن اجراءات مكافحة الاوبئة. ففي شتاء عام 1894، حـذرت القنـصلية الامريكيـة

1 (B.M.J), Vol.1, No. 1058, April 9, 1881, P. 559; Malone, P.165.
2 "Diplomatic and Consular Reports on Trade and Finance, Turkey, Report for the Years 1888-89 on the Trade of Bussorah, Presented to both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, June, 1890", Printed for Her Majesty,s Stationary Office, (London: 1890), P. 3.

بغداد من خطر صوف ملوث بالعدوى تم شحنه من هذه المدينة. والبضاعة كانت قد جاءت اصلا من اعالي دجلة، حيث انتشرت هناك العديد من الامراض الوبائية، كالجدري، والدفتريا، والتدرن الرئوي[1]. وعندما اندلع الطاعون قرب السليمانية وبعض المناطق الحدودية الايرانية في عام 1900، اوقفت الولايات المتحدة توريد الصوف الكردي. لقد عرقل هذا الحدث ايضا تجارة السجاد الايراني بين الولايات المتحدة وكردستان العراق، لانه بعدما ظهر الوباء، تم اخضاع كل السجاد المعد للشحن للتبخير. ومن الجدير بالتنويه، ان عملية التبخير هذه قد أُستعملت في عام 1893 مع شحنات مماثلة عندما ضربت الكوليرا المناطق ذاتها[2]. على اي حال، فغالبا ما امرت القنصلية الامريكية ببغداد شاحني البضائع بأن يطهروا او يبخروا بضائعهم او شحناتهم قبلما تأخذ طريقها الى الولايات المتحدة. وفي مقابل اشرافها على عملية التبخير، فرضت القنصلية اجرا مقداره 2.5 قرش (ما يعادل آنذاك 10 سنتات)، كان يُجمع من الشاحنين عن كل بالة. وقد خُصص عائد هذا الاجر لتغطية نفقات الشخص الذي كان يتولى مسؤولية عملية التبخير[3]. وعندما ضربت الكوليرا ولايات العراق العثماني كافة في عام 1904، رفضت القنصلية الامريكية ان تعطي الاذن لتصدير اسمدة

1 (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 20, May 18, 1894, P. 315.

2 "A. N. A", Roll 2, Vol: 2, From: Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Department of State, Washington D.C., Dispatch No. 141, dated April 5, 1900, Subject: Disease, Serial number: 21-23; "A. N. A", Roll 2, Vol: 2, From: Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 153, dated July 26, 1900, Subject: Disease, Serial number: 53-55.

3 "A. N. A", Roll 2, Vol: 2, From: Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: The Department of State, Washington D.C., Dispatch No. 147, dated May 24, 1900, Subject: Plague, Serial number: 36-38; "A. N. A", Roll 2, Vol: 2, From: Consulate of the United States, Baghdad. To: The Department of State, Washington D.C., Memorandum attached to the dispatch No. 151, dated August 7, 1900, Subject: Disease, Serial number: 44-50.

حيوانية الى الموانئ الامريكية[1]. وحفز ذات الانتشار الوبائي بلجيكا ايضا لان تتبنى تحوطات وقائية ضد الواردات القادمة من العراق. ففي صيف عام 1904، اعلنت المفوضية البلجيكية في طهران بأن التمور والفواكه المجففة المستوردة من البصرة يجب ان تكون مصحوبة بشهادة تُعلن ان مكان المنشأ كان خاليا من الكوليرا[2].

ولان تلك التدابير الوقائية ضد الاوبئة قيدت حركة التجارة الخارجية، فقد كانت هنالك شكاوى متكررة ضد التجار، والوكلاء التجاريين، والشركات بشأن تطبيقاتها، واحيانا كانت هناك جهود مبذولة للتملص منها. ففي عام 1876، بعث تجار من بغداد، اوربيون ومن ابناء البلد، بمذكرة بتاريخ 10 تموز الى العقيد نيكسون، المقيم السياسي البريطاني في المدينة، يناشدوه فيها ممارسة نفوذه لرفع الحجر المحلي، وكذلك الحجر في الموانئ الاجنبية. اضافة لذلك، قدم اولئك التجار مناشدة مماثلة الى والي بغداد والقنصل الفرنسي[3]. وعندما ضرب الطاعون بغداد في اواخر آذار 1876، اعتقد الطبيب الالماني المقيم فيها يومذاك برنهارد بك، بان المرض لم يكن سوى حمّى قاتلة. لكن الجراح البريطاني كولفيل، اتهم برنهارد بك بانه يقلل من شأن الطاعون نيابة عن شركة محلية كان لديها تجارة كبيرة مع لندن في الصوف ومنتجات اخرى[4]. وذُكرت في البصرة ايضا محاولة اخرى للتهرب من قيود الاجراءات الوقائية. فطبقا لتقرير المفوض الصحي الامريكي في استانبول، المؤرخ في 23 آب 1899، فأن الطبيب الصحي للبصرة،

1 "A. N. A.", Roll 2, Vol: 2, From: Consul of the United States, Baghdad. To: The Department of State, Washington D.C., Dispatch No.239, dated December 8, 1904, Subject: Dogs' excrement, Serial number: 374-377.
2 (P. H. R), Vol. 19, No. 40, September 30, 1904, PP. 2020-2021.
3 (B.M.J), Vol.2, No. 816, August 19, 1876, P. 249.
4 Malone, P. 171.

الدكتور موسشايدز، الذي وُصف بانه رجل علم، بارع في عمله، وذو استقامة، لم يتمكن من البقاء في منصبه لان وكلاء السفن البخارية، الذين كانوا منزعجين من اجراءات الحجر الصحي التي عطلت التجارة والملاحة، قد حاكوا مؤامرة ضده[1]. واشار تقرير امريكي آخر، مؤرخ في 23 كانون الثاني 1902، الى محاولة جديدة قام بها تجار بغدادبون لتفادي التطهير، معتقدين بأن هذه العملية تعرقل تصدير بضائعهم[2].

وفي كل الاحوال، فان الاثر التدميري للاوبئة على القطاعات الاقتصادية المختلفة في العراق العثماني المتأخر كان حادا بشكل عام، مسببا ضررا فادحا للزراعة والصناعة والتجارة، بالاضافة الى الخسائر الكبيرة في القوى العاملة. زيادة على ما ذُكر، كان للاوبئة اثر تدميري آخر في المجال السياسي، اذ انها اسهمت في سقوط اسر حاكمة، واوجدت من حين لآخر اوضاع سياسية مضطربة، ومهدت الطريق لتدخلات اجنبية عديدة.

التداعيات السياسية

ان ارثا سياسيا هاما للاوبئة في العراق العثماني المتأخر قد تمثل في ضعف وانحلال وحتى سقوط النخب والسلالات الحاكمة. في هذا المضمار، كان لطاعون عام 1831 تأثير مدمر بشكل استثنائي على السلطة السياسية في العراق. فقد مزق هذا الوباء المميت بالاقتران مع الفيضان في غضون مدة شهرين، من 28 آذار الى 21 مايس 1831، سلطة الوالي داود باشا وتركها

1 (P. H. R), Vol. 14, No. 38, September 22, 1899, P. 1610.

2 "A. N. A.", Roll 2, Vol: 2, From: Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No.174, dated January 23, 1902, Subject: Plague in Baghdad, Serial number: 123-125.

اشلاءا مبعثرة. اذ سرعان ما توارى جنوده وخدمه وقوات نخبته. ولم تبق هذه الكارثة لباشا بغداد سوى اعدائه الذين كانوا محتارين بشأن ما ينبغي عمله تجاهه[1]. لقد وضع هذا المصير التراجيدي لسلطة الباشا نهاية لحكم المماليك في العراق الذي استغرق اكثر من قرن.

من ناحية اخرى، اشار تكرار اندلاع الاوبئة الى فشل السياسة الصحية العثمانية في العراق. لقد سبب ذلك، في الواقع، احباطا عميقا بين الناس، الذين فقدوا آنذاك الامل في تحسن الاوضاع العامة في البلاد، وبضمنها الصحة. وادت الشكاوي والتذمر المتواصل الناجم عن الاوبئة وتزايد قائمة الوفيات في المدن والبلدات والريف الى انحطاط تدريجي لهيبة الحكومة العثمانية في العراق، وحفزت شعبه على التمرد عليها من حين لآخر[2].

وليس هناك من شك البتة في ان الاوبئة قد اسهمت في خلق حالة من عدم الاستقرار السياسي في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر. فأحيانا عند اندلاعها، كانت تشتعل اعمال الشغب، ويسود خرق القانون، وتتنامى التحديات للسلطات المحلية. ففي حالتين منفصلتين لتفشيات وبائية، الاولى، عندما ضربت الكوليرا البصرة في عام 1858؛ والثانية، عندما هاجم الطاعون الهندية في عام 1867، تمت اعاقة الجهود الصحية للحكومة المركزية ، وجوبهت

---

1 Groves, PP. 46-47, 182.

2 طبقا للمؤرخ الاجتماعي العراقي علي الوردي، فأن ثمانية تمردات ضد السلطات العثمانية المحلية حدثت في العراق اثناء المدة من 1858 ولغاية 1914. انظر: الوردي: ج2: 1831-1872، ص ص 213-214، 227-229، 240-241، 242-243، 255-256؛ ج3: 1876-1914، ص ص 39-40، 186، 196.

القوات التي عينت لفرض نطاقات صحية بمقاومة عنيفة، فيما تم التصدي للخطط التي وُضعت لحماية الصحة العامة[1].

وكانت سلطات العراق العثمانية تصوغ استجابتها السياسية لتحديات الاوبئة بطرق متنوعة. وعُد التفاوض العالي المستوى مع الاقطار الاخرى احداها. فمثلا، اثار نقل الجثث المتحللة من ايران لدفنها في الاماكن المقدسة في العراق جدلا بين الدولتين، لانطواء هذه المنقولات على مخاطر تفشيات وبائية. وعندما زار شاه ايران، ناصر الدين، الاضرحة المقدسة في كربلاء والنجف في عام 1870، اغتنم الوالي مدحت باشا فرصة هذه الزيارة للتفاوض لحل هذه المشكلة. فبالاضافة الى العديد من القضايا المعلقة التي نوقشت في تلك المفاوضات، اتفق الطرفان على دفن جثث الموتى الايرانيين في الاراضي الايرانية لمدة عام واحد، ثم تُنقل بعد ذلك الى مقابر كربلاء والنجف لدفنها هناك[2].

وكان تدخل القناصل والاطباء الاجانب في الشؤون الداخلية للعراق احد العواقب الهامة للاوبئة، ولاسيما اثناء فترات اندلاعها. وقد نجمت هذه التدخلات، احيانا، عن تشابك المهن الصحية لبعض القناصل او الملحقين القنصليين مع المهام السياسية او مهام اخرى. هنا بحوزتنا انموذج لطبيب طالما وجد نفسه في مسؤولية مهام دبلوماسية وقنصلية معا. انه كولفيل، الجراح الذي عمل في المقيمية البريطانية في بغداد في عام 1867. فمثلا، لقد تفاوض كولفيل، وبطلب من باشا بغداد، مع عشائر متنازعة لاحلال السلام بينها. كما وضع هذا

1 Dickson, On the Reported Outbreak of Plague at Kerbela, P.146; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 63.

2 العزاوي، ج7: 1831-1872، ص ص 273-274.

الجراح ايضا خارطة لمنطقة اهوار جنوبي العراق، وتولى مهام غير طبية اخرى. لم يكن كولفيل محظوظا دائما في علاقاته مع ولاة بغداد. اذ تعارضت مقترحاته الصحية احيانا مع السياسات الداخلية لهؤلاء الحكام. فعندما تفشى الطاعون في بغداد في نهاية آذار من عام 1876، اقترح كولفيل اغلاق المدارس ذات التهوية السيئة والمزدحمة بالطلبة لمدة شهر. لكن الوالي عبد الرحمن باشا رفض اتخاذ اجراء بهذا الخصوص، مفضلا نصيحة عدد من المسؤولين العثمانيين وطبيب الماني. فكان رد فعل كولفيل ان اطلق تعليقا غير مدروس على اقل تقدير، حين وصف والي بغداد بانه الباشا الذي قُتل الناس الذين يحكمهم[1]. لقد انطوى الوصف، بلا شك، على تحدي سياسي غير مألوف تماما لسلطة شرقية. وكان كولفيل، بدافع حرصه على حماية الصحة العامة، دائب الاقتراح لبرامج عمل شاملة في مجال الصحة والمشاريع الصحية ذات النفع العام[2]. وهي بالتاكيد برامج متقدمة تتقاطع مع النهج الحكومي لسلطات العراق العثمانية التي هي، باستثناءات قليلة، لم يكن لديها اية خطط للنهوض بالسياسات الصحية للبلد والرقي بها.

واقترن حدث وبائي آخر في العراق العثماني في عام 1889 بتدخل القناصل الاجانب. فقد تفشت في تلك السنة كوليرا قاتلة في بغداد، حيث لقي العديد من شخصياتها البارزة حتفهم، ومن بينهم الحاخام اليهودي عبدالله سوميخ. فقد ظهر بعد وفاته سوء تفاهم بين الطائفة اليهودية وحكومة بغداد المحلية بشأن مكان دفنه. فبينما امرت السلطات الصحية أثناء التفشي ان يتم دفن

1 Malone, PP. 164, 170-171.
2 Ibid, PP. 166-167.

الجثث في المقابر الواقعة خارج بغداد، قدم اليهود طلبا الى الوالي للسماح لهم بدفن الحاخام في مقبرتهم الخاصة في داخل المدينة. لكن طلبهم هذا رُفض، لان بغداد وضعت يومذاك تحت حجر صحي صارم. وعلى نحو غير متوقع، قاد سوء التفاهم هذا الى اندلاع شجار بين اليهود والمسلمين، وتم خلاله القاء القبض على بعض وجهاء واعيان اليهود. وبغية توضيح واسماع شكاواهم ضد والي بغداد، ارسل بعض افراد الطائفة اليهودية برقيات الى العوائل اليهودية المتنفذة في لندن، ومجلس النواب البريطاني، والجمعية اليهودية-الانكليزية، والاتحاد الاسرائيلي في باريس، والى الباب العالي في استانبول. وفي غضون ذلك، كان القنصل البريطاني العام في بغداد، العقيد تويدي، يبعث بشكل متواصل تقاريرا ومذكرات الى وزير الخارجية البريطانية، اللورد سالزبوري، والى السفير البريطاني في استانبول، السير وليم وايت، ليطلعهم بمعلومات تفصيلية عن المشكلة[1]. ويعتقد المؤرخ العراقي عباس العزاوي، ان بعض الاطراف الاجنبية كانت وراء التحريض على هذا الحدث وتأجيجه[2]. على اي حال، لم توضع نهاية لهذه المشكلة الا بعد صدور مرسوم سلطاني في اواخر كانون الاول 1889، تم بمقتضاه اعفاء والي بغداد من منصبه، والذي عُين لاحقا واليا على دمشق، حيث توفي هناك بعد اصابته بالكوليرا. وقد اعطى الوالي الجديد اليهود الرخصة بدفن الحاخام سوميخ في مقبرتهم الخاصة[3].

1 For details on this event and its implications, See: Hakham Abdallah Somekh, "The Scribe: Journal of Babylonian Jewry", No. 36, (London: September 1989), PP. 4-7.

2 العزاوي، ج8: 1872-1917، ص 114

3 Hakham Abdallah Somekh, PP. 4-5.

وكان القنصل الامريكي في بغداد، جون ساندبرغ، الذي لديه تجربة عظيمة في الطب، انموذجا آخر لاولئك القناصل الذين املوا بأن تحفز تدخلاتهم حكام العراق في العهد العثماني المتأخر لادخال تحسينات في مجال الصحة العامة. لقد شكا ساندبرغ مرارا من التقصير الموجود في قطاع الصحة، متهما السلطات بالمسؤولية عن ذلك[1]. وقد سعى ساندبرغ جاهدا لاقناع بعض ولاة بغداد بادخال اصلاحات صحية معينة، لكنه فشل في مسعاه، وهذا ماجعله ساخطا على سوء ادارة الحكم في بغداد[2].

وفي الواقع، انه فيما عدا قضية الحاخام اليهودي سوميخ، التي أُتهمت اطراف دولية باثارتها، فان تدخلات القناصل المشار اليها سابقا يمكن ان تُعد بمثابة مبادرات فردية في المجال الصحي، بالرغم من حقيقة انها قد تعطي انطباعا عن تدخل سياسي. وبقدر ما يتوجب على المرء أن يكون لديه فهم شامل لمختلف الأوبئة وموجاتها، فأن هناك حاجة ماسة ايضا لتسليط الضوء على عواقبها الاجتماعية

التداعيات الاجتماعية

لقد جلبت الاوبئة اضرارا بليغة للعراق وشعبه في ظل الحكم العثماني، فالموت لم يكن سوى واحدة فقط من عواقبها. لقد عانى العراقيون طوال العهد العثماني رعبا ومخاوف هائلة من الامراض الوبائية التي لم يكن لها علاج معروف آنذاك، وعلى الاخص الطاعون والكوليرا. فبالاضافة لتأثيراتها الجسدية والنفسية، ولدت الاوبئة اعطابا اجتماعية عميقة وتركت تداعيات خطيرة على

1 (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 5, February 2, 1894. P. 64.
2 Sundberg, A Letter From Bagdad, P. 648.

العلاقات العائلية، والسلوك الفردي، والعادات والتقاليد، والمعتقدات الاجتماعية، وكذلك الثقافة.

لقد لوحظ ان العراقيين اثناء العهد العثماني اعطوا الاوبئة الاكثر فتكا القابا معينة. وهذه الالقاب هي، في الواقع، ناشئة من قسوة الاوبئة، والاعراض المصاحبة للمرض، ومن الظروف المناخية التي كانت تساعد على الانتشار العنيف للاوبئة في مواسم معينة من السنة. فمثلا، لقب العراقيون، منذ عام 1689 فصاعدا، الطاعون باسم ابو طبر[1]. أما الكوليرا فقد لُقبت باسم ابو زوعة، لان التقيؤ كان احد اعراضها الرئيسة[2]. ولُقبت الكوليرا ايضا باسم الهوا الاصفر. وقد استخدم المصريون والعراقيون هذا اللقب على نطاق واسع، لان موجات الوباء العنيفة في كل من مصر والعراق اثناء العهد العثماني تزامنت مع اشد ايام الصيف حرارة، وخصوصا في شهري تموز وآب، عندما نُلاحظ هناك صفرة في الهواء، تشبه الى حد ما الضباب[3].

وترك مرض رهيب ومخيف مثل الطاعون بصمته كقاتل لايرحم في الذاكرة الشعبية لاهل العراق. فقد لوحظ ان الاحداث الوبائية، لاسيما تلك المريعة لعام 1831، بقيت راسخة في اذهان الاجيال البغدادية حتى النصف الاول من القرن

---

1 Issawi, P. 99.

2 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 147; العلاف، ص 196

3 العزاوي، ج6: 1749-1831، ص 313; "An Epitome of the Reports of the Medical Officers to the Chinese Imperial Maritime Customs Service From 1871 to 1882", Compiled and Arranged by C. A. Gordon, (London: Bailliere, Trandall, and Cox, 1884), P. 378; "A Reference Handbook of the Medical Sciences: Embracing the Entire Range of Scientific and Practical Medicine and Allied Science", Vol. VIII (8), P. 352.

العشرين. فقد كان البغداديون يـذكرون الطـواعين في جلسـاتهم الخاصـة، كلـما تحدثوا عن اعمار الطاعنين منهم في السن. لقد كان مألوفا بين البغـدادين الـذين ارادوا تقدير عمر رجل مسن آنذاك، ان يقولوا: انه شهد حتى زمن الطواعين[1].

وغُدت التأثيرات على الطفولة، الحصيلة الاكثر مأساوية للاوبئة في المجتمع العراقي العثماني. فقد مات آلاف الآبـاء والامهـات تحـت هجماتهـا الـساحقة، تاركين اطفالهم لليتم والتشرد. فعنـدما اجتـاح الطـاعون بغـداد في عـام 1831، أُلتقط العديد من الاطفال الرضع من شوارع المدينة بعد وفاة والـديهم. في ذلـك الوقت، كان بامكان كل واحد ان يرى في الازقة والحارات اطفالا صغار باعمـار شـهر، او سـتة اسـابيع، او سـنتين لاربـع سـنوات، يبكـون مـن اجـل منـزل، جائعين...، عـراة...، تعـساء، لايعرفـون مالـذي علـيهم ان يفعلـوه، ولا الى اي مكان ان يذهبوا[2].

وفي كل مرة ضربت فيها الاوبئة العراق العثماني، هرب الناس مـن المـدن والبلدات والقرى، ووجدوا انفسهم خارج بيوتهم وحـاراتهم، هـاجرين بـذلك الاقارب، الجيران، الاصدقاء والعلاقات الاجتماعية المعتادة. فمثلا، غـادر عـدد كبير من اليهود بيـوتهم في بغـداد في عـام 1831، ولاذوا بـالفرارالى البـصرة في محاولة منهم لتجنب التـأثير المميـت للطـاعون. وفعـل المـسيحيون الـشيء ذاتـه وتفرقوا في كل الاتجاهات[3]. وعندما هاجمت الكوليرا بغداد في عام 1889، هرب

---

1 الوردي، ج2: 1831-1872، ص 87

2 Groves, PP. 118, 127-128.

3 Ibid, PP. 101-102.

اهلوها من الاحياء التي اصابها الوباء الى احياء اخرى سليمة لتفادي التأثير القاتل للمرض[1].

ويمكن ان يُصنّف الضرر الهائل الذي تلحقه الاوبئة بالعوائل العراقية على أنه استئصال جماعي. ففي مناسبات عدة حين كانت تحل موجات الوباء المميتة، كانت هناك حالات جرف فيها الوباء عوائل عراقية باسرها، وقد يُستثنى واحد او اثنين من افرادها. ويزودنا طاعون عام 1831 بحقائق عن عوائل كنسها الوباء بالجملة. ففي عائلة مكونة من ستة اشخاص، لقي اربعة منهم حتفهم. ولم ينج من عائلة بغدادية اخرى تسكن قرب محلة الميدان مؤلفة من ثلاثة عشر فردا سوى واحد فقط. ولم يبق الطاعون ايضا من عائلة مكونة من اربعة عشر فردا، سوى فرد واحد[2]. وعلى نحو مماثل، لم يتبق من عائلة مكونة من سبعة افراد أُصيبت بالطاعون في منطقة الهندية في عام 1867، سوى اثنين فقط[3].

وفي ظل الهجمات الوبائية المدمرة، كانت العلاقات العائلية في المجتمع العراقي اما تتراخى او تتعزز. فعندما كان الطاعون يجتاح بغداد في عام 1831، قرر بعض افراد العوائل ان يلوذوا بالفرار للنجاة بانفسهم، فيما فضل آخرون البقاء في بيوتهم وحيدين في مواجهة الموت. اما هؤلاء الذين قرروا البقاء، فقد الزموا انفسهم بالانضمام الى بعضهم البعض ليبددوا مخاوفهم من مصير مجهول. أنه يبدو كما لو ان روح الوله قد استحوذت عليهم، فبدلا من ان يكون عددهم

1 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 139.
2 Groves, PP. 115, 127, 137.
3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 51.

صغيرا بقدر الامكان، هم يبدون [رغبة] لان يجتمعوا سوية ما استطاعوا، مثلما وصف شاهد عيان سلوك اولئك الناس يومذاك[1].

من الناحية النفسية، تركت الاوبئة تاثيراتها، وبدرجات متفاوتة، على قيم وتقاليد المجتمع العراقي. فبدلا من السلوك الجماعي الذي ميز هذا المجتمع دائما، فقد عزز التشاؤم وشبح الموت الروح الفردية التي عبرت عن نفسها بمظاهر اجتماعية مختلفة. لقد وصف شخص عاش في بغداد اثناء كارثة الطاعون لعام 1831 بدقة تلك الروح التي كانت تهيمن على المجتمع العراقي اثناء التفشيات الوبائية. لقد قال هذا الشخص انه توسل المساعدة من الآخرين في كل اتجاه، لكنه فشل في ان ينالها، لان هذا الفرد كانت لديه زوجة متوفية او تحتضر، وآخر لديه ام [بذات الحال]، و[ثالث] آخر كان منشغلا في حمل الماء للموتى...[2].

وتسببت الاوبئة بتحولات مؤثرة في الهرم الاجتماعي عندما قتلت ضحاياها بلا تمييز. ففيما عدا شروط توفرالنظافة والثقافة الصحية في الافراد، فأن الاوبئة لم تستثن احدا من هجماتها لاي اعتبار له صلة بالمنزلة الاجتماعية او الاقتصادية او السياسية. فقد خضع كل من الحكام ورعاياهم، الاغنياء والفقراء، الرجال والنساء، الاطفال والمسنين، العلماء والاميين الى ذات المصير المأساوي المفجع. في هذا الصدد، يمكن الاستشهاد بمجموعة متنوعة من الحالات. فعلى مستوى الحكام، هاجم الطاعون والي بغداد داود باشا في عام 1831[3]. على مستوى القادة القبليين، لم تدّخر الكوليرا حياة شيخ قبيلة آل ظفير

1 "Travels of Doctor and Madame Helfer in Syria, Mesopotamia, Burmah and Other Lands", Vol. 1, P. 269; Groves, P. 112.

2 Groves, P. 117.

3 Ibid, P. 181.

وابنه في البصرة في 1865-1866[1]. ومن بين افراد النخب الادارية العثمانية الحاكمة، اودت الكوليرا بحياة قائمقام الشطرة في الناصرية عندما اجتاحتها في عام 1889[2]. وفي العادة، جاء ضحايا الاوبئة من كل االفئات الاجتماعية والعمرية. فعندما اكتسح الطاعون الدغّارة في الديوانية في 1874-1875، كان من بين الضحايا، صبي بعمر اربع سنوات، وامراة بعمر خمس واربعين عاما، ورجل بعمر خمسين عاما، وابن حاكم، وامرأة من الرقيق[3]. وقضى حتى بعض الاجانب العاملين في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر نحبهم من الاوبئة. فقد توفي، على سبيل المثال، مواطن امريكي كان يعمل في البصرة بعدما أُصيب بالجدري في آب 1901[4]. وتوفي في البصرة ايضا وكيل قنصلي امريكي بعدما داهمته الكوليرا في حزيران 1904[5]. على اي حال، لقد مثل ضحايا الاوبئة في العراق العثماني كل الوان الطيف الاجتماعي. وكان هناك طوال الحكم العثماني علاقة وثيقة متبادلة بين تغير مواقع القوى في الهرم الاجتماعي والاوبئة. لقد نجمت عن القوة التدميرية الهائلة للامراض المميتة تحولات بعيدة المدى فيما يتعلق بالمنزلة الاجتماعية. فلأن الاوبئة استهدفت ضحاياها بلا تمييز،

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.

2 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 130.

3 W. H. Colvill, Report on Plague in Turkish Arabia, "Transactions of the Medical and Physical Society of Bombay", No. XII (12): for the Year 1876, (Bombay: Education Society's Press, 1876), PP. 141, 149-151.

4 "A. N. A", Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 171, dated November 28, 1901, Subject: The death of an American subject at Bassora, Serial number: 112-113.

5 "A. N. A", Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 219, dated June 30, 1904, Subject: The death of an American citizen, Serial number: 315-316.

فأن افرادا من النخب الاجتماعية فقدوا مواقعهم. ويمكن ملاحظة ذلك بجلاء في فئة الاغنياء، الذين اصبح بعضهم معدما تماما. اذ لم يفقد هؤلاء ثروتهم فقط في طاعون عام 1831، بل فقدوا كذلك منزلتهم وهيبتهم الاجتماعية المتميزة. فلم تتعد المراسم الجنائزية للعديد من هؤلاء الاغنياء الذين ماتوا من الطاعون اكثر من وضع اجداثهم على ظهر حمار، ونقلها بعيدا ليقوم بدفنها خادم واحد لاغير[1]. وجردت الاوبئة ايضا افراد الاسر الحاكمة من امتيازاتها السابقة. فبعدما توقف طاعون عام 1831، شاهد الناس زوجات الوالي داود باشا وهن يعشن اوضاعا مزرية للغاية، وكن يُقبلن ايدي المارة، متوسلات بهم عسى ان يقدموا لهن مأوى[2].

وكان انتشار السرقة والسرّاق احد العواقب الاجتماعية البارزة لموجات الاوبئة في العراق العثماني. فحالما كان الوباء يضرب مكانا ما، ينشط اللصوص على نطاق واسع، مستفيدين من انعدام الامن وضعف قبضة الحكومة. فلقد انتشر اللصوص اثناء طاعون عام 1831 في كل مكان، وخصوصا على جوانب الطرق التي حول بغداد، سارقين اي شخص كان يحاول الفرار من الوباء. وحفزت المجاعة، التي تزامن حدوثها مع الطاعون، هؤلاء اللصوص على كسر ابواب العديد من الدور في بغداد، علهم يجدوا القليل من الطعام. وحتى قوة النخبة من الارناؤوط التي كان يستند اليها داود باشا انقلبت الى لصوص، وأخذت تحفر في جدران قصر سيدها بحثا عن كنوز مخفية[3]. وحدث الشيء ذاته عندما تفشت الكوليرا في بغداد ومناطق عراقية اخرى في عام 1893، فقد

1 Groves, PP. 120-121.
2 Ibid, P. 258.
3 Ibid, PP. 101, 234, 244.

اضحت عمليات السطو مألوفة في جميع انحاء البلاد، مثلما اشار الى ذلك القنصل الامريكي في بغداد جون ساندبرغ[1].

وعلى النقيض من التدهور الاخلاقي المذكور اعلاه، تعزز سلوك اجتماعي آخر اثناء اندلاع الموجات الوبائية، الا وهوالالتزام الراسخ بالدين. وهذا السلوك ناجم، في الحقيقية، عن الاحباط النفسي للناس، وفشلهم في الافلات من قبضة الموت، وهو النهاية الاكثر احتمالا للاصابة بالامراض القاتلة. فبالنسبة للمسلم عندما يتلاشى الامل لديه، ليس هناك من ملاذ له الا الله واماكن عبادته. والمسلمون في العراق، وعلى غرار شعوب العالم الاسلامي الاخرى، لم يكونوا ينسبون، ولو جزئيا، الاوبئة الى تقصيراتهم في مجال الصحة العامة. لقد عزوها، بدلا من ذلك، كليا الى الله. وفي ولاء صادق لايمانهم بالقضاء والقدر، اعتقد معظم الشعب العراقي تحت الحكم العثماني أن الطاعون كان غضب من الله، وأنه كان مشيئته. وفقا لذلك، فان هؤلاء الذين ماتوا من الطاعون عدوا شهداء لاينبغي ان ينتحب عليهم الناس[2]. وهكذا، عندما دمر الطاعون بغداد بشدة في ربيع عام 1831، لم يكن بوسع الآف البغداديين مقاومة الداء سوى بالتضرع إلى الله لرفع سوط العذاب عن مدينتهم[3].

وتماشيا مع إيمانهم، فأينما أصابت الأوبئة المدن والبلدات العراقية، ازدحمت المساجد بأعداد غفيرة من الناس. لقد بدا الأمر كما لو انهم سعوا لمحاربة الوباء بالصلاة. لقد استقبلت مساجد الموصل، على سبيل المثال، اثناء طاعون عام 1772، المصلين وضحايا الوباء على حد سواء. لقد كانت مئات

1 Sundberg, A Letter From Bagdad, P. 651.
2 Groves, PP. 76, 110.
3 Ibid, P. 106.

من جثث الموتى تمر يوميا مـن خـلال البوابـات الرئيـسة للمـساجد وتُـسجّى في اروقتها لتقام عليها صلاة الميت. ومن سـخريات القـدر، انـه وبينمـا كـان اهـل الموصل يؤدون فروض الجنازة في احد مساجدها، توفي بعض المصلين الذين سبق وان أُصيبوا بالطاعون، فـتم دفـنهم علـى الفـور في ذات المكـان[1]. لاشـك في ان اماكن العبـادة، والـصلوات، والتـضرعات، قـد امـدت هـؤلاء النـاس بالطاقـة والطمأنينة الروحية، وهيـأتهم نفـسيا لتقبـل مـصيرهم المحتـوم. وهـذا بحـد ذاتـه يكشف، الى حد ما، صلة النـاس الحميمـة بالـدين اثنـاء المحـن واوقـات الـشدة، بالرغم من ان كل الطقوس والشعائر الدينية اثبتت انها لم يكن لها على الاطـلاق اي تأثير في الحد من الهجمات الوبائية وعواقبها المدمرة.

وفي تناقض صارخ مع هذا الغلو في الدين اثناء الازمات الوبائية، أُرتكبت احيانا انتهاكات اخلاقية لاحكام الشريعة، لكن تحت غطاء فقهي، ينص على ان الضرورات تُبيح المحظورات. فمثلا، عنـدما انتـشرت الكـوليرا في بغـداد في عـام 1893، ساد اعتقاد بين الاهالي بان الخمر، بسبب احتوائه على مادة معقمة، قـد يكون نافعـا في مقاومـة الوبـاء. ويبـدو ان الـسلطات المحليـة سـايرت النـاس في اعتقادهم هذا، فاذنت لهم يومذاك باحتسائه[2]!. والـشريعة –كمـا هـو معـروف– تمنع منعا باتا المسكرات في ظل الظروف العادية.

وبقدر ما اسهمت موجات وباء الطاعون والكوليرا في انعاش القيم الدينية في العراق العثماني، فأن بعـض التـدابير الوقائيـة عرضـت النـسيج الاجتمـاعي العراقي الى تحديات خطيرة. لقد تسبب تطبيق هذه التدابير احيانا في اثارة الهيـاج

---

1 الصائغ، ص292.

2 Sundberg, A Letter From Bagdad, PP. 647-648.

والمشاكل بين الطوائف والمجموعات الدينية في العراق، او بينها وبين الحكومة. لقد ادت احدى هذه المشاكل ذات الصلة بقضايا الصحة العامة الى اندلاع اشتباك بين الزوار الشيعة والسلطات الصحية المحلية وقتما كان الطاعون سائدا في بعض قرى الهندية في عام 1867. ففي مايس من العام المذكور، صدرت الاوامر من بغداد باقامة نطاق صحي حول الهندية، مع تنصيب محطات في المسيب، والحلة، وطويريج، والكفل، والكوفة وكربلاء. وفي غضون تلك المدة، جرى توجيه انذار الى زوار العتبات المقدسة في النجف وكربلاء بعدم الدخول في مدى النطاق. لكن وبينما كان النطاق مايزال قائما، وصل حشد من الناس مؤلف من قرابة الف زائر الى المسيب في 7 تموز 1867. لقد حاول هؤلاء الزوار كسر النطاق بالقوة، حيث اطلقوا النار فوق رؤوس الحراس المرابطين لحماية النطاق ورموهم بالحجارة، متسببين في جرح العديد منهم. ولم يُقمع الاضطراب سراعا، الا بعدما تم الرد على هؤلاء باطلاق النار في الهواء ومعاقبة اثنين منهم بقسوة شديدة[1].

واثار اجراء وقائي آخر في عام 1876 مشكلة اجتماعية، وهدد المجتمع العراقي بالتشظي الطائفي. ففي تلك السنة ضرب الطاعون بغداد، حيث فرضت السلطات المحلية نطاقا صحيا حول المدينة. وبينما مُنع الشيعة من دفن موتاهم في الكاظمية او في بقاع شيعية اخرى في النجف وكربلاء، أُعطي السنة الاذن بان يدفنوا موتاهم في مقبرة الشيخ معروف في الكرخ، بدعوى انها تقع داخل النطاق. لقد اثار هذا الاجراء الحكومي غير الحكيم الشيعة الذين احتجوا وهاجموا السنة. وقد اندلعت مناوشات بين الطائفتين المسلمتين وتطلبت تدخل

1 Dickson, On the Reported Outbreak of Plague at Kerbela, P.146.

فوج مشاة عثماني لقمعها. وتشير التقديرات الى ان نحو خمسة عشرة شخصا اصيبوا بجروح بليغة في تلك المناوشات[1].

وقد سبقت لنا الاشارة الى المشكلة المتعلقة بدفن الحاخام اليهودي عبدالله سوميخ بعدما اندلعت الكوليرا في بغداد في عام 1889. فبالاضافة الى بعدها السياسي، كان للمشكلة تعقيدات اجتماعية مثلت تحد لاواصر الانسجام والتسامح والالفة التي ربطت الطوائف الدينية للمجتمع البغدادي بعضها لبعض لقرون عدة. لم تكن هذه المناجزة العنيفة، في الواقع، التي وقعت بين اليهود والمسلمين نتيجة لرفض طلب اليهود بدفن حاخامهم في المقبرة اليهودية الخاصة، مجرد حادثة تافهة. انها هددت انذاك التعايش السلمي المجتمعي بين المجموعتين الدينيين البغداديتين. وقد حال فقط التدخل الشخصي الحكيم للباب العالي في استانبول دون ان يتدهور الوضع الى ابعد من ذلك[2].

وكان للاوبئة ايضا تاثير كبير على الثقافة في العراق، لان عددا من العلماء في مجالات مختلفة سقطوا ضحايا لهجماتها. كان اغلب هؤلاء العلماء اعلاما بارزين في حقول الادب، الدراسات الدينية، الفقه الاسلامي، الدراسات اللغوية وغيرها. وقد لقي العديد منهم حتفهم من الطاعون او الكوليرا طوال تأريخ العراق العثماني. ان اعطاء بعض النماذج هنا قد يكون مفيدا في تسليط الضوء على الاثر التدميري للاوبئة على الثقافة العراقية وروادها في المجتمع العراقي. ففي كتابه 'حوادث تأريخ بغداد والبصرة'، اشار المؤرخ عبد الرحمن السويدي الى

1 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 297.

2 For details about this incident, see: Chiha, PP. 76-77;

العزاوي، ج8: 1872-1917، ص ص 114-116

وفاة العلامة والمفتي الاسلامي المتميز الشيخ صبغة الله الكردي، بعد اصابته بالطاعون في عام 1773. ولدى هذا العالم الجليل اعمال عديدة في اللغة العربية، وتفسير الحديث، والمنطق، والفلسفة، ومجالات اخرى[1]. وعندما اكتسح الطاعون بغداد في عام 1831، اخذ الوباء حياة احد علماء الكاظمية البارزين، وهو الشيخ اسماعيل بن اسد الله التستري الكاظمي. لقد كان لديه العديد من المؤلفات في مجال الفكر الديني[2]. وفي كتابه 'تأريخ العراق بين احتلالين'، الجزء السابع، يشير المؤرخ العراقي عباس العزاوي الى ان اثنين من علماء العراق البارزين قد قضوا نحبهم من الطاعون في عام 1845، وهما عبد الفتاح الصواف، كاتب بغدادي في تأريخ الادب؛ والسيد ابراهيم القزويني، علامة اسلامي كان مقيما في كربلاء[3]. ومن الجدير بالذكر هنا، ان العراق لم يشهد ظهورا للطاعون خلال الفترة من 1834 ولغاية 1867. ولربما عنى العزاوي بذلك وباءا آخر، فقد يكون الكوليرا التي سادت في بغداد في عام 1846.

وبالرغم من من كل المشاهد الكئيبة للاوبئة في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر، الا انها لم تخل تماما من بعض اللحظات السعيدة، خصوصا وقتما كان بعض الناس يفلتون من قبضة الاوبئة المميتة. فعندما ضربت الكوليرا بغداد في عام 1893، كان العديد من اليهود البغدادين يقومون بزيارة لضريح العزير في جنوبي العراق. وقد تم حجز كل هؤلاء اليهود في محطة حجر صحي لمدة ثلاثة

1 السويدي، ص 37

2 السيد محمد بن مال الله بن معصوم القطيفي، ترجمة السيد عبدالله شبر، (بغداد: 2001)، ص 32

3 العزاوي، ج7: 1831-1872، ص ص 90-91

اشهر. لقد كان هذا الحجر، في الحقيقة، بمثابة طوق نجاة لهم، لانه حماهم من الوباء وابقاهم على قيد الحياة. وحالما وصل الى مسامع هؤلاء الناس ان الكوليرا قد غادرت بغداد نحو الشمال، اعربوا عن فرحتهم الكبيرة، مطلقين من نحو الف حنجرة اصوات الابتهاج العالية، التي ترددت اصدائها خلال المكان كله[1].

1 Sundberg, A Letter From Bagdad, P. 647.

المصادر والمراجع

(اولا) –الوثائق والسجلات والتقارير والاصدارات الرسمية

ـ الوثائق غير المنشورة:

– "American National Archives", Dispatches from United States Consuls in Baghdad 1888-1906, Micro-Copy No. T-509, Roll. 2, Vol: 2, January 11, 1900- July 23, 1906, (Washington: The National Archives and Records Service, 1961), Serial numbers in micro-film roll: 21-23, 27-28, 29-31, 36-38, 44-50, 53-55, 96-97, 98-99, 112-113, 123-125, 128-129, 275-276, 290-291, 295-297, 306-308, 311-312, 315-316, 317-318, 374-377, 388-389, 474-477.

ـ سجلات وتقارير الارشيف الصحي الامريكي والبريطاني:

– -"Public Health Reports", Washington: Government Printing Office, Vol. 11, Nos: 48, for the year 1896; Vol. 12, Nos: 6, 9, 11, 12, 15, 20, 47, 48, for the year 1897; Vol. 13, Nos: 4, 7, 18, 33, 49, for the year 1898; Vol. 14, Nos: 5,10, 20, 25, 26, 31, 38, 46, 48, 50, for the year 1899; Vol. 15, Nos: 4, 16, 18, 20, 26, for the year 1900; Vol. 16, Nos: 22, 24, for the year 1901; Vol. 17, Nos: 3, 9, 10, 13, for the year 1902; Vol. 18, Nos: 22, 23, 24, 25,

26, 50, for the year 1903; Vol. 19, Nos: 3, 5, 6, 7, 9, 13, 14, 15, 17, 19, 21, 30, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 41, 43, 44, 45, 46, 48, 49, 51, 52, 53, for the year 1904; Vol. 20, Nos: 2, 3, 4, 6, 7, 8, for the year 1905; Vol. 22, Nos: 4, 15, 17, 18, 22, 23, 29, 32, 44, 52, for the year 1907; Vol. 23, Nos: 3, 7, 10, 11, 14, 15, 17, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 29, 32, 34, 35, 36, 38, 39, 42, 49, for the year 1908; Vol. 24, Nos: 10, 26, 53, for the year 1909; Vol. 25, Nos: 10, 18, 23, 24, 30, 38, 43, 46, 48, 51, for the year 1910; Vol. 26, Nos: 7, 26, 27, 29, 30, 31, 35, 36, 41, 51, for the year 1911; Vol. 27, Nos: 4, for the year 1912; Vol. 28. Nos: 1, 8, 26, 33, 34, for the year 1913; Vol. 29, Nos: 25, 26, 30, 31, 33, 45, 46, 47, 50, 51, for the year 1914; Vol. 30, Nos: 6, 11, 13, 19, 23, 24, 26, 28, 29, 34, 36, 38, 39, for the year 1915; Vol. 31, Nos: 18, 33, 34, 36, 41, 47, 48, 52, for the year 1916.

- -"Weekly Abstract of Sanitary Reports", Washington: Government Printing Office, Vol. 4, Nos: 2, 43, 45, 46, 51, for the year 1889; Vol. 5, Nos: 10, 13, 25, 35, for the year 1890; Vol. 7, Nos: 25, 29, for the year 1892; Vol. 8, Nos: 5, 24, 25, 26, 27, 31, 40, 42, 47, for the year 1893; Vol. 9, Nos: 5, 6, 20, 25, 31, 33, 38, for the year 1894; Vol. 10, Nos: 4, 47, for the year

1895; Vol. 11, Nos: 48, for the year 1896; Vol. 12, Nos: 18, 19, 47, for the year 1897; Vol. 15, Nos: 4, for the year 1900.

- "The British Medical Journal", (London: Printed and published at the office of the British Medical Association), Vol. 1, No: 274; Vol. 2, No: 300, for the year 1866; Vol. 2, No: 556, for the year 1871; Vol. 1, Nos: 797, 808; Vol.2, Nos: 809, 811, 816, for the year 1876; Vol. 1, No: 849; Vol. 2, No. 863, for the year 1877; Vol. 2, No: 936, for the year 1878; Vol. 1, Nos: 948, 949, for the year 1879; Vol. 1, Nos: 1057, 1058; Vol. 2, No: 1079, for the year 1881; Vol. 1, Nos: 1200, 1220, 1225; Vol. 2, No. 1238, for the year 1884; Vol. 2, Nos: 1500, 1512, for the year 1889; Vol. 1, Nos: 1524, 1531, for the year 1890; Vol. 1, No: 1887, for the year 1897; Vol. 1, No: 21, for the year 1901; Vol. 2, No: 2230, for the year 1903; Vol. 1, No: 2269; Vol. 2, No: 2273, for the year 1904; Vol. 1, No: 2521, for the year 1908; Vol. 2, No: 2545, for the year 1909; Vol. 2, No. 2604, for the year 1910; Vol. 1, No: 2838, for the year 1915; Vol. 2, No: 2950, for the year 1917; Vol. 1, No. 2977, for the year 1918.

- الاصدارات الرسمية:

(باللغة الانكليزية)

- "Annual Report of the Supervising Surgeon-General of the Marine-Hospital **Service** of the United States for the Fiscal Year 1893", Vol. II, (Washington: Government Printing Press, 1895).
- Barry, F. W., Report on the Western Diffusion of Cholera During the Year 1893, "Twenty-Fourth Annual Report of the Local Government Board, 1894-95, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1894-95, Presented to Parliament by Command Her Majesty", (London: Eyre and Spottiswoode, 1896).
- Bryden, James L., Epidemic Cholera in the Bengal Presidency: Report on the General Aspects of Epidemic Cholera in 1869, (Calcutta: Office of Superintendent of Government Printing, 1870).
- Colvill, Plague in the Province of Baghdad 1876-1877, "Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague: Prepared from Time to Time by Direction of the President of the Local Government Board, with Other Papers", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: George E. Eyre and William Spottisw Jode, 1879).

- Colvill, Report on Plague in Mesopoptamia 1874-1875, in "Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague: Prepared from Time to Time by Direction of the President of the Local Government Board, with Other Papers", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottisw Jode, 1879).
- Dickson, E.D., The Characters of the Epidemic Plague in Mesopotamia in 1876-1877, in "Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague: Prepared from time to Time by Direction of the President of the Local Government Board, with Other Papers", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottisw Jode, 1879).
- Dickson, E. D., The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, "Transaction of the Epidemiological Society of London", Vol. XIII (13): Session 1893-94, (London: Shaw and Sons, 1894).
- "Diplomatic and Consular Reports on Trade and Finance, Turkey, Report for the Years 1888-89 on the Trade of Bussorah, Presented to both Houses of Parliament by Command of Her

Majesty, June, 1890", Printed for Her Majesty,s Stationary Office, (London: 1890)>

- Eager, J. M., The Present Pandemic of Plague, Treasury Department, Public Health and Marine-Hospital Service of the United States, (Washington: Government Printing Office, 1908).
- Evatt, George J. H, Contributions to the Medico-Military Topography of the Persian Gulf and Valley of the Euphrates and Tigris, Appendix No.1, in " Army Medical Department Report for the Year 1874", Vol. XVI (16), Presented to both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Harrison and Sons, 1876).
- "From the Report of the Medical Officer for 1876" in, Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague, Presented to Both Houses of Parliament of Common of Her Majesty, 1879, (London: George Edward Eyre and William Spottiswoode, 1879).
- "From the Report of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board for 1875" in, Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague, Presented to Both Houses of Parliament of Common of Her

Majesty, 1879, (London: George Edward Eyre and William Spottiswoode, 1879).

- "Health and Sanitary Conditions in Turkey", in "Reconstruction in Turkey: A Series of Reports Compiled for the American Committee of Armenian and Syrian Relief", Edited by William H. Hall, (New York: 1918).
- Low, Bruce, Report on the Manifestations of Cholera Throughout the World During 1903, "Thirty-Third Annual Report of the Local Government Board, 1903-04, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1903-04", Presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty, (London: Darling & Son, 1905).
- Low, Bruce, Report on the Manifestations of Cholera Throughout the World in 1904, "Thirty-Fourth Annual Report of the Local Government Board, 1904-05, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1904-05", Presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty, (London: Darling & Son, 1906).
- Low, Bruce, Summary of the Progress and Diffusion of Plague Throughout the World During 1903, "Thirty-Third Annual

Report of the Local Government Board, 1903-04, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1903-04, Presented to Both Houses of Parliament by Command of His Majesty", (London: Darling & Son, 1905).

- Low, Bruce, The Progress and Diffusion of Plague, Cholera and Yellow Fever Throughout the World, 1914-1917, Reports on Public Health and Medical Subjects, No. 3, Ministry of Health, (London: Published by His Majesty's Stationary Office, 1920).

- "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague", in: Reports of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board, No. VII (7): Annual Report to the Local Government Board with Regard to the Year 1875, Presented Pursuant to Act of Parliament, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottisw Jode, 1876).

- "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", in "Sixth Annual Report of the Local Government Board 1876-77, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1876, Presented to Both Houses of Parliament by Command of

Her Majesty, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottisw Jode, 1878).

- Radcliffe, J. Netten, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, "Reports of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, No. V (5), (London: George E. Eyre and William Spottisw Jode, 1875).
- "Register of the Department of State", Corrected to July 1, 1893, (Washington: Government Printing Office, 1893).
- "Reports on Public Health and Medical Subjects", No. 3, Ministry of Health, (London: Published by His Majesty's Stationary Office, 1920).
- "The Laws Relating to Quarantine of Her Majesty's at Home and Aboard and of the Principal Foreign States", Edited by Sherston Baker, (London: C. Kegan Paul & Co., 1879).
- "Views of Dr. Bick on Nature of Baghdad Disease", in, Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague, Presented to Both Houses of Parliament of Common of Her Majesty, 1879, (London: George Edward Eyre and William Spottiswoode, 1879).

(باللغة التركية)

- السالنامات بالتركية العثمانية:

- سالنامة ولاية بغداد، دفعة 2، (بغداد: مطبعة ولاية بغداد، محرم 1294 هجرية/ 1877 ميلادية).

- سالنامة ولاية بغداد، دفعة 15، (بغداد: مطبعة ولاية بغداد، 1315-1316 رومي/ 1899 -1900 ميلادية).

- سالنامة ولاية بغداد، دفعة 22، (بغداد: مطبعة الحكومة، 1329 رومي/ 1913 ميلادية).

- السالنامات بالتركية اللاتينية:

- "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", Edited by Cengiz Eroğlu (et.al), (Ankara: Global Strateji Enstitüsü, 2006).
- "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", Edited by Cengiz Eroğlu (et.al), (Ankara: Global Strateji Enstitüsü, 2005).
- "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", Edited by Cengiz Eroğlu (et.al), (Ankara: Global Strateji Enstitüsü, 2005).

ثانياً (الكتب)

باللغة العربية:

- الاعظمي، علي ظريف، مختصر تأريخ البصرة، (بغداد: مطبعة الفرات، 1927).

- الانصاري، احمد نوري، النصرة في اخبار البصرة، تحقيق يوسف عز الدين، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، 1969).
- البصري، عثمان بن سند، مطالع السعود: تأريخ العراق من سنة 1118 الى سنة 1242 هجرية/ 1774-1826، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف وسهيلة عبد المجيد القيسي، (بغداد: الدار الوطنية للنشر والتوزيع، 1991).
- الحيدري، ابراهيم فصيح، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، الطبعة الاولى، (لندن: دار الحكمة، 1998).
- السرمري، يوسف بن محمد، كتاب في ذكر الوباء والطاعون، الطبعة الاولى، (عمان: الدار الاثرية، 2005).
- السويدي، عبد الرحمن، حوادث تأريخ بغداد والبصرة، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، (بغداد: وزارة الثقافة والفنون، 1978).
- العزاوي، عباس، تأريخ العراق بين احتلالين، ج6: 1749-1831؛ ج7: 1782-1831؛ ج8: 1872-1917، طبعة جديدة، (بيروت: منشورات مكتبة الحضارات، 2009).
- العلاف، عبد الكريم، بغداد القديمة 1869-1917، الطبعة الثانية، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1999).
- القطيفي، السيد محمد بن مال الله بن معصوم، ترجمة السيد عبدالله شبر، (بغداد: 2001).

- الكركوكلي، رسول، دوحة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، (بيروت: مطبعة كرم، 1964).
- الماردیني، نابليون، تنزه العباد في مدينة بغداد، (بيروت: المطبعة اللبنانية، 1887).
- النجار، جميل موسى، الادارة العثمانية في ولاية بغداد 1869-1917، الطبعة الاولى، (القاهرة: مكتبة مدبولي،1991).
- الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث، ج1: من بداية الحكم العثماني الى منتصف القرن التاسع عشر؛ ج2: 1831-1872؛ ج3: 1876-1914، (بغداد: مطبعة الارشاد، 1969).
- صايغ، سليمان، تأريخ الموصل، الجزء الاول، (القاهرة: المطبعة السلفية، 1923).

باللغة الانكليزية:

- "An Epitome of the Reports of the Medical Officers to the Chinese Imperial Maritime Customs Service From 1871 to 1882", Compiled and Arranged by C. A. Gordon, (London: Bailliere, Trandall, and Cox, 1884).
- "A Reference Handbook of the Medical Sciences: Embracing the Entire Range of Scientific and Practical Medicine and Allied Science", Edited by Albert H. Buck, Vol. VIII (8), (New York: William Wood and Company, 1904).

- Artenstein, Andrew W., Smallpox, in "Vaccines: A Biography", Edited by Andrew W. Artenstein, (New York: Springer Science & Business Media, 2010).
- Baron, John, The Life of Edward Jenner, (London: Henry Colburn, 1827).
- Brummett, Palmira, Image and Imperialism in the Ottoman Revolutionary Press, 1908-1911, (New York: State University of New York Press, Albany, 2000).
- Çetinsaya, Gökhan, Ottoman Administration of Iraq, 1890-1908, 1st Published, (New York: Routledge, 2006).
- Davidson, Andrew, Geographical Pathology: An Inquiry into the Geographical Distribution of Infective and Climatic Diseases, (Edinburgh & London: Young J. Pentland, 1892).
- Dols, Michael W., The Black Death in the Middle East, (Princeton: Princeton University Press, 1977).
- "Dr. Dobell's Reports on the Progress of Practical and Scientific Medicine in Different Parts of the World", Vol. II: For the year 1870, (London: Longmans, Green, Reader & Dyer, 1871).
- East, William Gordon, The Geography Behind History, Reissued (New York: W. W. Norton & Company, 1999).

- Elgood, Cyril, A Medical History of Persia and the Eastern Caliphate: From the Earliest Times until the Year A.D. 1932, Digitally Printed Version, (New York: Cambridge University Press, 2010).
- "Forty Years in the Turkish Empire; or, Memoirs of Rev. William Goodell", (New York; Robert Carter and brothers, 1876).
- Fraser, Baillie, Mesopotamia and Assyria from the Earliest Ages to the Present Time, (New York: Harper and Brothers, 1842).
- Geary, Grattan, Through Asiatic Turkey: Narrative of A Journey from Bombay to the Bosphorus, Vol. 1, (London: Sampson Low, Marston, Searle & Rivington, 1878),
- Gordon, Charles Alexander, Notes on the Hygiene of Cholera for Ready Reference, (Madras: Gantz Brothers, 1877).
- Groves, Anthony N., Journal of a Residence at Bagdad during the Years 1830 and 1831, (London: James Nisbet, 1832).
- Halsey, Francis W., The Literary Digest History of the World War, Vol. 8: August 1, 1914-October, 1918, (New York and London: Funk & Wagnalls Company, 1919).

- "Health and Sanitary Conditions in Turkey", in "Reconstruction in Turkey: A Series of Reports Compiled for the American Committee of Armenian and Syrian Relief", Edited by William H. Hall, (New York: 1918).
- Hirsch, August, Handbook of Geographical and Historical Pathology, Vol. 1: A Cute Infective Diseases, Translated from German by Charles Creighton, (London: The New Sydenham Society, 1883).
- Issawi, Charles, The Fertile Crescent 1800-1914: A Documentary Economic History, (New York: Oxford University Press, 1988).
- Jenner, Edward, On the Origin of the Vaccine Inoculation, Reprinted, (London: B. Black, 1863).
- Keith, Rev. Alexander, The Signs of the Times, Vol. 2, 2nd Edition (Edinburgh: William Whyte & Co., 1832).
- Keppel, George, Personal Narrative of A Journey from India to England in the Year 1824, (Philadelphia: Carey, Lea & Cary, 1827).
- Lawson, Robert, The Milory Lectures on Epidemics Influences on the Epidemiological Aspects of Cholera, (London: J. & A. Churchill, 1888).

- Liebermeister, Karl, Infectious Diseases, Part 2: Measles, Scarlet, Fever, Small-pox, Varicella, Rubella, Diphtheria, Translated from German by E. P. Hurd, (Detroit: George S. Davis, 1888).
- Lubbock, Montagu, Plague, in "Hygiene & Diseases of warm Climates", Edited by Andrew Davidson, (Edinburgh and London: Young J. Pentland, 1893).
- Macnamara, C., A History of Asiatic Cholera, (London: Macmillan and Co., 1876).
- Malone, Joseph J., Surgeon Colvill's Fight Against Plague and Cholera in Iraq, 1868-1878, "American University of Beirut Festival Book", Edited by Fuat Sarruf and Suha Tamim, Beirut, 1967.
- "Memoir of Rev. Henry Lobdell, M.D., Late Missionary of the American Board at Mosul: Including the Early History of the Assyrian Mission", Edited by Rev. W. S. Tyler, (Boston: The American Tract Society, 1859).
- Midhat Bey, Ali Haydar, The Life of Midhat Pasha, (London: John Murray, 1903).

- Nunn, Wilfred, Tigris Gunboats: The Forgotten War in Iraq 1914-1917, New Edition, (London: Chatham Publishing, 2007).
- Parsons, Abraham, Travels in Asia and Africa, (London: 1808).
- Payne, J. F., Plague, in "A System of Medicine", Edited by Thomas Clifford Allbutt, Vol. 1, (New York: The Macmillan Company, 1898).
- Plotkin (etal), Stanley A., Vaccines, Fifth Illustrated Edition, (The U.S: Elsevier Health Sciences, 2008).
- Ponafidine, Pierre, Life in the Moslem East, Translated from the Russian by Emma Cochran Ponafidine, (New York: Dodd, Mead and Company, 1911).
- Puckle, Bertram S., Funeral Customs, 1st Published, (London: T. Werner Laurie LTD, 1926).
- Roche, R. La, Pneumonia: Its Supposed Connection, Pathological and Etiological with Autumnal Fevers; Including an Inquiry into Existence and Morbid Agency of Malaria, (Philadelphia: Blanchard and Lea, 1854).
- Rosenau, Milton J., Preventive Medicine and Hygiene, (New York and London: D. Appleton Co., 1913).

- Roy, Kaushik, The Army in India in Mesopotamia from 1916 to 1918: Tactics, Technology and Logistics Reconsidered, in "1917: Beyond the Western Front", Edited by Ian F. W. Beckett, (Brill: Koninklijke, 2009).
- Southgate, Rev. Horatio, Narrative of A Tour Through Armenia, Kurdistan, Persia, and Mesopotamia, Vol. 2, (New York: D. Appleton & Co., 1840).
- Southgate, Rev. Horatio, Narrative of A Visit to the Syrian [Jacobite] Church of Mesopotamia; with Statements and Reflections Upon the Present State of Christianity in Turkey, (New York: D. Appleton & Co., 1844).
- Swainson, Cowper, H., Through Turkish Arabia: A Journey from the Mediterranean to Bombay by the Euphrates and Tigris Valleys and the Persian Gulf, (London: W. H. Allen & Co., Limited, 1894).
- "The Encyclopedia of World War 1: A Political, Social, and Military History", Edited by Spencer C. Tucker, Vol. 2, (California: 2005).
- "The New International Year Book", Edited by Frank Moore Colby, (New York: Dodd, Mead and Company, 1917).

- "Travels of Doctor and Madame Helfer in Syria, Mesopotamia, Burmah and Other Lands", Vol. 1, (London: Richard Bentley & Son, 1878).
- "Travels of Mirza Abu Taleb Khan in Asia, Africa, and Europe During the Years 1799, 1800, 1801, 1802, and 1803", Translated by Charles Stewart, Vol. III, 2nd Edition, (London: Longman, Hurst, Rees, Orme, and Brown, 1814).
- Wendt, Edmund Charles, A Treatise on Asiatic Cholera, (New York" William Wood and Company, 1885).

باللغة الفرنسية:

- Borel, Frederic, Etude d'Hygiene Internationale Cholera et Peste dans le Pelerinage Musulman, (Paris: Masson et Cie., Editeurs, 1904).
- Chiha, Habib, Province de Bagdad (Caire: El-Maaref Press, 1908).
- Cuinet, Vital, La Turquie d' Asie Geographie Administative Statistique Descriptive et Raisonnee de Chaque Province de l'Asie-Mineure, Tome Troisieme, (Paris: Ernest Leroux, Editeur, 1894).

- De Carro, Jean, Histoire de la Vaccination en Turquie, en Grece, en aux Indes Orientales, (Vienne: 1804).
- Loutfi, Z. I., La Politique Sanitaire Internationale, (Paris: Arthur Rousseau, 1906).
- Proust. A, La Defense de l' Europe Contre Le Cholera, (Paris: G. Masson, 1892).
- "Report a la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", Presente par doctors Goodeve, Bikow, Salvatori, and Bartoletti, (Constantinople [Istanbul]: Jullet, 1866).
- Sestini, Voyage de Constantinople a Bassora en 1871, Traduit de l' Italien, (Paris: n.d).
- Tholozan, Une Epidemie de Peste en Mesopotamie en 1867, (Paris: Victor Masson Et Fils, 1869).
- Young, George, Corps de Droit Ottoman, Vol. III, (The Clarendon Press: Oxford, 1905).

باللغة الالمانية:

- "Jahresbericht über die Leistungen und Fortschritte in der gesammten Medicin", Unter Mitwirkung Zahlreicher Gelehrten,

Herausgegeben von Rud. Virchow und Aug. Hirsch, XIV. Jahrgang: Bericht für das jahr 1879, (Berlin: Verlag von August Hirschwald, 1880).

– Sticker, Georg, Abhandlungen aus der Seuchengeschichte und Seuchenlehre, I. Band: Die Pest, Erster Teil: Die Geschichte der Pest, (Gieben: Alfred Topelmann, 1908).

(ثالثا)ـ دوائر معارف ومعاجم وقواميس بالانكليزية والفرنسية بالتركية:

– "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Deuxieme Serie: L – P, Tome: Vingt-Troisieme: PER – PHA, (Paris: G. Masson & Asselin et Houzeau, 1887).

– "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme: Geo-Gla, (Paris: Masson and Asselin, 1882).

– Hooper, Robert, Lexicon Medicum; or Medical Dictionary, Vol. II, (New York, J. and J. Harper, 1829).

– "Redhouse Yeni Türkçe–Ingilizce Sözlük", Altıncı Baskı, (İstanbul: Ahmet Sait Matbaası, 1983).

(رابعا)ـ الدراسات والابحاث والتقارير

باللغة الانكليزية:

- Buchanan, G.S., Epidemics of the Eastern Campaigns, in "Proceedings of the Royal Society of Medicine", Vol. 11, (London: Longmans, Green & Co., Paternoster Row, 1918).
- Cantlie, James, The Spread of the Bubonic Plague, "The Annals of Hygiene: A Journal of Health", Vol. XII (12), No.3, (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, March 1897).
- Clemow, Frank G., Two Years of Cholera Prevalence in the Turkish Empire, "Transactions of the Epidemiological Society of London" Vol. XXIII (23): Session 1903-1904, (London: William and Norgate, 1904).
- Colvill, W. H., Report on Plague in Turkish Arabia, "Transactions of the Medical and Physical Society of Bombay", No. XII (12): for the Year 1876, (Bombay: Education Society's Press, 1876).
- Colvill, W. H, Sanitary Reports on Turkish Arabia, in "Transactions of the Medical and Physical Society of Bombay", No. XI, for the year 1871, (Bombay: Education Society's Press, 1872).

– Colvill, W. H., Short Report on Cholera Epidemic in Turkish Arabia in 1870-71, "Transactions of the Medical and Physical Society of Bombay", No. XI (11), For the Year 1871, (Bombay: Education Societies Press, 1872).

– Colvill, William Henry, Some Observations on the Vegetable Productions and the Rural Economy of the Province of Baghdad, "The Journal of the Linnean Society. Botany", Vol. XIV (14), (London: 1875).

– Davidson, Andrew, The Seasonal Fluctuation of Epidemic Diseases, "Public Health, the Journal of the Incorporated Society of Medical Officers of Health", Vol. IX (9): October, 1896 to September 1897, No. 10, (London: July, 1897).

– Dickson, E. D., Observations on the Characters of Epidemic Plague in Mesopotamia in 1876-1877, "The Medical Times and Gazette. A Journal of Medical Science, Literature, Criticism, and News", Vol. 1: For 1879, (London: J. A. Churchill, 1879).

– Dickson, E. D., On Cholera in Persia, 1866-68, in "Transactions of the epidemiological Society of London", Vol. III: Sessions 1866 to 1876, (London: Hardwicke and Bogue, 1876).

- Dickson, E. D., On the Reported Outbreak of Plague at Kerbela, "Transactions of the Epidemiological Society of London", Vol. III (3): Sessions 1866 to 1876 (London: Hardwicke and Bogue, 1876).
- Dickson, E. D., The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, "Transaction of the Epidemiological Society of London", Vol. XIII (13): Session 1893-94, (London: Shaw and Sons, 1894).
- Hakham Abdallah Somekh, "The Scribe: Journal of Babylonian Jewry", No. 36, (London: September 1989).
- Hamilton, John B., Hygiene and Epidemiology, "Annual of the Universal Medical Sciences", Edited by Charles E. Sajous and others, Vol. 5, Section E, (Philadelphia: F. A. Davis, Publisher, 1891).
- Hankin, E. H., On the Epidemiology of Plague, "The Journal of Hygiene", Vol. 5, No.1, (Cambridge: January 1905).
- Proceedings of the American Oriental Society at Its Meeting in New York, March 29-31, 1894, "Journal of the American

Oriental Society", Vol. 16, (New Haven: Tuttle, Morehouse & Taylor, 1896).

- "Progress of the Indian Cholera", in "The Methodist Magazine and Quarterly Review", Vol. XVI (16), No. 4, October 1832 (New York: Waugh and T. Mason, 1832).
- Radcliffe, J. Netten, A Short History of Plague from Its Reappearance in 1853, "The Medical Times and Gazette: A Journal of Medical Science, Literature, Criticism, and News", Vol. 1, for 1879, (London: J & A. Churchill, 1879).
- Report on the Plague, "Provincial Medical & Surgical Journal", Vol. III, No. 15, (London: April 15, 1846).
- Sundberg, John C., A Letter from Bagdad, "The Annals of Hygiene", Vol. IX (9), No. 11, (Philadelphia: November 1894).
- Topics of the Week: Influenza and Cholera, "The Journal of the American Medical Association", Vol. XIV (14): January-June, 1890, No. 7, February 15, 1890, (Chicago: 1890).
- Wortabet, John, A Short of the Recent Visitation of the Plague in Bagdad and its Vicinity, 1867-1877, "Edinburgh Medical Journal", Vol. XXV (25), Part1: July to December 1879, (Edinburgh: Oliver and Boyd, 1880).

(خامسا)ـ الدوريات

باللغة الانكليزية:

- "Medical Record: A Weekly Journal of Medicine and Surgery", Vol. 42, No. 19, (New York: November 5, 1892).
- "London Journal of Medicine", Vol. III, No. XXXIII (33), (London: September, 1851).
- "Pacific Medical Journal", Vol. XXXV (35), No. 10, (San Francisco: October 1892).
- "St. Louis Courier of Medicine and Collateral Science", Vol. V, No. 6, (St. Louis, Mo.: Jas. H. chambers & Co., 1881).
- "The American Educational Review", Vol. XXXI (31), No. 11, (Chicago: American Educational Co., August 1910).
- "The Journal of the American Medical Association" Vol. XXII (22), No. 25, (Chicago: American Medical Association Press, June 23, 1894).
- "The Journal of the American Association", Vol. XXIX (29), No. 22, (Chicago: American Medical Association Press, November 27, 1897).

- "The Lancet", Vol. 2, For 1842-1843, (London: John Churchill, 1843).
- "The Lancet", Vol.2, For July 27, 1867 (London: 1867).
- "The London Medical Record: A Reviw of the Progress of Medicine, Surgery, Obstetrics, and the Allied Sciences", Vol. III, February 17, 1875, (London: Smith, Elder & Co., 1875).
- "The Medical and Physical Journal", Vol. XXXI (31), No. 184, (London: June 1814).
- "The Medical Sentinel", Vol. 20, No. 12, "(Portland, Oregon: December 1912).
- "The Museum of Foreign Literature and Science", Vol. XX (20), (Philadelphia and New York: January 1832).
- "The Penny Magazine of the Society for the Diffusion of Useful Knowledge", No. 106, (London: November 30, 1833).
- "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (24), No. 242, (New York: January 1890).
- "The Scots Magazine", Vol. XXXV (35), (Edinburgh: Murray and J. Cochran, 1773).

– "The Universal Magazine of Knowledge and Pleasure", Vol. LII (52), (London: December, 1773).

بالفرنسية والالمانية:

– "Gazette Hebdomadaire de Medecine et de Chirurgie", Vingt-Huitieme Annee, 15 Avril, 1881, (Paris: G. Masson, 1881).

– "Journal de'Hygiene", Vol.13, No. 624, Jeudi, Septembre 6, 1888 (Paris: 1888).

– "Revue d'Hygiene et de Police Sanitaire", Troisieme Annee, (Paris: 1881).

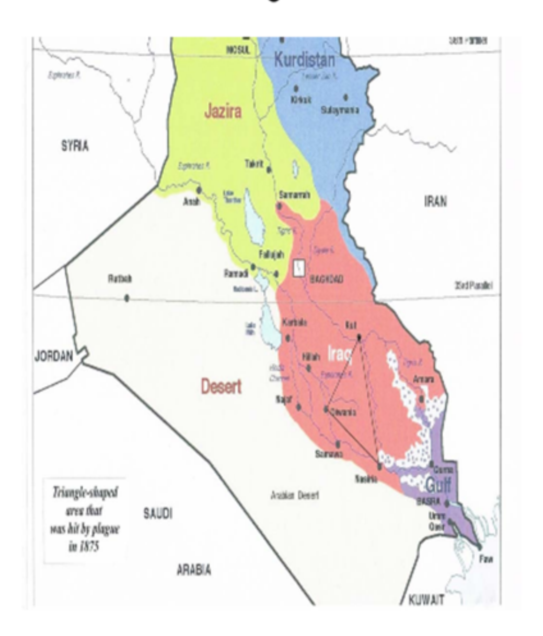
– "Revue Generale de Clinique et de Therapeutique Journal des Praticiens", Dixieme Annee, (Paris: 1896).

– "Revue Scientifique", Tome V (5), No. 19, Mai 9, 1896 (Paris: 1896).

– Mordtmann, Die Cholera in der Türkei und Konstantinopel im Jahre 1893, "Hygienische Rundschau", IV. Jahrgang, No. 7, April 1, 1894, (Berlin: 1894).

الملاحق

ملحق – 1



خارطة توضح المنطقة المثلثة الشكل التي ضربها الطاعون في جنوب العراق في عام 1875

ملحق 2



خارطة توضح تمدد موجة الكوليرا في المناطق العراقية في المدة من آب 1865 ولغاية تشرين الثاني 1866

ملحق ـ 3



خارطة توضح المناطق التي ضربتها موجة الكوليرا في العراق في عام 1889

ملحق ـ 4



خارطة توضح المناطق التي اجتاحتها موجة الكوليرا في العراق في عام 1893

ملحق – 5



خارطة توضح المناطق التي ضربتها موجة الكوليرا في العراق في عام 1904

ملحق – 6

وثائق امريكية منتخبة غير منشورة تتعلق بمراسلات قنصلية الولايات المتحدة في بغداد في المدة من 1900 ولغاية 1905 بشأن موضوعات الاوبئة

Microcopy No. T-509

DESPATCHES FROM UNITED STATES CONSULS IN BAGHDAD, 1888-1906

Roll 2

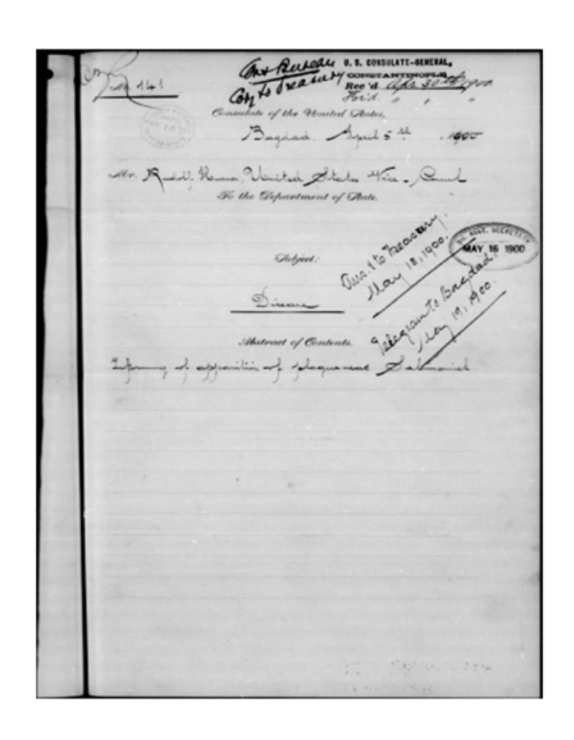
Volume 2

January 11, 1900 - July 23, 1906



THE NATIONAL ARCHIVES
NATIONAL ARCHIVES AND RECORDS SERVICE
GENERAL SERVICES ADMINISTRATION

Washington: 1961



U. S. CONSULATE-GENERAL,
CONSTANTINOPLE.
Rec'd.

Consulate of the United States,

Baghdad, April 5th 1900

To the Department of State.

MAY 16 1900

Subject:

Abstract of Contents.

وثيقة صادرة عن القنصلية الامريكية في بغداد بتاريخ 5 نيسان 1900، بخصوص انتشار طاعون في مناطق حدودية بالقرب من السليمانية

No. 1[illegible]

Consulate of the United States,
Bagdad, April 5th 1900

Honorable David J. Hill.
Assistant Secretary of State,
Washington, D. C.

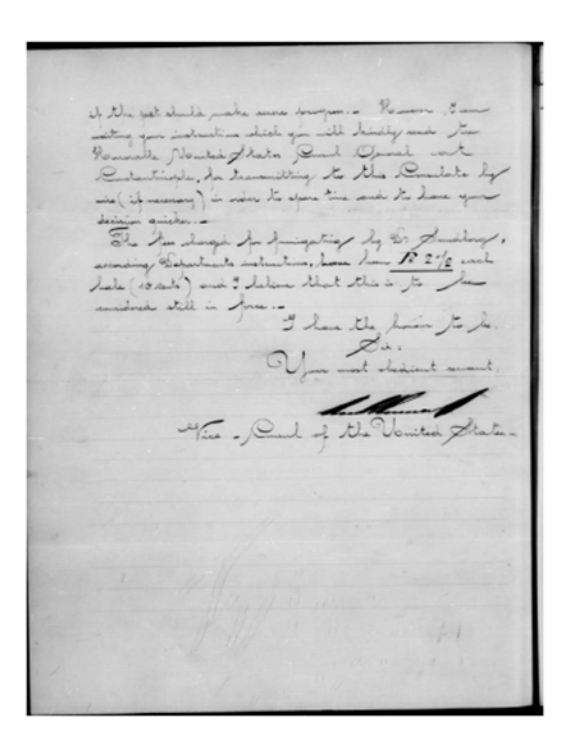
Sir:

I have the honor to bring to the knowledge of the Department, that, according Quarantine note dated March 29. 1900 from the Direction Sanitaire in this city, there seems to exist a disease near Suleimanieh (North of Bagdad) and on the other side of the Persian frontier.—

According private information received, it is the pest and two villages have already been entirely destroyed.—

As the Sinna and Kermanshah Wool – who form a large export to the United States – as well as Persian carpets and skins are collected from those countries, I request your instruction if I have to fumigate here these goods before they are packed in bales, in the case the plague shall be officially declared.—

My predecessor Dr. Sundberg was instructed by the Department during the Cholera epidemic in 1893 to fumigate all kinds of goods before shipping to America, and I suppose that the same method has to be followed



if the [illegible] should make more proper.- However, I am waiting your instructions which you will kindly send the Honorable United States Consul General at Constantinople, for transmitting to this Consulate by wire (if necessary) in order to spare time and to have your decision quicker.-

The fees charged for fumigation by Dr. [illegible], according Department instructions, have been P. 2½ each bale (10 cents) and I believe that this is the fee considered still in force.-

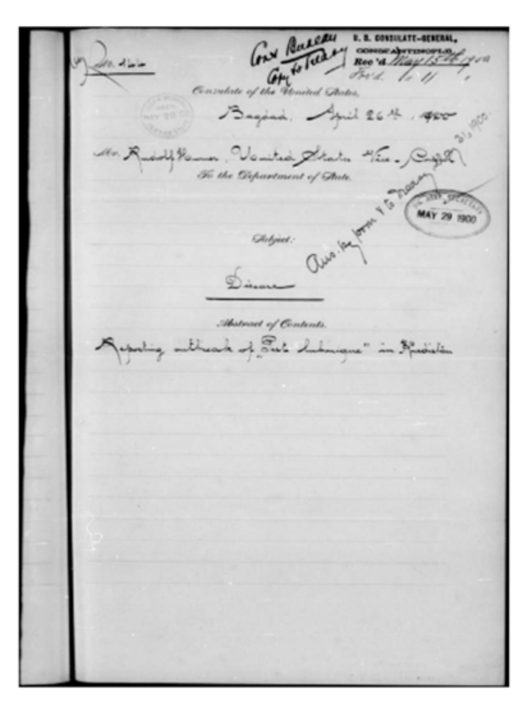
I have the honor to be,

Sir,

Your most obedient servant,

[illegible]

Vice-Consul of the United States.



U. S. CONSULATE-GENERAL,
CONSTANTINOPLE,
Rec'd May 15th 1900

Consulate of the United States,

Bagdad, April 26th, 1900

Mr. Rudolf ..., United States Vice-Consul

To the Department of State.

MAY 29 1900

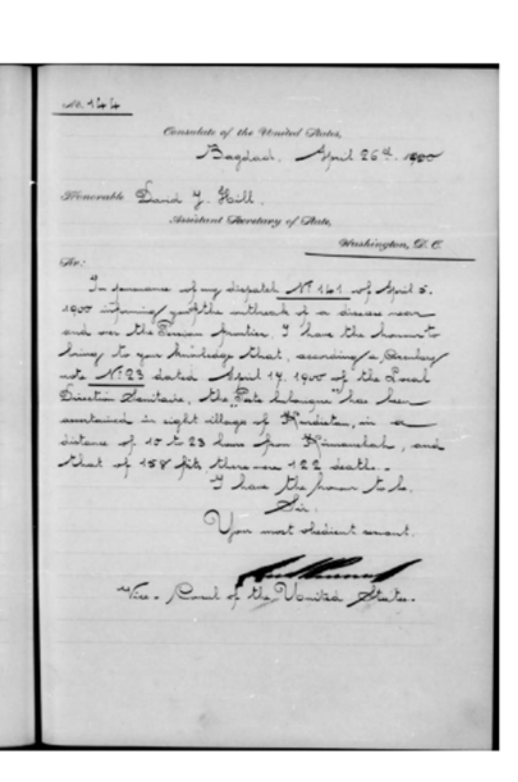
Subject:

Disease

Abstract of Contents.

Reporting outbreak of "Peste bubonique" in Kurdistan

وثيقة صادرة عن القنصلية الامريكية في بغداد بتاريخ 26 نيسان 1900، بخصوص اندلاع طاعون دملي في كردستان



No. 144

Consulate of the United States,

Bagdad, April 26th. 1900

Honorable David J. Hill,

Assistant Secretary of State,

Washington, D.C.

Sir:

In pursuance of my dispatch No 141 of April 5. 1900 informing you of the outbreak of a disease near and over the Persian frontier, I have the honour to bring to your knowledge that, according to a Circular note No 23 dated April 14. 1900 of the Local Direction Sanitaire, the "Peste bubonique" has been ascertained in eight villages of Kurdistan, in a distance of 15 to 23 hours from Kirmanshah, and that of 158 fits there were 122 deaths.

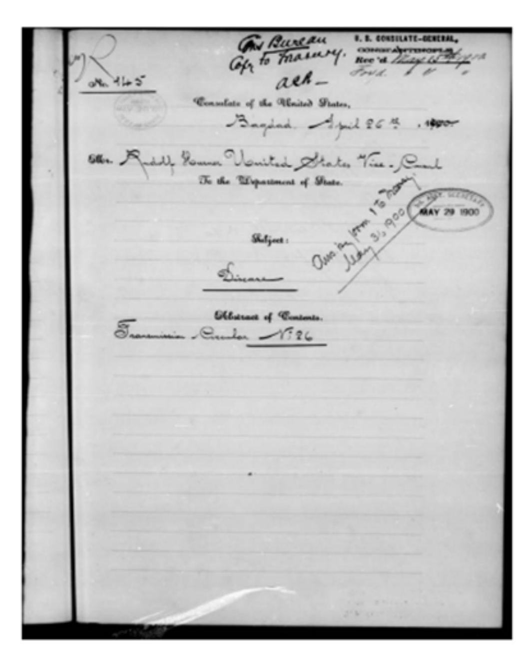
I have the honour to be,

Sir,

Your most obedient servant,

[illegible]

Vice-Consul of the United States.



U. S. CONSULATE-GENERAL,
Rec'd. May 15
Fwd.

No. 145

Consulate of the United States,
Bagdad, April 26th, 1900

Mr. Rudolf ... United States Vice-Consul
To the Department of State.

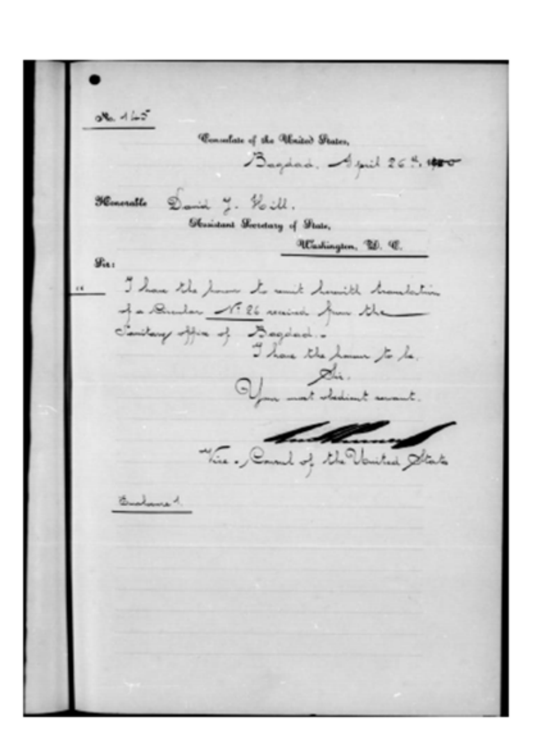
MAY 29 1900

Subject:

Disease

Abstract of Contents.
Transmission Circular No. 26

برقية صادرة من نائب القنصل الامريكي في بغداد بتاريخ 26 نيسان 1900 بخصوص نشرية صحية مستلمة من دائرة صحة بغداد تتعلق باغلاق الحدود العراقية-الايرانية بين راوندوز وزرباطية لمنع انتقال الطاعون الى الاراضي العراقية


No. 165

Consulate of the United States,

Bagdad, April 26th 1900

Honorable David J. Hill.

Assistant Secretary of State,

Washington, D. C.

Sir:

I have the honor to remit herewith translation of a Circular No 26 received from the Sanitary Office of Bagdad.

I have the honor to be,

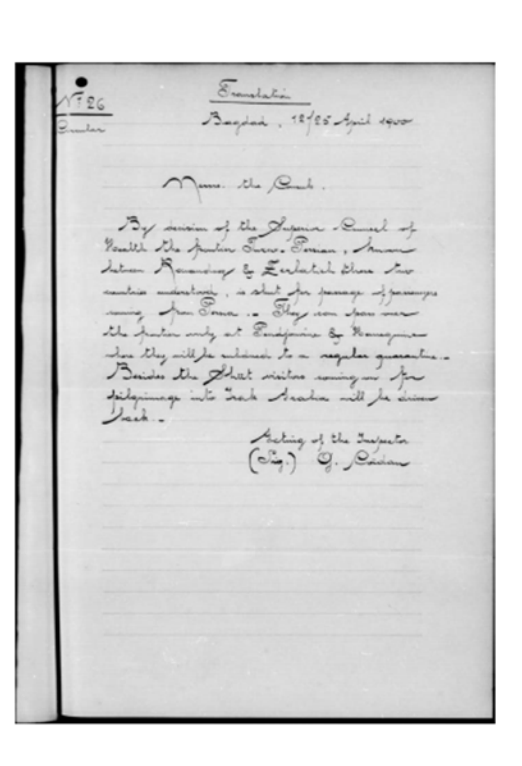
Sir,

Your most obedient servant.

[signature]

Vice Consul of the United States

Enclosure 1.



Nº 26
Circular

Translation

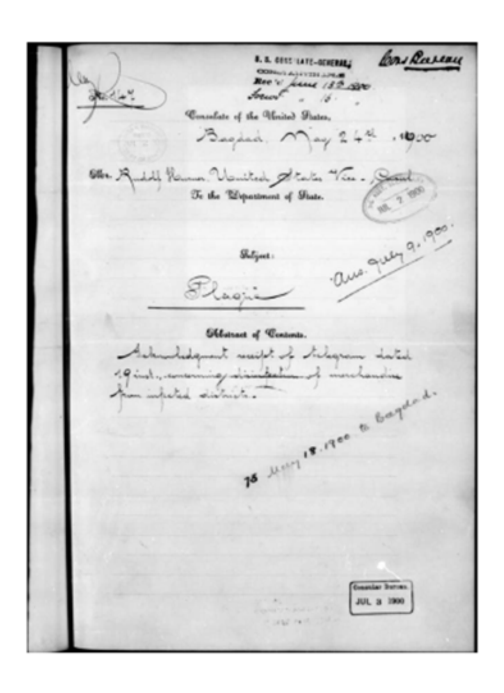
Bagdad, 12/25 April 1900

Messrs. the Consuls.

By decision of the Superior Council of Health the frontier Turco-Persian, known [?] between Ravandouz [?] & Zerbatieh [?] these two countries understood, is shut for passage of passengers coming from Persia. They can pass over the frontier only at Pendjevine [?] & Hanequine [?] where they will be subjected to a regular quarantine.

Besides the Shiat visitors coming on for pilgrimage into Irak Arabia will be driven back.

Acting of the Inspector
(Sig.) G. Cardan [?]



U. S. CONSULATE-GENERAL
Rec'd June 13 1900
Ans'd " 16.

Cons. Bureau

Consulate of the United States,
Bagdad, May 24th 1900

Mr. Rudolf Hurner, United States Vice-Consul
To the Department of State.

Subject:

Plague

Ans. July 9. 1900.

Abstract of Contents.

Acknowledgment receipt of telegram dated 19 inst., concerning disinfection of merchandise from infected districts.

78 May 18. 1900 to Bagdad.

Consular Bureau
JUL 3 1900

برقية من نائب القنصل الامريكي في بغداد الى وزارة الخارجية الامريكية بتأريخ 24 مايس 1900 بخصوص تطهير بضائع من مناطق موبوءة في العراق

No. 147

Consulate of the United States,

Bagdad, May 26th, 1900

Honorable David J. Hill.

Assistant Secretary of State,

Washington, D. C.

Sir:

I have the honor to acknowledge the receipt of your telegram dated 19 inst., reached to me on the 21 inst as follow:

„ Disinfection should be made by shippers under
„ your supervision see quarantine regulation
„ ninety nine " [illegible]

I understand, that the disinfection of wool, carpets and all merchandise sent from an infected place to Bagdad for shipment to the United States, has to be done here by the shippers and under my supervision, according quarantine regulation of 1899.–

This Consulate possesses not special quarantine regulations and I suppose you refer to the different Quarantine regulations Circulars from the Treasury Department addressed to me during 1899.– Looking through the Circulars, I could find no instructions applicable to such disinfection,

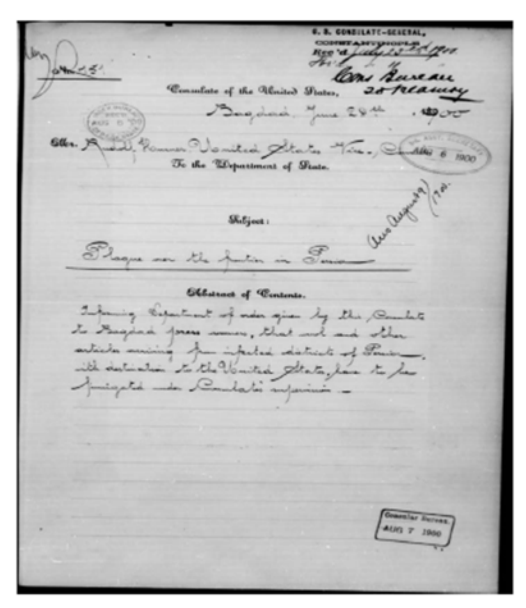
on all these instructions concerns the treatment
of goods, effects, or passengers &c. &c.

Therefore, I should be glad to receive necessary
orders from the Department on the subject, also
in informing me of the fees I have to collect
from the shippers for each bale for the
supervision of disinfection. — I already mentioned
that late U. S. Consul Sundberg perceived
Piastres 2 1/2 (Cents 10) each bale for
his supervision, according Department's instructions,
and in case of disinfection, I shall apply the
same tariff until further advice from your
part. — The plague is over the frontier,
on the way to Kermanshah, and the
Kurdi Wool to be shipped to the
United States, is collected from
this district. —

I have the honor to be,
Sir,
Your most obedient servant

[signature]

Vice-Consul of the United States.



U. S. CONSULATE-GENERAL,
CONSTANTINOPLE
Rec'd July 23rd 1900

Cons Bureau

Consulate of the United States,

Baghdad, June 28th 1900

Mr. [illegible] United States Vice-Consul

AUG 6 1900

To the Department of State.

Subject:

Plague on the frontier in Persia

Abstract of Contents.

[illegible]

Consular Bureau
AUG 7 1900

برقية مرسلة من نائب القنصل الامريكي في بغداد الى وزارة الخارجية بتاريخ 28 حزيران 1900 بخصوص تفشي الطاعون في مناطق حدودية ايرانية مع العراق، ومرفق معها مراسلة اخرى بخصوص تعيين موظف خاص يتولى تطهير بالات الصوف والبضائع الاخرى قبل ان تأخذ طريقها للولايات المتحدة

Consular Bureau.

MEMORANDUM.

Approved
Adler

August 7,1900.

Mr. Gridler:

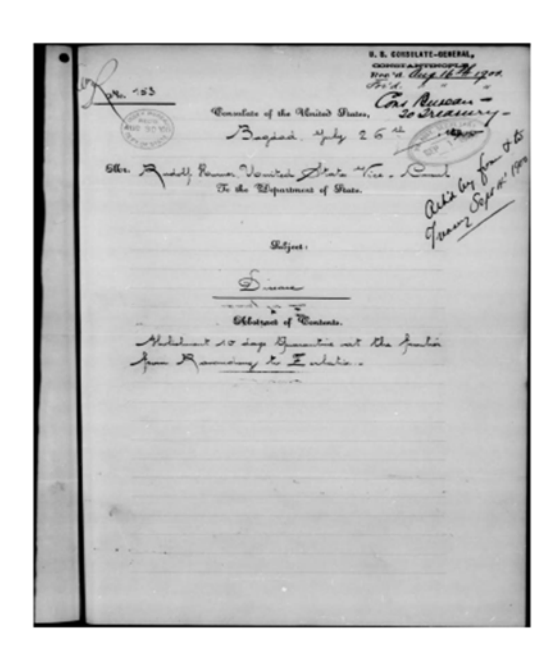
I suggest that we tell Mr. Hurner in reply to this despatch that the Department has no objection to his designating some one in his employ to personally superintend the disinfection of wool and other goods destined for the U.S. as it is not expected that the consul can personally attend to this or that the selection of a man be left to the shippers. The consul may collect from the shippers an amount sufficient to compensate the man selected for his services but he must not collect anything beyond that amt for himself. The fee should be

AUG 7 1900

-2-

based upon the time employed rather than the number of bales disinfected. A fee of ten cents per bale is regarded as excessive. It is not doubted that a suitable man can be employed at a per diem rate that would be much less than this rate per bale. The only fee the Consul is authorized to charge is that for issuing a certificate of disinfection, said certificate to be based upon the report of the person he selects to superintend the disinfection.

P.S.L.



U. S. CONSULATE-GENERAL,
CONSTANTINOPLE
Rec'd. Aug 16th 1900

No. 153

Consulate of the United States,
Bagdad, July 26th

Mr. Rudolf Rosner, United States Vice-Consul
To the Department of State.

Subject:

Disease

Abstract of Contents.

Abolishment 10 days Quarantine at the frontier from Rowandoz to Zorbatia.

برقية مرسلة من نائب القنصل الامريكي في بغداد الى وزارة الخارجية بتأريخ 26 تموز 1900 بخصوص الغاء حجر صحي على الحدود مع ايران امده عشرة ايام من راوندوز الى زرباطية

No. 153

Consulate of the United States,

Bagdad, July 26th. 1900

Honorable David J. Hill,
Assistant Secretary of State,
Washington, D. C.

Sir:

I have the honor to inform you that the local Direction of Quarantine has issued under date of 22 July 1900 the following circular note.

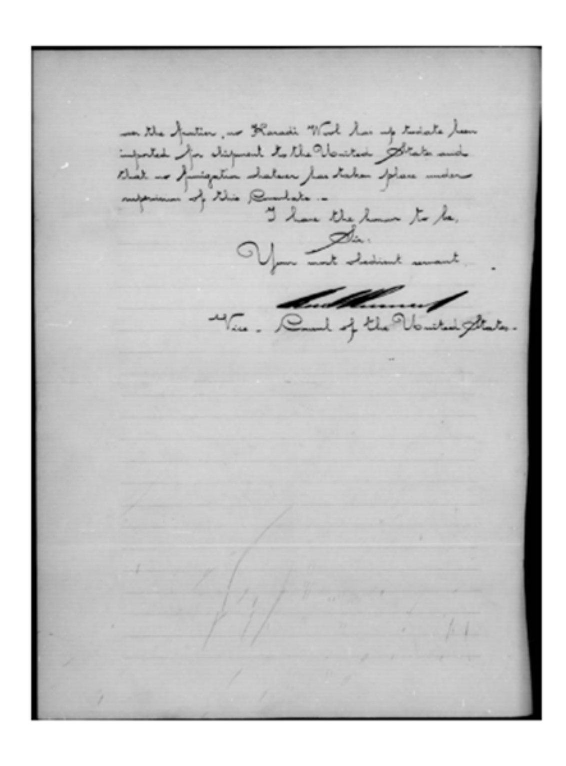
"No 57 (translation)

" According decision of the Conseil Supérieur de
" Santé the quarantine of 10 days imposed against
" productions from the Persian territory between
" Rowandiz and Zorbatia has been abolished."

In consequence of that arrangement, Karadi Wool, as well as other products being imported from Persia via Chanakin and Mendeli, are no longer to be considered as infected.-

However, the order for fumigation shall be maintained by this Consulate until the 22 August, according instructions page 16, Par. 8 contained in the Quarantine Law and Regulations November 13, 1899.-

I have to say, that since the outbreak of plague

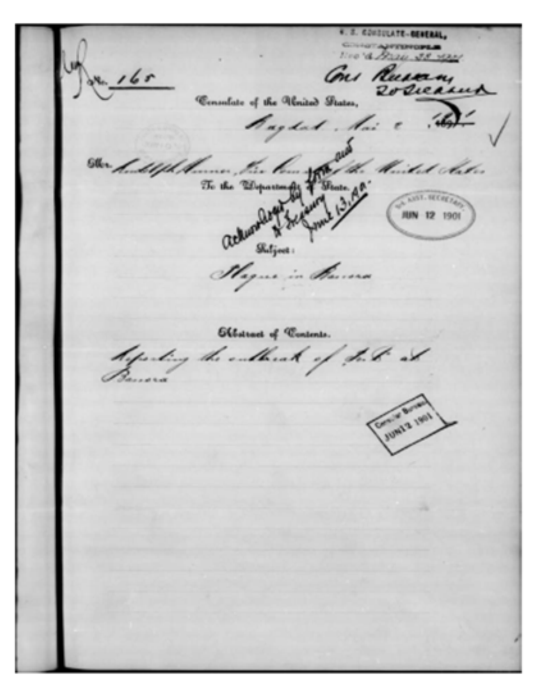


on the question, no Karachi Wool has up to date been inspected for shipment to the United States and that no fumigation whatever has taken place under supervision of this Consulate. –

I have the honor to be,
Sir,
Your most obedient servant

[illegible]

Vice-Consul of the United States.



U. S. CONSULATE-GENERAL,
CONSTANTINOPLE

No. 165

Consulate of the United States,

Bagdad, Mai 2 1901

Mr. Rudolph [illegible], Vice Consul of the United States

To the Department of State.

Acknowledged by [illegible] Treasury June 13, 1901

JUN 12 1901

Subject:

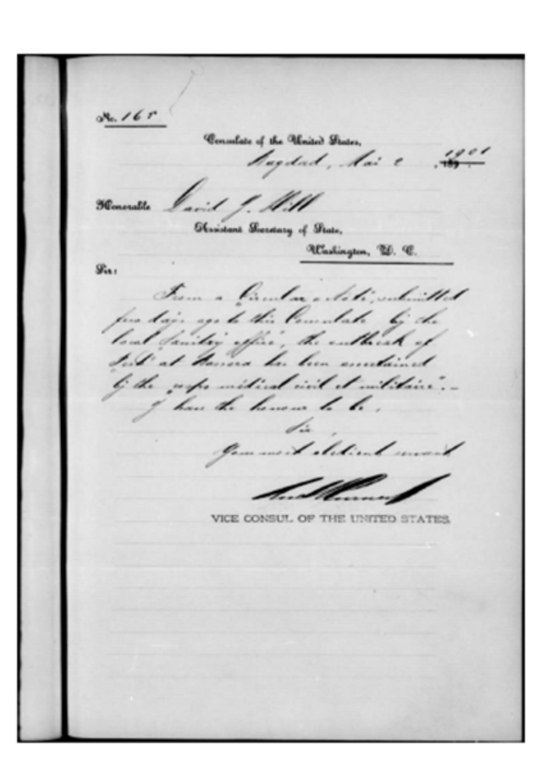
Plague in Bassora

Abstract of Contents.

Reporting the outbreak of [illegible] at Bassora

Consular Bureau
JUN 12 1901

برقية مرسلة من نائب القنصل الامريكي في بغداد الى وزارة الخارجية بتاريخ 2 مايس 1901 تتعلق بتفشي طاعون محقق في البصرة



No. 165

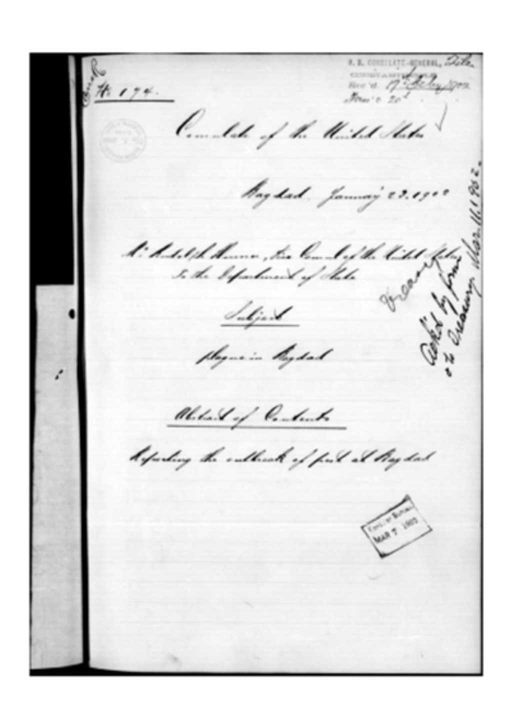
Consulate of the United States,
Bagdad, Mai 2, 1901

Honorable David J. Hill
Assistant Secretary of State,
Washington, D. C.

Sir:

From a Circular-Note, submitted five days ago to this Consulate by the local Sanitary office, the outbreak of Pest at Bassora has been ascertained by the "corps médical civil et militaire". —
I have the honour to be,
Sir,
Your most obedient servant

VICE CONSUL OF THE UNITED STATES.


No. 174.

Consulate of the United States

Bagdad, January 23, 1902

Mr. Rudolph [illegible], Vice Consul of the United States
to the Department of State

Subject

Plague in Bagdad

Abstract of Contents

Reporting the outbreak of pest at Bagdad

برقية من قنصلية الولايات المتحدة في بغداد بتاريخ 23 كانون الثاني 1902
بخصوص تفشي طاعون في بغداد

No. 174.

Consulate of the United States

Baghdad, January 23, 190[illegible]

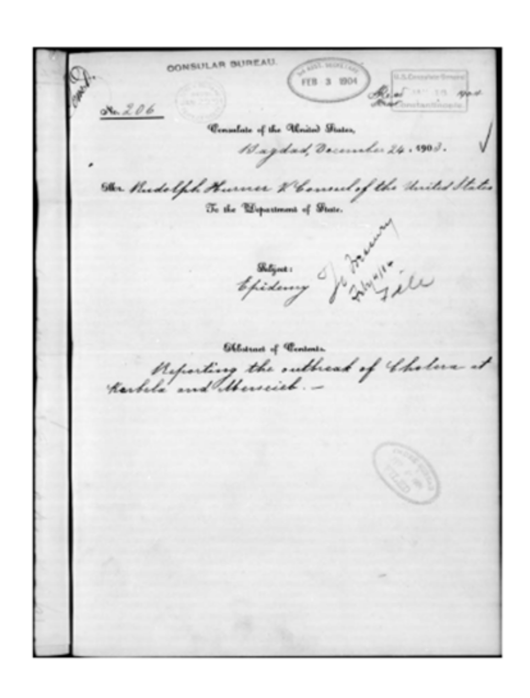
Honorable David J. Hill
Assistant Secretary of State
Washington, D.C.

Sir:

From a circular note No. 4, dated 21st inst., submitted to this Consulate by the Sanitary office at Baghdad, the outbreak of plague in this city has been ascertained and a quarantine of 5 days has been established (with strong disinfection) around Baghdad for all travellers leaving this place.—

Steamers for Bassora have to purge quarantine at Bassora.—

According quarantine regulations dated November 13, 1899 and in conformity with the instructions contained in your telegram dated May 17, 1900, the disinfection of goods shipped to the



CONSULAR BUREAU.

FEB 3 1904

Constantinople

No. 206

Consulate of the United States,

Bagdad, December 24. 1903.

Mr. Rudolph Hurner V Consul of the United States

To the Department of State.

Subject:

Epidemy

File

Abstract of Contents.

Reporting the outbreak of Cholera at Kerbela and Mosseib. –

برقية مرسلة من نائب القنصل الامريكي في بغداد الى وزارة الخارجية بتاريخ 24 كانون الاول 1903 بشأن تفشي كوليرا في كربلاء والمسيب

No. 206.

Consulate of the United States,

Bagdad, December 24. 1903.

Honorable Francis B. Loomis

Assistant Secretary of State,

Washington, D. C.

Sir:

I have to report the outbreak of Cholera at Kerbela (: South-West of Bagdad, about 60 Kilometers distance:) as well as at Mussaib on the Euphrates (: the way to Kerbela:)

I enclose hereby a copy of the Bulletins from the "Inspectorat Sanitaire of Bagdad," since 11 instant up to date.—

I have the honor to be,

Sir,

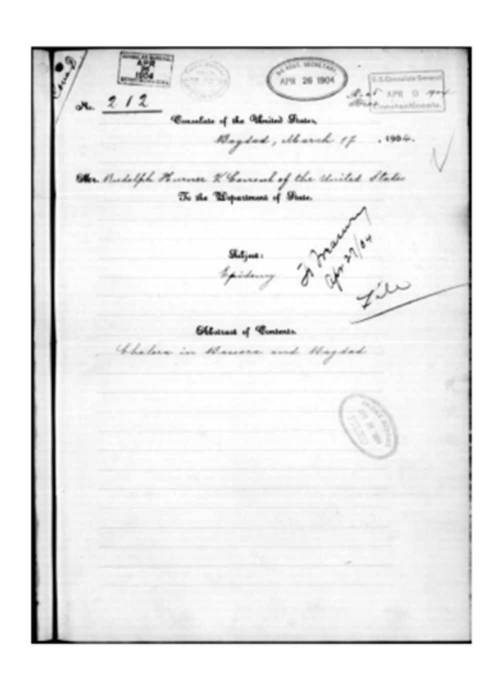
Your most obedient servant

[signature]

VICE CONSUL OF THE UNITED STATES

Enclosure 1.

Via Constantinople


APR 26 1904

U.S. Consulate General APR 9 1904 Constantinople.

No. 212

Consulate of the United States,

Bagdad, March 17 1904.

Mr. Rudolph Hurner V. Consul of the United States

To the Department of State.

Subject:

Epidemy

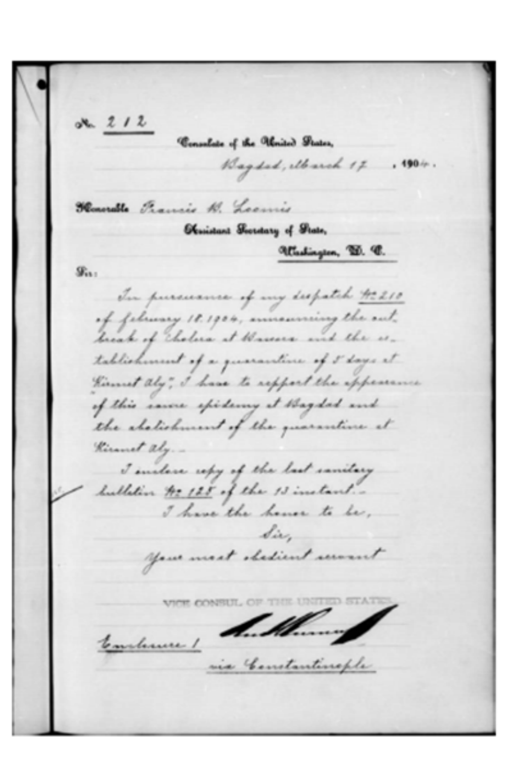
Apr 27/04

File

Abstract of Contents.

Cholera in Bassora and Bagdad

برقية مرسلة من نائب القنصل الامريكي في بغداد الى الخارجية الامريكية بتأريخ 17 آذار 1904 بشأن انتشار الكوليرا في البصرة وبغداد



No. 212

Consulate of the United States,

Bagdad, March 17, 1904.

Honorable Francis B. Loomis

Assistant Secretary of State,

Washington, D. C.

Sir:

In pursuance of my despatch No. 210 of February 18. 1904, announcing the outbreak of Cholera at Bassora and the establishment of a quarantine of 5 days at "Kirnet Aly", I have to report the appearance of this same epidemy at Bagdad and the abolishment of the quarantine at Kirnet Aly.–

I enclose copy of the last sanitary bulletin No. 125 of the 13 instant.–

I have the honor to be,

Sir,

Your most obedient servant

VICE CONSUL OF THE UNITED STATES.

Enclosure 1

via Constantinople

Bulletin sanitaire No. 120

Mars 13, 1904.

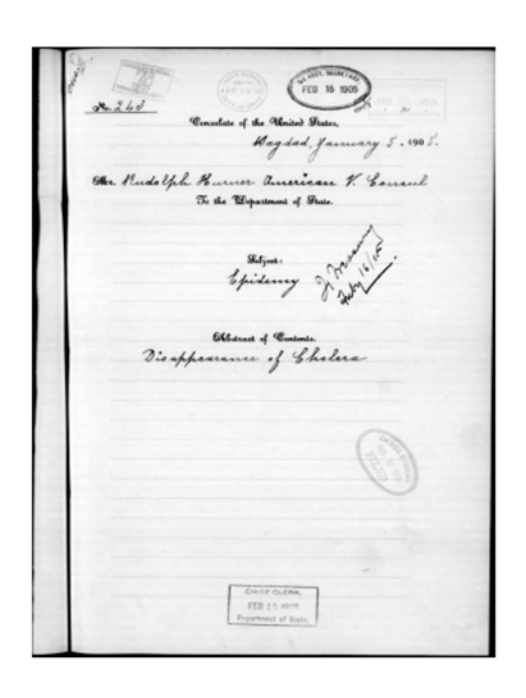
Bagdad

Mars				
7	cas	2	décès	–
8	"	3	"	–
9	"	3	"	3
10	"	1	"	–
11	"	4	"	1
12	"	3	"	3

Bassora

5	"	1	"	4
6	"	–	"	–
7	"	–	"	–
8	"	–	"	–
9	"	1	"	2
10	"	–	"	1
11	"	–	"	–
12	"	4	"	–

Bagdad, March 17, 1904



No. 243

Consulate of the United States,

Bagdad, January 5. 1905.

Mr. Rudolph Kurner American V. Consul

To the Department of State.

Subject:

Epidemy

Abstract of Contents.

Disappearance of Cholera

FEB 15 1905

CHIEF CLERK,
FEB 15 1905
Department of State.

برقية مرسلة من نائب القنصل الامريكي في بغداد الى وزارة الخارجية بتأريخ 5 كانون الثاني 1905 بخصوص اختفاء وباء الكوليرا من بغداد

No. 248

Consulate of the United States,
Bagdad, January 5, 1905.

Honorable Francis B. Loomis
Assistant Secretary of State,
Washington, D. C.

Sir:

With reference to my despatch No 220 of June 30, 1904, reporting the outbreak of cholera at Bagdad, I have now to inform you that, according official information received on 3 instant from the sanitary office (: Dr Hamdi Aziz:) dated January 2, 1905, the cholera has disappeared at Bagdad. –

I beg to remit enclosed: une statistique mortuaire de la ville de Bagdad pour le mois de Novembre 1320 (: 1904:) etc., etc., for your information. –

I have the honor to be,
Sir,
Your most obedient servant

[signature]
AMERICAN VICE CONSUL.

Enclosure 1 statistic
via Constantinople

فهارس الأعلام
والمدن والاماكن والامراض

فهرس الأعلام

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف العين

فهرس المدن والاماكن والدول

حرف الباء

فهرس الأمراض